

بمحققين وتسريع  
جهد الباحثين

مكتبة الجاهل  
أبي عثمان غفر بن جراح الجاهل

٢٥٥ - ١٥٠

# الكتاب الأول

الكتاب

[ نال هذا الكتاب الجائزة الأولى للنشر  
والتحقيق العلمي في المسابقات الأدبية التي  
نظمها المجمع اللغوي ١٩٤٩ - ١٩٥٠ ]

المجلد الرابع

الطبعة الثانية

مكتبة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بصير  
عباس ومحمد محمود الحلبي وشركاهم خلفاء



# كتاب الحيوان

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الرابع

بتحقيق

عبد السلام محمد هارون

## الطبعة الثانية

جميع الحقوق محفوظة للشارح

١٣٨٥ هـ = ١٩٦٦ م

تقديم :

كل تسكلة موضوعة بين مقفين في هذا  
الجزء خاصة ، وتروكة بلون تعليق  
وتنبيه ، فهي من النسخة الشنقراطية  
المرموز لها بالرمز (س) .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

نبدأ في هذا الجزء ، بعونِ الله وتأييده ، بالقول في جُملة الذرة والتملة ، ٢  
كما شرطنا به آخر المصحف<sup>(١)</sup> الثالث . ولا حول ولا قوة إلا بالله  
العلّي العظيم<sup>(٢)</sup> .

### (خصائص التملة)

قد علمنا أن ليس عند الذرة غناء الفرس في الحرب ، والدفع عن  
الحريم . ولكننا إذا أردنا موضع العجب والتعجب ، والتنبيه على  
التدبير ، ذكرنا الحسب القليل ، والسَّخيف المِهين ؛ فأريناك ما عنده من  
الحسِّ اللطيف والتقدير الغريب ؛ ومن النظر في العواقب ، ومشاكل  
الإنسان ومزاحمته .

والإنسان هو الذي سُخِّر له هذا الفلك بما يشتمل عليه .  
وقد علمنا أن الذرة تدخر للشتاء في الصيف ، وتقدم في حال المهلة ،  
ولا تضيع أوقات إمكان الحزم . ثم يبلغ [من]<sup>(٣)</sup> تفقدها وحسن خبرها ،  
والنظر في عواقب أمرها ، أنها تخاف على الحبوب التي ادخرتها للشتاء

(١) س ، ه : « الجزء » . وما أثبت من ط هو ما اختاره الجاحظ في تسمية  
أجزاء هذا الكتاب . انظر تقديم الكتاب ص ٢٨ في صدر الجزء الأول .

(٢) هذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من س .

(٣) الزيادة من س ، ه وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ( ٣ : ١٩٩ ) .

في الصيف ، أَنْ تَعْفَنَ وَتُسَوِّسَ<sup>(١)</sup> ، وَيَقْبَلَهَا بطنُ الأرض ؛ فتخرجُها إلى ظهرها ؛ لتُيَسِّسَهَا وتُعِيدَ إليها جفوفها<sup>(٢)</sup> ، وليضربها الذَّسِيمُ وَيَنْقِيَ عنها اللَّخْنَ وَالْفَسَادَ .

ثُمَّ رَجِمَا كَانَ - بل يكون<sup>(٣)</sup> أَكْثَرَ مَكَانُهَا نَدِيًّا . و [إِنْ<sup>(٤)</sup> ] خَافَتْ أَنْ تَنْبِتَ نَقَرَتْ مَوْضِعَ الْقَطْمِيرِ<sup>(٥)</sup> من وسط الحَبَّةِ ، وتعلم أَنَّهَا من ذلك المَوْضِعِ تَبْتَدِئُ وتَنْبِتُ وتَنْقَلِبُ ، فَهِيَ تَفْلُقُ الحَبَّ كُلَّهُ أَنْصَافًا . فَأَمَّا إِذَا كَانَ الحَبُّ مِنْ حَبِّ الكَرْبُرَةِ<sup>(٦)</sup> ، فَلَقَّتْهُ أَرْبَاعًا ؛ لِأَنَّ أَنْصَافَ حَبِّ الكَرْبُرَةِ يَنْبِتُ مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الحُبُوبِ . فَهِيَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ مَجَاوِزَةٌ لِفِطْنَةِ جَمِيعِ الْحَيَوَانِ ، حَتَّى رَجِمَا كَانَتْ فِي ذَلِكَ أَحْزَمَ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ . وَلَهَا مَعَ لَطَافَةِ شَخْصِهَا وَخِفَّةِ وَزْنِهَا ، فِي الشَّمِّ وَالِاسْتِرَاحِ<sup>(٧)</sup> مَا لَيْسَ لَشَيْءٍ .

وَرَجِمَا أَكَلَ الْإِنْسَانُ الْجَرَادَ أَوْ بَعْضَ مَا يَشَبْهُ الْجَرَادَ ، فَتَسْقُطُ<sup>(٨)</sup> مِنْ يَدِهِ الْوَاحِدَةُ أَوْ صَدْرُ الْوَاحِدَةِ ، وَلَيْسَ يَرَى بِقُرْبِهِ ذَرَّةً وَلَا لَهُ بِالذَّرِّ عَهْدٌ

٣

(١) يقال : ساس الطعام يساس موسى ، بالفتح ؛ وسوس كسع ، وسيس كقيل ، وسوس بفتح السين وتشديد الواو المفتوحة .

(٢) كَذَا عَلَى الصَّوَابِ فِي س . وَفِي ط ، هـ : « لِيَسِّسَهَا وَيُعِيدَ إِلَيْهَا جَفُوفَهَا » .

(٣) س : « لَيَكُونُ » .

(٤) الزِّيَادَةُ مِنْ نِهَآيَةِ الْأَرْبِ ( ١٠ : ١٧٥ ) .

(٥) الْقَطْمِيرُ : شَقُّ النَّوَاةِ ، وَهُوَ يُرِيدُ هُنَا شَقَّ كُلِّ حَبَّةٍ . ط ، هـ : « أَنْ يَنْبِتَ بِقُرْبِ » وَأَثْبَتَ مَا فِي س .

(٦) الْكَرْبُرَةُ وَالْكُسْبُرَةُ ، بَضْمُ الْكَافِ وَالْبَاءِ فِي كُلِّ مِنْهُمَا - وَقَدْ تَفْتَحُ الْبَاءُ - : ضَرْبٌ مِنَ الْأَبَازِيرِ مَعْرُوفٌ .

(٧) الْإِسْتِرَاحُ : التَّشْمُّ .

(٨) س : « فَيَسْقُطُ » .

فى ذلك المنزل ، فلا يلبث أن تقبل ذرة قاصدة إلى تلك الجرادة ،  
فترومها وتحاول قلبها ونقلها ، وسحبها وجرها ، فإذا أعجزتها بعد أن بلغت  
عذراً ، مضت إلى جحرها راجعة ، فلا يلبث ذلك الإنسان أن يراها قد  
أقبلت ، وخلفها صويحباتها كالخيط الأسود الممدود ، حتى يتعاون عليها ،  
فيحملنها .

فأول ذلك صدق الشم لما لا يشمه الإنسان الجائع . ثم بعد الهمة ،  
والجراحة على محاولة نقل شيء في وزن جسمها مائة مرة ، وأكثر من  
مائة مرة .

وليس شيء من الحيوان يقوى على حمل ما يكون ضعف وزنه (١)  
مراراً غيرهما . وعلى أنها لا ترضى بأضعاف الأضعاف ، إلا بعد انقطاع  
الأنفاس .

### ( كلام النمل )

فإن قلت : وما علم الرجل أن التي حاولت نقل الجرادة فعجزت ،  
هى التى أخبرت صويحباتها من الذر ، وأنها كانت على مقدمتين ؟ قلنا :  
ليطول التجربة ، ولأننا لم نر ذرة قط حاولت نقل جرادة فعجزت  
عنها ، ثم رأيناها راجعة ، إلا رأينا معها مثل ذلك ، وإن كنا لا نفصل  
فى العين بينها وبين أخواتها ، فإنه ليس يقع فى القلب غير الذى قلنا .  
وعلى أننا لم نر ذرة قط حملت شيئاً أو مضت إلى جحرها فارغة ، فتلقاها

ذَرَّةٌ ، إِلَّا واقَفَتْهَا ساعة وخَبَّرَتْهَا بشئٍ . فدلَّ ذلك على أنَّها في رجوعِها عن الجرادَةِ ، إنَّما كانت لأشباهِها كالرائدِ لا يكذبُ أهلهُ <sup>(١)</sup> .

ومن العَجَبِ أنَّكَ تُنْكِرُ أنَّها تُوْحى إلى أَخْتِها بشئٍ ، والقرآنُ قد نطَقَ بما هو أكثرُ من ذلك أضعافاً . وقال رُوْبَةُ بن العجاج <sup>(٢)</sup> :

لو كُنْتُ عَلَّمْتُ كَلَامَ الْحِكْلِ <sup>(٣)</sup> عِلْمَ سُلَيْمَانَ كَلَامَ النَّمْلِ  
وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ حَتَّى إِذَا (٤) أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ  
يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ (٥) سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ

(١) الرائد : من يرود الكلاء والمنزل : أى ينظره ويطلبه ويختار أفضله . والعبارة إشارة إلى المثل المعروف : « الرائد لا يكذب أهله » ، يضرب للذى لا يكذب إذا حدث . وإنما قيل ذلك للرائد لأنه إن لم يصدقهم فقد غرر بهم .

(٢) كذا جاءت النسبة في الصحاح وثمار القلوب ٣٤٩ ، ١٥٠ وأمثال الميداني ( ١ : ٤٥٤ ، ٢ : ٨٥ ) وبلوغ الأرب ( ٣ : ٢٢٠ ) وستأق أيضاً في ص ٢٣ . لكن قال ابن برى : « الرجز للعجاج » . انظر اللسان ( حكل ) . ومثل هذه النسبة عند الدميى ( حسل ) .

(٣) ابن برى : « صوابه : أو كنت » . وقبله :

تسألنى من السَّيِّئِينَ كَمْ لِي فَقُلْتُ : لو عُمِّرْتُ عُمَرَ الْحِجْلِ

وقد أتاه زمن الفِطْحِ والصَّخْرُ مبتلُّ كطينِ الوَحْلِ

أو كنت قد أوتيت علم الحِكْلِ كنت رهينَ هَرَمٍ أو قتل

والحِكْل من الحيوان ، بالضم : ما لا يسمع له صوت ، كالذر والنمل . والحسل ، بالكسر : ولد الضب ، زعم الأصمى أنه يبلغ مائة سنة ثم يسقط سنه ، فعند ذلك يسمى ضباً . انظر ثمار القلوب ٣٣٢ .

(٤) في الأصل : « فلما أتوا » . وهو تحريف من الناسخين ، وستأق صحيحة في ص ١٥ ، ٢٠ . وقد اتفق السبعة على القراءة المثبتة .

(٥) تحتمل أن تكون جواباً للأمر ، وأن يكون نهياً بدلاً من الأمر . والمعنى لا تكونوا حيث أنتم فيحطمكم ، على طريقة : لا أرينك هنا .

وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴿١﴾ . فقد أخبر القرآن أنها قد عرفت سليمان وَأَثْبَتَتْ عَيْنَهُ <sup>(١)</sup> ، وَأَنَّ عِلْمَ مَنْطِقِهَا عِنْدَهُ ، وَأَنَّهُ أَمَرَتْ صُورِيَّاتِهَا <sup>(٢)</sup> بِمَا هُوَ أَحْزَمُ وَأَسْلَمُ . ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهَا تَعْرِفُ الْجُنُودَ مِنْ غَيْرِ الْجُنُودِ ، وَقَدْ قَالَتْ : ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿٣﴾ . وَنَحَاكَ أَيُّهَا الْمُسْكِرُ تَبَسُّمَهُ بِجَاهِنَ <sup>(٣)</sup> ، أَنَّكَ لَمْ تَعْرِفْ قَبْلَ ذَلِكَ [الوقتِ وَبَعْدَهُ ، شَيْئًا مِنْ هَذَا الشَّكْلِ مِنَ الْكَلَامِ ، وَلَا تَدْبِيرًا فِي هَذَا الْمَقْدَارِ . وَأَمَّا مَا فَوْقَ ذَلِكَ فَلَيْسَ لَكَ أَنْ تَدَّعِيَهُ . وَلَكِنْ ، مَا تَنْكِرُ مِنْ أَمْثَالِهِ وَأَشْبَاهِهِ وَمَا دُونَ ذَلِكَ ، وَالْقُرْآنُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لَهَا بَيَانًا ، وَقَوْلًا ، وَمَنْطِقًا يَفْصِلُ بَيْنَ الْمَعَانِي الَّتِي هِيَ بِسَبِيلِهَا ؟ ! فَعَلَّهَا مَكْلَفٌ ، وَمَأْمُورَةٌ مِنْهِيَّةٌ ، وَمُطِيعَةٌ عَاصِيَةٌ . فَأَوَّلُ ذَلِكَ أَنَّ الْمَسْأَلَةَ مِنْ <sup>(٤)</sup> مَسَائِلِ الْجَهَالَاتِ ، وَإِنَّ مَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ الشُّبْهَةُ مِنْ هَذَا الْمَسْكَانِ لَنَاقِصٌ ٤ الرُّوْيَةُ <sup>(٥)</sup> رَدَّى الْفِكْرَةَ <sup>(٦)</sup> . وَقَدْ عَلِمْنَا ، وَهُمْ نَاسٌ وَلَهُمْ [بِذَلِكَ] فَضِيلَةٌ فِي الْغَرِيزَةِ وَفِي الْجِنْسِ وَالطَّبِيعَةِ . وَهُمْ نَاسٌ إِلَى أَنْ يَنْتَهَوْا إِلَى وَقْتِ الْبُلُوغِ وَنَزُولِ الْفَرَضِ <sup>(٧)</sup> حَتَّى لَوْ وَرَدَتْ ذَرَّةٌ لَشَرِبَتْ مِنْ أَعْلَاهُ .

(١) أَيْ ذَاتَهُ . ط ، هـ : « فَأَثْبَتَ » .

(٢) س : « صَوَاحِبَاتِهَا » عَلَى طَرِيقَةِ جَمْعِ الْجَمْعِ .

(٣) كَذَا فِي س . أَيْ تَبَسَّمَ سُلَيْمَانُ بِمَا رَأَى مِنْ حَالِ الْفُلِّ . ط ، هـ : « تَشَبُّهُ بِجَاهِنَ » .

(٤) هـ ، ط : « عَنْ » . وَأَثْبَتَ مَا فِي س .

(٥) الرُّوْيَةُ : النَّظَرُ وَالتَّفَكُّيرُ . ط ، هـ : « النَّاقِصُ الرُّوْيَةُ » صَوَابُهُ فِي س .

(٦) فِي الْأَصْلِ : « وَدَنَى الْفِكْرَةَ » ، وَلَعَلَّ صَوَابُهُ مَا أُثْبِتَ .

(٧) ط ، هـ : « الْفَرَضُ » بِحَرْفٍ . وَفِي الْعِبَارَةِ وَسَابِقَتِهَا وَلاحِقَتِهَا اضْطِرَابُ .

## (شعر فيه ذكر النمل)

وقال أبو دهب<sup>(١)</sup> :

أَبَ هَذَا اللَّيْلُ فَاکْتَنَعَا وَأَمَرَ النَّوْمُ فَاْمْتَنَعَا<sup>(٢)</sup>  
فِي قِبَابٍ وَسُطَ دَسْكَرَةٌ حَوْلَهَا الزَّيْتُونُ قَدْ يَنَعَا<sup>(٣)</sup>  
[ وَلَهَا بِالْمَاطُرُونَ إِذَا أَكَلَ النَّمْلَ الَّذِي جَمَعَا<sup>(٤)</sup> ]  
خَرْفَةٌ ، حَتَّى إِذَا ارْتَبَعَتْ سَكَنْتُ مِنْ جِلْقٍ يَبَعَا<sup>(٥)</sup>

(١) اسمه وهب بن زمة الجمحي ، وفي الأغاني ( ٦ : ١٥٠ ) أنه قال الشعر في آخر خلافة علي . ومدح معاوية وعبد الله بن الزبير . وقد كان ابن الزبير ولاء بعض أعمال اليمن . وأنه كان سيداً شريفاً ، يحمل الحملات ، ويعطي الفقراء ، ويقري الضيف . . . وقد انفرد الجاحظ بنسبة الأبيات الآتية إلى أبي دهب . والصحيح أنها ليزيد بن معاوية ، يتغزل بها في نصرانية كانت قد ترهبت في دير خراب ، عند الماطرون . انظر الكامل ٢١٧ ليبسك وخزانة البغدادي ( ٣ : ٢٧٩ بولاق ) ومعجم ياقوت ( الماطرون ) واللسان ( كنع ) . وفي الكامل أيضاً أن بعضهم ينسبه إلى الأحوص .

(٢) ط : « أرب هذا » ، وصوابه في س ، ه والمعجم واللسان . ورواية الأخفش في حواشي الكامل : « طال هذا المم » ورواية ياقوت : « أب هذا المم » . واكتنع : حضر ودنا . وأمر : صار مرا . وضبطه البغدادي بالبناء للمفعول ، ولست أذهب مذهبه .

(٣) الدسكرة ، بفتح الدال : بناء يشبه قصرأ حوله بيوت ، وجمعها دساكر ، تكون للملوك . والوجه في ترتيب هذا البيت أن يكون بعد الرابع ، كما ورد في الخزانة والمعجم .

(٤) الماطرون ، بكسر الطاء ، ويروى بفتحها ؛ وفتح النون ، ويروى بكسرهما . ويروى أيضاً : « بالماطرين » وهي رواية المبرد . الذي جمعا : أي الذي جمعه . والنمل يأكل في وقت الشتاء ما جمعه في زمن الصيف .

(٥) الخرفة ، بالضم : ما يجنى . ورواية العباب والمقاييس والمخصص ( ١١ : ٩ ) : « خلفة » بكسر الخاء وباللام بعدها . والخلفة : النمر يظهر بعد الشر الكثير . وهذا اللفظ لا يزال مستعملاً عند زرايع مصر . وارتفعت : دخات في الربيع . وجلق بكسر الجيم واللام المشددة المكسورة ، قال ياقوت : اسم لسكورة الغوطة كلها ، وقيل بل هي دمشق نفسها ، وقيل موضع بقريّة من قرى دمشق .

عِنْدَ غَيْرِي فَاتَمَسَ رَجُلًا يَأْكُلُ التَّنُّومَ وَالسَّلْعَا (١)

ذَاكَ شَيْءٌ لَسْتُ آكُلُهُ وَأُرَاهُ مَا كَلَّا فَطَعَا (٢)

وقال أبو النجيم في مثل ذلك (٣) :

وَكَانَ نَشَابَ الرِّيَّاحِ سُنْبُلُهُ (٤)      وَاخْضَرَ نَبْتًا سِدْرُهُ وَحَرَمَلُهُ (٥)

وَابْيَضَ إِلَّا قَاعَهُ وَجَدْوَلُهُ (٦)      وَأَصْبَحَ الرَّوْضُ لَوِيًّا حَوْصَلُهُ (٧)

وَاصْفَرَ مِنْ تَلْعٍ فَلْيَحِ بِقَلِّهِ (٨)      وَانْحَتَ مِنْ حَرْشَاءَ فَلَحِ خَرْدَلُهُ (٩)

(١) التَّنُّوم ، بفتح التاء وتشديد النون المضمومة : شجر له حمل صغار كمثل حب الخروع « ويتفلق عن حب يأكله أهل البادية ، وكذا النعام » وكيفما زالت الشمس تبهما بأعراض الورق . قلت : كأنه ما يسي اليوم بعباد الشمس . والسلع ، بالتحريك : شجر يرتق حبالا خضرا لا ورق لها ، وقصبانه تلتف على الغصون وتشبك ، وله ثمر مثل عناقيد العنب صغار ، فإذا أبيض أسود ، فتأكله القروود .  
(٢) الفطع « ككتف : الفطيع .

(٣) انظر بعض أشطار هذا الرجز في جهرة ابن دريد (٢ : ١٣٣) والاشتقاق ١٨٢ والمزهر (٢ : ٣٥٨) .

(٤) جعل سنابل الزرع كأنها رماح للرياح تشرعها في كل جهة . س : « نشات » وهو محرف .

(٥) السدر ، بالكسر : شجر النبق . والحرملة « كجعفر : نبت يرتفع ثلث ذراع وله ورق كورق الصفصاف .

(٦) أبيض الروض : صوح نباته . وإنما سلم نبت القاع والجداول من ذلك لمسا بقى من الماء فيها . وقد اضطره الشعر فرفع ما بعد إلا . وحقه التصب .

(٧) حوصل الروض : قراره ، وهو أبطأ هيجا . واللوى : ما بين الرطب واليابس .

(٨) التلع ، بالفتح : جمع تلعة ، وهي مجرى الماء من أعلى الوادي . والفليح ، بالجيم : غنى به المتسع . ط : « فليح » وقد حرك قاف « بقله » لوزن الشعر .

(٩) ط « هـ » : « فليح » ، صوابه في س واللسان ( حرش ، قطر ) . والفليح :

النهر الصغير . والحرشاء بفتح الحاء وبالشين : خردل البر . وهي في الأصل ، « خرساء » ، صوابها من اللسان في موضعيه .

وانشَقَّ عن فصَح سواء عَنطَلَه<sup>(١)</sup> وانتفض البرَّوقُ سُوداً فَلَقَلَه<sup>(٢)</sup>  
واختَلَفَ التَّمَلُّ قِطَاراً يَنْقَلَه<sup>(٣)</sup> طَارَ عَنِ الْمُهَرِّ نَسِيلٌ يُنْسِلُهُ<sup>(٤)</sup>

### (استطراد لغوى)

قال أبو زيد : الحمكة القملة ، وجمعه حَمَك . وقد ينقاسُ ذلك  
في الذَّرَّةِ .

قال أبو عبيدة : قرية النمل من التُّراب<sup>(٥)</sup> ، وهى أيضاً جُرثومة النمل .  
وقال غيره : قرية النمل ذلك التراب والجُحر<sup>(٦)</sup> بما فيه من الذرِّ والحبِّ  
والمازِن . والمازِنُ هو البيض ، وبه سَمُوا مازن .

(١) كذا في الأصل . ولعل صواب : « عَنطَلَه » : « عَنصلَه » ، والمنصل ، كقَنَفَذ :

البصل البرى .

(٢) البروق ، يفتح الباء والواو بينهما راء ساكنة : شجر ضعيف له ثمر حَب أسود  
صغار . وهو الذى يقال فيه المثل : « أشكر من بروقة » ؛ لأنها تعيش بأذى  
ندى يقع من السماء . ط ، ه : « البرذون » صوابه فى س . وانظر لهذا الشطر  
الاشتقاق والمزهر .

(٣) اختلف : أقبل وأدبر . والقطار : أصله للإبل أن يتلو بعضها بعضاً على نسق .  
وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ط : « فطار » وفى س ، ه :  
« فطاراً » ، وصواب روايته من اللسان . ولفظ « ينقله » هى فى ط ، ه :  
« نيقله » بتقديم النون . صوابه فى س . وفى اللسان : « تنقله » .

(٤) النَسِيل ، يفتح النون : ما يسقط من الصوف والشعر والريش . وأنسل الحيوان  
الصوف والشعر والريش : أسقطه . وكلمه « طار » أراها جواباً لشرط فى  
أبيات قبل هذه . وفى الأصل : « يسيل سنبله » ولعل الوجه فيه ما أثبت .

(٥) ط ، ه : « الزاب » ولا وجه له . وصوابه فى س . وفى اللسان : « وقرية  
النمل : ما تجتمع من التراب » . وفى المخصص ( ٨ : ١٢٠ ) : « أبو عبيد :

قرية النمل وجرثومته : ما يجمع من التراب » .

(٦) فى الأصل : « الحجر » ووجهه ما أثبت .

قال أبو عمرو<sup>(١)</sup> : الزُّبَال ما حملت النملةُ بغيرها ، وهو قولُ ابنِ مُقبل :

كريم النَّجارِ حمى ظهره فلم يُرْتَزَأَ برُكوبِ زبالا<sup>(٢)</sup>

### (شعر في التعذيب بالنمل)

وأنشد ابن نُجَيْم<sup>(٣)</sup> .

هَلَكُوا بِالرُّعَافِ وَالنَّمْلِ طَوْرًا ثُمَّ بِالنَّحْسِ وَالضَّبَابِ الذُّكُورِ<sup>(٤)</sup>  
وقال الأصمعيُّ في تسليطِ اللهِ الدَّرَّ على بعضِ الأُمم :

لحقوا بالزَّهَوَيْنِ فأمسوا لا ترى عُقْرَ دارهم بالمبينِ<sup>(٥)</sup>  
سلَّطَ اللهَ فازرا وعُقيفا نَ فجازاهمُ بدارِ شَطُونِ<sup>(٦)</sup>

(١) هو أبو عمرو بن العلاء . س : « أبو عمر » .  
(٢) البيت في صفة فعل من فحول الإبل . والنجار ، بالكسر : الأصل . حمى ظهره : أى منع ظهره من الركوب . ويرتزا ، بالبناء للمفعول : ينقص . وفي ط ، ه : « يرنو » و س : « يوتوا » تحريف ما أثبت من اللسان ( زبل ) والخصص ( ٨ : ١٢٠ ) . و « كريم » هى فى الأصل « كرم » وصوابها فى المرجعين السابقين .

(٣) فى ط ، ه : « لحيم » . وفى س : « لحيم » . وصوابه ما أثبت . واسمه يحيى بن نجم . وأسلفت ترجمته فى ( ٢ : ٣٥١ ) .

(٤) الرعاف ، بالراء المضمومة : سيلان الدم : وقد تحدث الجاحظ عن الإهلاك بالرعاف فى ( ٦ : ١٥٠ ) . س : « بالعرف » تصحيف . والضباب : جمع ضب ، ذلك الحيوان .

(٥) لعل « الزهوين » اسم مكان . س : « بالزهوتين » . ه : « بالزهوين » وعقر الدار : أصلها . وقيل : وسطها . ط : « عقد » صوابه فى س ، ه .

(٦) يقال عقفان « كتمان » وعقيفان بهيئة التصغير ، وسيأتى شرحه . وفى الأصل : « عقيفان » بقاءين ، وهو تصحيف صوابه فى اللسان . والرواية فيه :

سلَّطَ الدَّرَّ ، فازرُّ أو عُقيفا نَ فَاجْلَاهم لدارِ شَطُونِ

ط : « فجازاهم به إشطون » صوابه فى س ، ه .

٥ . يَنْبَغُ الْقَارَّ وَالْمَسَافَرَ مِنْهُمْ تَحْتَ ظِلِّ الْهَدَى بِذَاتِ الْغُصُونِ <sup>(١)</sup>  
 فازر ، وعَقِيفَان <sup>(٢)</sup> : صِنْفَانِ مِنَ الذَّرِّ ، وكذلك ذكروه عن دغفل  
 [ بن حنظلة ] الناسب <sup>(٣)</sup> . ويقال : إِنَّ أَهْلَ تِهَامَةَ هَلَكُوا بِالرُّعَافِ مَرَّتَيْنِ .  
 قال : [ وكان آخِرُ مَنْ مَاتَ بِالرُّعَافِ مِنْ سَادَةِ قَرِيْشٍ ، <sup>(٤)</sup> ] هِشَامُ  
 ابْنُ الْمَغِيرَةِ .

قال أمية بن أبي الصلت في ذلك :

تُرْعَ الذُّكْرَ فِي الْحَيَاةِ وَغَنَا وَأَرَاهُ الْعَذَابَ وَالتَّدْمِيرَا <sup>(٥)</sup>  
 أَرْسَلَ الذَّرَّ وَالْجَرَادَ عَلَيْهِمْ وَسَنِينًا فَأَهْلَكَتْهُمْ وَمُورًا <sup>(٦)</sup>  
 ذَكَرُ الذَّرَّ إِنَّهُ يَفْعَلُ الشَّرَّ وَإِنْ الْجَرَادَ كَانَ نُبُورًا <sup>(٧)</sup>

(١) القار ، تقرأ باختلاس الألف ليستقيم الوزن . وهو مقابل المسافر . وفي الأصل :  
 « القار » بالفاء . و « الهدى » هي في ط ، هـ : « الندى » .

(٢) عقيفان يقاف تليها ياء ثم فاء ، وبهيئة التصغير .

(٣) النص في لسان العرب : « قال دغفل النسابة : ينسب النمل إلى عقفان والفازر .  
 فعقفان جد السود ، والفازر جد الشقو » .

(٤) هذه الزيادة الضرورية أثبتنا اعتماداً على ما ورد في الحيوان ( ٦ : ١٥٠ ) حيث  
 يتحدث الجاحظ عن الرعاف .

(٥) أى سلبه الله حسن الذكر في حياته . و « غنا » هي كذلك في ط ، هـ .  
 وفي س : « غنى » وأراها محرفتين . ورواية الديوان ٣٤ : « سلب الذكر  
 في الحياة جزاء » . والضمير عائد إلى فرعون ، إذ يقول أمية قبل هذا البيت :

ويفرعون إذ تشاق له المسا . فهلا لله كان شكورا

قال إني أنا المحير على النا س ولا رب لي على مجيرا

فحاه لإله من درجات ناميات ، ولم يكن مقهورا

وأما البيت الآتي ، فهو من أمية حديث عن العذاب الذي ألحقه الله ببعض الأمم ،  
 انظر الديوان .

(٦) السنين : جمع السنة ، وهي القحط والأزمة . والمور « بالضم » الغبار بالريح . س :  
 « دموراً » ولها وجه ؛ فالدمور بالضم . أصله أن يهجم الرجل على القوم ، أو  
 يدخل عليهم بغير إذن ، وأثبت ما في ط ، هـ والديوان ، والحيوان ( ٦ : ١٥٠ ) .

(٧) الثبور : الهلاك .

## ( غلة سليمان )

وقرأ أبو إسحاق<sup>(١)</sup> قوله عز وجل : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ . حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ ﴾ فقال : كان ذلك الوادى معروفاً بـ وادى النمل ؛ فكأنه كان حى . وكيف نُشِكِرُ<sup>(٢)</sup> أن يكون حى ؟ ! [ و ]<sup>(٣)</sup> النملُ ربّما أجلت أمة من الأمم عن بلادهم .

ولقد سألت أهل كسكر<sup>(٤)</sup> فقلت : شَعِيرُكُمْ عَجَبٌ ، وَأَرْزُكُمْ عَجَبٌ ، وَسَمَكُكُمْ<sup>(٥)</sup> عَجَبٌ ، وَجِدَاؤُكُمْ عَجَبٌ ، وَبَطْنُكُمْ عَجَبٌ ، وَدَجَاجُكُمْ عَجَبٌ ، فلو كانت لكم أعناب ! فقالوا : كلُّ أرض كثيرة النمل لا تصلح فيها الأعناب . ثم قرأ : ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾ ، فجعل تلك الجحرة<sup>(٦)</sup> مَسَاكِنَ . والعربُ تسميها كذلك . ثم قال : ﴿ لَا يَحِطُّ بِكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ ﴾ فجمعت من اسمه وعينه ،

(١) هو إبراهيم بن سيار النظام .

(٢) ط ، هـ : « فكيف ينكر » .

(٣) الزيادة من ثمار القلوب ٣٤٥ .

(٤) كسكر ، يوزن جعفر : كورة من كور فارس . عن معجم ياقوت .

(٥) هذا هو الموافق لما سبق فى ج ٣ ص ٢٩٥ س ٢ . وفى ط ، هـ :

« سمككم » وفى س : « سمككم » وربما كانت هذه الأخيرة محرفة عن : « صحناكم »

وقد سبق تفسيرها فى حواشى ( ٣ : ٢٩٥ ) .

(٦) الجحرة ، بجم مكسورة تليها حاء مفتوحة : جمع جحر . وفى الأصل :

« الجحرة » محرف .

وَعَرَفَتِ الْجُنْدَ مِنْ قَائِدِ الْجَنْدِ ، ثُمَّ قَالَتْ : ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ فَكَانُوا  
مَعْذُورِينَ وَكُنْتُمْ مَلُومِينَ ، وَكَانَ أَشَدَّ عَلَيْكُمْ . فَلَذَلِكَ قَالَ : ﴿ فَتَبَسَّمْ  
صَاحِبُكَ مِنْ قَوْلِهَا ﴾ لِمَا رَأَى مِنْ [ بُعْدِ (١) ] غُورِهَا وَتَسْدِيدِهَا ،  
وَمَعْرِفَتِهَا . فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ : ﴿ رَبُّ أَوْزَعَنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ  
عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ  
الصَّالِحِينَ ﴾ .

### ( أمثال في النمل )

قال : ويقال : « ألطف (٢) من ذرة » و : « أضبط من نملة (٣) » .  
قال : والنملة أيضاً : قرحة تعرض للسق ، وهي معروفة في جزيرة  
العرب (٤) .

قال : ويقال : « أنشب من ذرة (٥) » .

### ( قول في بيت من الشعر )

فَأَمَّا قَوْلُهُ (٦) :

لَوْ يَدِبُّ الْحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ الذِّ رَّ عَلَيْهَا لَأَنْدَبَتْهَا الْكَلُومُ (٧)

- (١) الزيادة من س ، هـ .
  - (٢) ألطف « من اللطافة ، وهي الدقة . س : « ألطف » من الإلحاف ، وهو الإلحاح ؛ لأنها تلح في طلب قوتها .
  - (٣) أضبط ، من الضبط ، وهو شدة اللزوم . ويقال أيضاً « أضبط من ذرة ، ومن الأعمى ، ومن صبى » انظر أمثال الميداني ( ١ : ٣٩١ ) .
  - (٤) فسرهما صاحب القاموس بقوله : « قروح في الجنب . . . وبثرة تخرج في الجسد بالتهاب واحترق ، ويرم مكانها يسيراً ، ويدب إلى موضع آخر كالنملة » .
  - (٥) في الأصل : « أنشب » .
  - (٦) هو حسان ، كما في الموشح ٦٣ ، من قصيدة في ديوانه ٣٧٦ - ٣٨٠
  - (٧) أندبتها : أثرت فيها . والكَلُوم : جمع كلم ، بالفتح وهو الجرح . قالوا : وأفضل من قول حسان هذا ، قول امرئ القيس ( انظر الموازنة ١٣٦ ) :
- من القاصرات الطرف لودب محول من الذر فوق الإتب منها لأثرا

فَإِنَّ الْحَوْلَى مِنْهَا لَا يُعْرَفُ مِنْ مَسَانَّتِهَا<sup>(١)</sup> ، وَإِنَّمَا هُوَ كَمَا  
قَالَ الشَّاعِر :

تَلَقَّطَ حَوْلَى الْحَصَى فِي مَنَازِلٍ مِنَ الْحَيِّ أُمَسَّتْ بِالْحَبِيبَيْنِ بَلَقَهَا<sup>(٢)</sup>  
قَالَ : وَحَوْلَى الْحَصَى : صَبَاغُهَا . فَشَبَّهَ بِالْحَوْلَى مِنْ ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ .

### (أَحَادِيثُ وَأَثَارٌ فِي النَّمْلِ)

ابن جُرَيْجٍ ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ ، عَنْ عُيَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتَبَةَ ، عَنْ  
ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مِنَ الدَّوَابِّ أَرْبَعٌ ٦  
لَا يُقْتَلْنَ : النَّمْلَةُ ، وَالنَّحْلَةُ ، وَالصُّرَدُ ، وَالْمُذْهَدُ » .

وَحَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَسْعُودِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ  
ابْنُ سَعْدٍ ، مَوْلَى عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ<sup>(٣)</sup> قَالَ : « نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْزِلًا فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ ، فَجَاءَ وَقَدْ أَوْقَدَ رَجُلٌ عَلَى قَرْيَةٍ  
نَمْلًا ، إِمَّا فِي شَجَرَةٍ وَإِمَّا فِي أَرْضٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :  
مَنْ فَعَلَ هَذَا ؟ أَطْفِئْهَا أَطْفِئْهَا ! » .

وَيَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ بْنِ جَرِيرٍ<sup>(٤)</sup> ، قَالَ : أَنْبَأَنَا أَبُو زُرْعَةَ

(١) المسان : الكبار السن . ط ، هـ : « مسكنها » ، وصوابه في س .

(٢) ط : « بالجبين » . وفي الموازنة ١٣٧ : « بالحيين » .

(٣) س : « مولى عبد الرحمن بن عبد الله » .

(٤) هو أبو زُرْعَةَ بْنُ عَمْرِو بْنِ جَرِيرٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ الْكُوفِيُّ ، اختلف في اسمه ،  
فَقِيلَ هَرَمٌ ، وَقِيلَ عَمْرُو ، وَقِيلَ عَبْدُ اللَّهِ ، وَقِيلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَقِيلَ جَرِيرٌ . من الرواة  
النفقات . تقريب التهذيب .

عن أبي هريرة قال : « نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة ، فعصته نملة ، فقام إلى نمل كثير تحت شجرة فقتلهم ، فقبل له : أفلا نملة واحدة ؟ » .

وعبد الله بن زياد المدني ، قال : أخبرني ابن شهاب ، عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة ، فقصته نملة ، فأمر بجهازه <sup>(١)</sup> فأخرج من تحتها ثم أمر بقرية النمل فأحرقت ، فأوحى الله إليه : أفي أن قرصتك نملة أهلكك أمة من الأمم يسبحون الله تعالى ؟ ! فهلا نملة واحدة ! » .

يحيى بن كثير ، قال : حدثنا عمر بن المغيرة بن الحارث الزماني <sup>(٢)</sup> عن هشام الدستوائي <sup>(٣)</sup> قال : إن النمل والذر إذا كانا في الصيف كله ينقلن الحب ، فإذا كان الشتاء وخفن أن ينبت فلقته .

هشام بن حسان ، أن أهل الأحنف بن قيس لقوا من النمل أذى ، فأمر الأحنف بكرسي [ فوضع عند جحرهن ، فجلس عليه ثم تشهد ] فقال : لَتَنْتَهَنَّ أَوْ لَتُحَرَّقَنَّ عَلَيْكُنَّ ، أَوْ لَتَنْفَعَلَنَّ أَوْ لَتَنْفَعَلَنَّ <sup>(٤)</sup> ! قال : فذهبن .

(١) الجهاز ، بالفتح : المتاع . والكسر لغة رديئة . وانظر إسناد هذا الحديث والقول فيه عند الدميري .

(٢) ط ، هـ : « الزناني » . وأثبت ما في س ، وكتب في جانب منها : « خ : الزناني » .

(٣) كذا على الصواب في س . وفي ط ، هـ . « ابن الدستوي » . وانظر ما أسلفت من تحقيق

في هذا الراوى ( ٣ : ٥٣٧ — ٥٣٨ ) وكذا تذييل الجزء الثالث .

(٤) ط ، هـ : « أَوْ لَتَنْفَعَلَنَّ » بالياء ، وليس بشيء . والتكرار لتأكيد الوعيد

• وعوف بن أبي جميلة<sup>(١)</sup> عن قسامة بن زهير<sup>(٢)</sup> قال : قال أبو موسى الأشعري : « إن لكل شيء سادة ، حتى إن للنمل سادة . »

عبد الله بن زياد المدني ، قال : أنبأنا ابن شهاب ، عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : خرج نبي من الأنبياء بالناس يستسقون ، فإذا هم بنملة رافعة رأسها إلى السماء ، فقال ذلك النبي : ارجعوا فقد استجيب لكم من أجل هذا التمل ! » .

مسعر بن كدام<sup>(٣)</sup> ، قال . حدثنا زيد القمي<sup>(٤)</sup> عن أبي الصديق الناجي<sup>(٥)</sup> قال « خرج سليمان بن داود — عليهما الصلاة والسلام — يستسقي فرأى نملة مستلقية على ظهرها ، رافعة قوائمها إلى السماء وهي تقول :

(١) عوف بن أبي جميلة ، بفتح الجيم ، الأعرابي العبدى البصرى ، ثقة روى بالقدر وبالتشيع . مات سنة ست ، أو سبع وأربعين بعد المائة ، وله ست وثمانون . تقريب التهذيب .

(٢) قسامة ، بفتح القاف « ابن زهير المازنى البصرى » راو من التابعين البصريين ، وكان من افتتح الأبله مع عتبة بن غزوان . الإصابة ٧٢٨٠ .

(٣) مسعر ، بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح المهملة ، ابن كدام ، ككتاب ، ابن ظهير الهلال ، أبو سلمة الكوفي . ثقة ثبت فاضل مات سنة اثنتين ، أو ثلاث أو خمس وخمسين بعد المائة . تقريب التهذيب ، والمعارف ٢١١ . قال ابن قتيبة : « وكان يقول : من أبغضني فعمله الله محذوا ! » . لعله يريد ما يعانون من مشقة التثيت . وفي الأصل : « مسعود » ، وهو تحريف .

(٤) كذا ورد في الأصل بالقاف ، ولعله « العمى » البصرى قاضى هراة ، الذى ترجم له ابن حجر في التقريب ١٧٣ . قالوا : إنما قيل له العمى لأنه إذا سئل عن شيء قال : لا حتى أسأل عمى .

(٥) أبو الصديق بتشديد الدال المكسورة : هو بكر بن عمرو — وقيل ابن قيس — الناجي بالنون والجيم المكسورة ، وهو لقب له ، بصرى ثقة مات سنة ثلاث ومائة . وفي الأصل : « الباجى » وصوابه في القاموس والتقريب .

اللهم إنا خلقنا من خلقك ، ليس بنا غنى عن سقائك ، فإِذَا أَنْ تَسْقِينَا  
وترزقنا ، وإِذَا أَنْ تُمَيِّنَنَا وَتُهْلِكَنَا ! فقال : ارجعوا فَقَدْ سَقِيتُمْ  
بدعوة غيركم ! » .

### ( تَأْوِيل آيَة )

وحدثني أبو الجهماء قال : سأل أبو عمرو المكفوف<sup>(١)</sup> عن قوله تعالى :  
﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا ۖ  
مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . فَتَبَسَّمَ  
ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا ﴾ . فقلت له : إن نذيراً يعجب<sup>(٢)</sup> منه نبي من الأنبياء  
ثمَّ يعظم خطره حتى يضحكه لعجيب ! قال : فقال : ليس التأويل مذهب  
إليه . قال : فإنه قد يضحك النبي ، عليه السلام ، من الأنبياء من كلام  
العبي ، ومن نادرة غريبة . وكلُّ شيء يظهر من غير معدنه ، كالنادرة  
تسمع من المجنون ، فهو يضحك . فتبسَّم سليمان عندى على أنه استظرف  
ذلك المقدار من النملة ، فهذا هو التأويل .

### ( سَادَة النَّمْل )

وقال أبو الجهماء : سألتُه عن قول أبي موسى<sup>(٣)</sup> : إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ  
سَادَةً حَتَّى الدَّرَّ . قال : يقولون : إِنَّ سَادَتَهَا الْآوَاتِي يَخْرُجْنَ مِنَ الْجَحْرِ  
يَرْتَدْنَ بِجَاعَتِهَا ، ويستبقن إلى شَمِّ الذى هُوَ مِنْ طَعَامِهِنَّ .

(١) المعروف : أبو عمر ، وهم جماعة في تقريب التهذيب . س : « المكفوف » .

(٢) س : « إن تديراً يتعجب » .

(٣) هو أبو موسى الأشعري ، كما سبق في الصفحة التي مضت .

## (تأويل شعر زهير)

وقال زهير :

وَقَالَ سَافِضَى حَاجَتِي ثُمَّ أَتَقَى      عَدُوِّي بِأَلْفٍ مِنْ وَرَائِي مُلْجَمٍ  
فَشَدَّ      وَلَمْ تَفْزَعْ بَيُوتٌ كَثِيرَةٌ      لَدَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهُمَا ثُمَّ قَشَعَمُ<sup>(١)</sup>  
قال بعض العلماء : قرية النمل .

## (استطراد لغوى)

قال : ويقال في لسانه حُبْسَةٌ : إذا كان في لسانه ثِقْلٌ يَمْنَعُهُ مِنَ الْبَيَانِ .  
فَإِذَا كَانَ الثَّقَلُ الَّذِي فِي لِسَانِهِ مِنْ قِبَلِ الْعُجْمَةِ<sup>(٢)</sup> قِيلَ : فِي لِسَانِهِ  
حُكْلَةٌ . وَالْحُكْلُ مِنَ الْحَيَوَانِ كُلُّهُ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُ صَوْتُ يُسْقَبَانُ بِاخْتِلَافِ  
مَخَارِجِهِ ، عِنْدَ حَرَجِهِ ، وَضَجَرِهِ ، وَطَلْبِهِ مَا يَغْدُوهُ ، أَوْ عِنْدَ هَيَاجِهِ إِذَا أَرَادَ  
السَّفَادَ ، أَوْ عِنْدَ وَعِيدٍ لِقِتَالٍ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِ .

## (رأى الهند في سبب اختلاف كلام الناس)

وتزعم الهند أن سبب ما له كثير كلام الناس واختلفت صور  
ألفاظهم<sup>(٣)</sup> ، ومخارج كلامهم ، ومقادير أصواتهم في اللين والشدة ،

(١) يقول : شد على عدوه وحده فقتله ، ولم تفزع بيوت كثيرة ، أراد أنه لم يستعن  
عليه بأحد . س : « يفزع » ه : « يقرع » ، وهذه الأخيرة محرفة .  
وأم قشع : الحرب ، أو المنية ، أو الضيع ، أو العنكبوت ، أو الذلة . وبكل فسر  
قول زهير .

(٢) في الأصل : « العجمة » .

(٣) بعد هذه في كل من ط ، ه : « واتسمت على قدر اتساع معرفتهم » . وهو =

وفي المدّ والقطع - كثرة<sup>(١)</sup> حاجاتهم . وليكثر<sup>(٢)</sup> حاجاتهم كثرت  
خواطرهم وتصاريق ألفاظهم ، واتسعت على قدر اتساع معرفتهم .

قالوا : فحوائج السنائر لاتعدو خمسة أوجه : منها صياحها إذا ضربت ،  
ولذلك صورة . وصياحها إذا دعت أخواتها وآلافها<sup>(٣)</sup> ، ولذلك صورة<sup>(٤)</sup> .  
وصياحها إذا دعت أولادها للطعم ، ولذلك صورة . وصياحها إذا جاعت ،  
ولذلك صورة<sup>(٥)</sup> . فلما قلت وجوه المعرفة ووجوه الحاجات ، قلت وجوه  
مخارج الأصوات . وأصواتها تلك فيما بينها هو كلامها .

وقالوا : ثم من الأشياء ما يكون صوتها خفياً فلا يفهمه عنها إلا ما كان  
من شكلها . ومنها<sup>(٦)</sup> ما يفهم صاحبه بضروب الحركات والإشارات  
والشمال . وحاجاتها ظاهرة جليلة ، وقليلة العدد يسيرة . ومعها من المعرفة  
ما لا يقصر عن ذلك المقدار ، ولا يجوزه . ٨

[ و ] راضية الإبل ، والرعاء ، ورواض الدواب في المروج ، والسوأس ،  
وأصحاب القنص بالكلاب والفهود ، يعرفون باختلاف الأصوات والهيئات  
والتشوف ، واستحالة البصر ، والاضطراب ، ضرورياً من هذه الأصناف ،  
ما لا يعرف مثله من هو أعقل منهم<sup>(٧)</sup> ، إذا لم يكن له من معاينة أصناف

= تكرار لعبارة ستأتي بعد سطرين . وإثباتها هنا يفسد الكلام . فالوجه حذفها  
كما في س .

(١) ط ، هـ : « كثرت » ، ووجهه ما أثبت من س .

(٢) ط ، هـ : « وليكثر » ، صوابه ما كتبت من س .

(٣) الآلاف بعد الهزة في أوله : جمع ألف بالكسر وهو الألف . ط :  
« آلفها » صوابه في س ، هـ .

(٤) ط : « وجه » . وساق القول يقتضي ما أثبت من س ، هـ .

(٥) ذكر الجاحظ ، كما رأيت ، أربعة أوجه ، لالحسة . فهو سهو منه .

(٦) في الأصل : « ومنتهى » .

(٧) في الأصل : « منه » .

الحيوان ما لَهُمْ<sup>(١)</sup> . فالحُكْلُ من الحيوان [ من<sup>(٢)</sup> ] هذا الشكل . وقد ذكرناه مرّة . قال رؤبة<sup>(٣)</sup> :

لَوْ أَنِّي عُمِرْتُ عُمَرَ الحِجْلِ أَوْ أَذْنِي أُوتِيتُ عِلْمَ الحُكْلِ  
عِلْمَ سُلَيْمَانَ كَلَامَ التَّمْلِ

(تأويل بيت للعُمَانِي)

وقال أبو العباس محمد بن ذؤيب الفَقِيمِيُّ وهو الذي يقال له العُمَانِيُّ<sup>(٤)</sup> في بعض قصائده في عبد الملك بن صالح . والعُمَانِيُّ ممن يُعَدُّ ممن جَمَعَ الرَجَزَ والقصيد ، كعُمَرَ بنِ الجَلِ<sup>(٥)</sup> . وجريّر بن الخطّفي ، وأبي النّجم وغيرهم . قال العُمَانِيُّ :

وَيَعْلَمُ قَوْلَ الحُكْلِ لَوْ أَنَّ ذَرَّةً تَسَاوَدُ أُخْرَى لَمْ يَفْتَهُ مِوَادُّهَا<sup>(٦)</sup>  
يقول : الذَّرَّةُ الذي لَا يُسْمَعُ<sup>(٧)</sup> لمناجاته صوت ، لو كان بينها سِوَادٌ<sup>(٨)</sup>  
لفهمه . والسّواد هو السّرار<sup>(٩)</sup> . [ قال النّبيُّ صلى الله عليه وسلم لابن مسعود :

(١) في الأصل : « لغيرهم » .

(٢) ليست بالأصل .

(٣) انظر ما سبق من التنبيه في ص ٨ .

(٤) سبقَت ترجمته في ( ٢ : ١٦٦ )

(٥) في الأصل : « كمرو » وصوابه ما أثبت ، وقد سبقَت ترجمته في ( ١ : ٣٤٩ ) .  
و « لجأ » هو والد عمر ، وأصل اللجأ المقل ، والملاذ . فهو اسم مصروف ، وليس  
ما أتى على وزن الفعل ، وانفرد صاحب القاموس بقوله إنه جد عمر ، وأن والده  
يسمى الأشعث .

(٦) ط : « تساود أخرى » وصوابه في س ، ه والبيان ( ١ : ٤٠ ، ٣٢٥ ) .

(٧) ط ، ه : « لم يسمع » . والأوجه ما أثبت من س .

(٨) ط : « سواء » صوابه في س ، ه .

(٩) ط ، ه : « السواد » والماء لا يفسر بالماء ! صوابه في س . والمرار ،  
بالكسر : التحدّث سرّاً .

« أَذْنَكَ حَتَّى أَسَاوِدَكَ » أَيْ تَسْمَعُ سَوَادِي . وَقَالَتْ ابْنَةُ الْخُسِّ : « قُرْبُ الْوَسَادِ »  
وَطُولُ السَّوَادِ (١) .

قال أبو كبير الهذلي :

سَاوَدَتْ عَنْهَا الطَّالِبِينَ فَلَمْ أَنْمَ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى السَّمَاءِ الْأَعْزَلِ (٢)  
وقال النمر بن تولب :

وَلَقَدْ شَهِدْتُ إِذَا الْقِدَاحُ تَوَحَّدَتْ وَشَهِدْتُ عِنْدَ اللَّيْلِ مُوقِدَ نَارِهَا (٣)  
عَنْ ذَاتِ أَوْلِيَّةٍ أَسَاوِدُ رَبِّهَا وَكَأَنَّ لَوْنَ الْمِلْحِ تَحْتَ شِفَارِهَا (٤)  
وقد فسرنا شأن الحكل (٥) .

وقال التيمي الشاعر (٦) المتكلم - وأنشد لنفسه وهو يهجو ناساً من بني  
تَغْلِبَ معروفين - :

عُجْمٌ وَحُكْلٌ لَا تَتَيْنُ ، وَدِينُهَا عِبَادَةُ أَعْلَاجٍ عَلَيْهَا الْبِرَانِسُ (٧)

(١) قالت هذا حين سئلت : « ما حلك على أن زנית بعبدك ؟ » . انظر البيان  
( ١ : ٣٢٤ ) ، والحيوان ( ١ : ١٦٩ ) ، والصناعتين ٣٢٠ .

(٢) ط ، هـ : « ساورت » ، صوابه في س . والسهاك الأعزل : منزلة من منازل  
القمر ، وهو نجم يظهر مع الفجر .

(٣) القداح هنا قداح الميسر . توحدت : أى أخذ كل رجل قدحا ولم يقدر على غيره ؛  
لشدة الزمان وغلاء اللحم .

(٤) عن ذات أولية : أى من أجل ناقة ذات أولية ، رعت وليا بعد ولي من المطر  
فسمنت . أساود رباها : يقول : أساره وأفاجيه لأخذه عنها فيسمح بها ليبرى  
عليها الميسر . وكأن لون الملح فوق شفاها : أى أن الشفار التي تذيب بها وتقطع  
يعلق بها شحم هذه الناقة السمينة فيحكي ذلك لون الملح . ط : « أساور » صوابه  
في س ، هـ ، والميسر والقداح ص ١١٨ والمعاني الكبير ١١٦٠ .

(٥) انظر ص ٢٣ وكذا ص ٢١ .

(٦) ذكره الصولي في الأوراق ٧٦ باسم « التيمي بن محمد » .

(٧) الأعلاج : جمع عُلج ، بالكسر ، وهو الرجل من كفار العجم . والبرانس :  
جمع برنس ، وهو القلنسوة الطويلة ، وكان النساك يلبسونها في صدر الإسلام .  
والبرنس أيضاً : كل ثوب رأسه منه ملتزق به ، دراعة كان أو مطراً أوجبة .  
وفي حديث عمر : « سقط البرنس عن رأسي » هو من هذا . والرواية في البيان  
( ١ : ٤٠ ) : « ولسكن حكلا لا تين » .

فَفَصَلَ بَيْنَ الْحُكْلِ وَالْعُجْمِ ، فَجَعَلَ الْعُجْمَ <sup>(١)</sup> مِثْلَ ذَوَاتِ الْحَافِرِ  
وَالظَّلْفِ وَالْخَفِّ ، وَجَعَلَ الْحُكْلَ كَالذَّرِّ وَالنَّمْلِ وَالْخَنَافِسِ ، وَالْأَشْكَالِ  
الَّتِي لَيْسَتْ تَصْبِيحُ مِنْ أَفْوَاهِهَا . فَقَالَ لِي يَوْمَئِذٍ حَفْصُ الْفَرْدُ <sup>(٢)</sup> : [ أَشْهَدُ ]  
أَنَّ الَّذِي يَقَالُ فِيهِ حَقٌّ <sup>(٣)</sup> ، كَانَ وَاللَّهِ نَصْرَانِيًّا ، ثُمَّ صَارَ يُخْبِرُ عَنِ  
النَّصَارَى كَمَا يُخْبِرُ عَنِ الْأَعْرَابِ !

### ( بَيْنَ الْأَصْمَعِيِّ وَالْمُفَضِّلِ )

٩ [ وَ ] قَالَ الْأَصْمَعِيُّ لِلْمُفَضِّلِ ، لَمَّا أَنْشَدَ الْمُفَضِّلُ جَعْفَرَ بْنَ سُلَيْمَانَ <sup>(٤)</sup>

قَوْلَ أَوْسٍ بْنِ حَجَرٍ :

وَذَاتِ هَدْمٍ عَارٍ نَوَاشِرُهَا تُصْمِتُ بِالمَاءِ تَوَلِّبًا جَدْعًا <sup>(٥)</sup>

- (١) ط ، هـ : « ذوات العجم » وكلمة « ذوات » مقحمة .  
(٢) من الحجيرة ، وكان من أهل مصر . قدم البصرة فسمع بأبي الهذيل واجتمع معه  
وناظره ، فقطعه أبو الهذيل . وله عدة تصانيف سردها ابن النديم في الفهرست  
٢٥٥ مصر ١٨٠ ليسك .  
(٣) ط ، هـ : « حق » ، وهو على الصواب في س .  
(٤) كذا أيضاً في التنبيهات على أغاليط الرواة في نسختنا الخطية . وفي اللسان أنه سليمان  
ابن علي الهاشمي .  
(٥) الهدم ، بالكسر : الثوب الخلق المرقع . هـ ، س : « عدم » والعدم ، بالضم  
الفقر وفقدان المال ، ولم أجد هذه الرواية فيما عندي . والنواشر : عصب الذراع  
من داخل وخارج . وعريت نواشره : فقدت ما يكسوها من لحم ، وهو علامة  
المجاعة . تصمت بالماء تولباً : أي نسكت ولدها الذي يبكي من الجوع بشيء من  
الماء . وأصل التولب : ولد الحمار ؛ لكن أوساً أساء الاستعارة لجعله الطفل تولباً  
انظر العمدة ( ٢ : ٢٠٤ ) . وهذا البيت قد وهم فيه قدامة فظن أن سوء  
الاستعارة، هذا يسمى معازلة وقال : لا أعرف المعازلة إلا فاحش الاستعارة .  
وانظر الرد عليه في كل من الصناعتين ١٥٥ وسر الفصاحة ١٥١ . والبيت من  
قصيده جيدة يرقى بها فضالة بن كلدة مطلعها :

أَيْتَمَا النَّفْسِ أَجْمَلِي جِزْعًا إِنَّ الَّذِي تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعَا  
وَقَبِلَ الْبَيْتَ :

ليبيكك الشرب والمدامة والافتيان طرا وطامع طمعا  
وانظر ما قيل في مجالس العلماء للزجاجي وحواشيه ص ١٠٤ والمقاييس ( جدع ) .

فجعل الدّال معجمة ، وفتحها ، وصحّف ، وذهب إلى الأجداع<sup>(١)</sup> .  
قال الأصمعيّ : إنما هي : « تَوَلَّباً جَدِعا » الدّال مكسورة . وفي الجَدِيع  
يَقُولُ أبو زيد :  
ثمّ استقاها فلم يقطع نظائماً عنها عن التّضبيب لا عِبْلٌ ولا جَدِيعُ<sup>(٢)</sup>  
وإنما ذلك كقول ابن حَبْناء الأشجعيّ<sup>(٣)</sup> :  
وأرسلَ مُهَمَّلاً جَدِعاً وخفّاً ولا جَدِيعُ الثَّباتِ ولا جَدِيبُ<sup>(٤)</sup>  
فنفخ المفضّل ، ورفع بها صوته « وتكلّم وهو يصيح . فقال الأصمعيّ :  
لو نفخت بالشُّبور لم ينفعك ! تكلّم بكلام الثَّمَلِ وأصِيبُ<sup>(٥)</sup> !

(١) الأجداع : جمع جذع بالتحريك ، وهو من الحافر ما كان في الثالثة .

(٢) التّضبيب : السّن وكثرة اللحم . ه فقط : « التّضبيب » . والجَدِيع ، ككتف :  
فعل بمعنى مفعول « ولا يعرف مثله . وهو السيّء الغداء .

(٣) ابن حَبْناء ، يطلق على ( خمسة من الشعراء ) ثلاثة منهم إخوة ، وحَبْناء « اسم أهمهم  
كما في القاموس ومعجم المرزباني ٣٦٩ والمؤتلف والمختلف ١٠٥ ، أو هو لقب لأبيهم  
لقب به لحب أصابه . والحب : داء في البطن يعظم منه ويرم . الأغاني ( ١١ : ١٥٦ ) .  
وأعرف هؤلاء الإخوة الثلاثة هو المغيرة بن حَبْناء ، وكان بينه وبين أخيه صخر  
مناقضات شعرية روى بعضها أبو الفرج ( ١١ : ١٦٢ - ١٦٣ ) . وثالث هذين  
الأخوين هو يزيد بن حَبْناء وكان من الخوارج ، وكان أخوه المغيرة من رجال المهلب  
ابن أبي صفرة . ويعرف بهذا الاسم أيضاً أخوان آخران ، أحدهما بلعاء بن قيس الكنانيّ  
وأخوه جثامة . وأمهما الحَبْناء بنت وائلة . وقد تقدّمت ترجمة بلعاء في ( ٣ :  
٦٠ ) . جاء في ط : « حَبْناء » صوابه في ه ، س . على أني أستبعد صحة العبارة  
هنا إذ ليس أحد من هؤلاء الشعراء الخمسة من تصح له نسبة « الأشجعي » .  
والمعروف بهذه النسبة من الشعراء هو جبهاء ( ويقال أيضاً جبيها بالتصغير )  
وهو شاعر بدوي من مخاليف الحجاز ينتهي نسبه إلى بكر بن أشجع . نشأ وتوفى  
في أيام بني أمية ، وهو من المقلّين ، وله حديث مع الفرزدق في الأغاني .  
( ١٦ : ١٤١ ) .

(٤) المراد بالخلف هنا الإبل .

(٥) تجدد هذه القصة مع بسط وتفصيل ، في اللسان ( جدع ) .

والشُّبُور : شئٌ مثل البُوق ، والكلمة بالفارسيَّة (١) . وهو شئٌ يكون لليهود ، إذا أراد رأسُ الجالوت (٢) أن يحرمَ كلامَ رجلٍ منهم نفخُوا عليه بالشُّبور .

### (تحريم الكلام لدى اليهود والنصارى)

وليسَ تحريمُ الكلامِ مِنَ الحدودِ القائمةِ في كتبهم ، ولكنَّ الجاثليقَ (٣) ورأسَ الجالوتِ ، لا يمكنُهُما في دار الإسلام حبسٌ ولا ضربٌ ؛ فليس عندهما إلَّا أن يغرَّما المالَ ، ويُجرَّما الكلامَ . على أنَّ الجاثليقَ كثيراً ما يتغافل عن الرَّجلِ العظيمِ القدرِ ، الذي له من السُّلطانِ ناحيةٌ . وكان طيمانو (٤) رئيسَ الجاثليقِ ، قد همَّ بتحريمِ كلامِ عَوْنِ العباديِّ (٥) ، عند ما بلغه من اتِّخاذِ السَّراريِّ (٦) ، فتوعَّده وحلف : لئن فعلَ يُسْلِمَنَّ ! وكما تركَ الأشقيـلَ (٧) وميخايلَ (٨) وتوفيلَ (٩) ،

(١) الصحيح أنها مأخوذة من العبرية . انظر الاستدراكات .

(٢) انظر لتفسير هذه الكلمة تذييل هذا الجزء .

(٣) الجاثليق « بفتح الثاء : رئيس من رؤساء النصارى يكون تحت يده المطران ، ثم الأسقف ، ثم القسيس ، ثم الشماس .

(٤) كذا . ولعله : « طيمانوس » كما أفادنيه حضرة المحقق القدير الأب أنستاس .

(٥) العبادي : نسبة إلى العباد ، بكسر العين ، وهم قبائل شتى اجتمعوا على النصرانية بالخير .

(٦) السراري : جمع سرية ، وهي الأمة المملوكة التي بوئت بوثا . ونظام التمرى ، أى اتِّخاذُ للسراري ، نظام إسلامي يقصد به تكثير نسل المسلمين . والتمرى محظور على النصارى . انظر رسائل الجاحظ بهامشة الكامل (٢ : ١٧٦) .

(٧) كذا في س ، هـ . وفي ط : « الأشقيـل » .

(٨) س : « ميخايل » .

(٩) وجه الصواب فيه : « تيوفيل » أو « تيوفيل » .

سَمَلَ عَيْنٍ مَنُوبِلٍ<sup>(١)</sup> - وفي حكمهم أنَّ من أعان المسلمين على الروم يقتل ، وإن كان ذا رأي سَمَلُوا عَيْنِيهِ ولم يقتلوه - فتركوا سُنتهم فيه .

وقد ذكرنا شأنهم في غير ذلك ، في كتابنا على النَّصَارَى<sup>(٢)</sup> . فإن أردته فاطلبه هنالك .

### (تأويل بيت لابن أبي ربيعة)

وقال عمر بن أبي ربيعة :

لَوْ دَبَّ ذُرٌّ فَوْقَ ضَاحِي جِلْدِهَا لَأَبَانَ مِنْ آثَارِهِنَّ حُدُورُ<sup>(٣)</sup>  
والحذر : الورم والأثر<sup>(٤)</sup> يكون عن الضرب .

(١) سمل عينه : ففأها . وبدل هذه العبارة في ط : « وسَمَعِينِ وَمَنُوبِلٍ » وفي هـ : « سَمَلِ عَيْنٍ وَمَنُوبِلٍ » ، وصوابه في س .

(٢) في الأصل : « النصري » ، وهو تحريف . وكتابة الجاحظ عن النصاري وثيقة تاريخية هامة ، تظهرنا على حقائق غريبة ، وتبين لنا مدى اتصال النصاري بالمسلمين في عصره . وقبل عصره . وتجد فقرأ منها بهامشة الكامل ( ٢ : ١٤٨ - ١٩٨ ) .

(٣) ضاحي جلدها : أي جلدها الضاحي المشرق . وأبان هنا فعل لازم بمعنى بان وظهر . و « حذور » فاعل أبان ، ومنه في الكتاب : « حمّ والسكتاب المين » أي البين الظاهر ، في أحد وجهي تأويله . وفي ط ، وكذا اللسان ( مادة حدر ) والمخصص ( ٢ : ٨٠ ) « حذورا » بالنصب ، وهو خطأ صوابه في هـ ، س ؛ إذ أن البيت من قصيدة مضمومة الروي ، كما في ديوان عمر ص ١٢ ، مطلعها : لمن الديار كأنهن سطور تسدى معالمها الصبا وتير

وقبل البيت :

تلك التي سبت الفؤاد فأصبحت والقلب رهن عندها مأسور

(٤) في الأصل : « والحذر والورم الأثر » ، وصوابه ما أثبت .

## (التسمية بالنمل)

وقد يسمَّى بنملة ونَمِيلَة ، ويكتنون بها . وتسمَّوا بذَرٍّ ، واكتنوا بآبَى ذَرٍّ . ويقال : سيفٌ في مَتْنِه ذَرٌّ ، وَهُوَ ذَرِيُّ السَّيْفِ <sup>(١)</sup> .

## (شعر في صفة السيف)

وقال ابن ضَبَّة <sup>(٢)</sup> :

وقد أَغْدُوْ مع الفتيانِ بالمنجردِ السَّيْفِ <sup>(٣)</sup>  
وذى البركةِ كالتَّابِو تِ والمَحْزَمِ كالقَرِّ <sup>(٤)</sup>

(١) في الأصل : « ذر السيف » وأصلحته معتمداً على لسان العرب ، وفيه : « وفري السيف : فرنده ومائه ، يشبهان في الصفاء بمذب النمل والذر . قال عبد الله ابن سيرة :

كل ينوء بماضى الحد ذى شطب جلى الصياقل عن ذريه الطبعما

(٢) ذكره الجاحظ في البيان ( ٣ : ٧٦ ) مع الشعراء العرجان . وهو القائل : وكنت أمشي على رجلين معتدلاً فصرت أمشي على أخرى من الشجر

(٣) المنجرد من الخيل : القصير الشعر ، وذلك من علامات المتق والكرم . ط ، هـ : « بالخنجر » س : « بالمتجرد » ، وصوابه ما أثبت كما في اللسان ( تر ) . والتر من الخيل : المعتدل الأعضاء ، الخفيف ، الدرير . ط ، هـ : « والبر » وأثبت الصواب من س واللسان . وقد روى ابن الشجري هذا البيت في أماليه ( ١ : ٨٢ ) :

وقد أغدو إلى الهييجا بالمتحنتك الش

روى الكلمة الأخيرة بالياء المثلثة قال : « يتال سحاب ثر ، للكثير الماء . واستعاروه للفرس الكثير الجري » .

(٤) البركة ، بالكسر : الصدر . والتابوت : الصندوق يحرز فيه المتاع ، وهى كلمة عبرية الأصل . والمحزم ، كجلس : موضع الخزام . والقر ، بالفتح : الهودج :

مَعَى قَاضِيَةِ كَالِمٍ حَرِّ فِي مَتْنِهِ كَالذَّرِّ (١)  
١٠ وَقَدْ أَعْتَسِرُ الضَّرْبَةَ تَشْنِي شَتْنُ الشَّتْرِ (٢)

وقال الآخر :

تَكَادُ الرِّيحُ تَرْمِيهَا صَرَارًا وَتَرْجَفُ إِنْ يُلْشَمُهَا خِمَارُ (٣)  
وَتَحْسَبُ كُلَّ شَيْءٍ قَبِيلَ حَقًّا وَرُعْبُ قَلْبِهَا الذَّرُّ الصَّغَارُ

وقال أوس بن حجر ، في صفة السيف :

كَأَنَّ مَدَبَّ النَّمْلِ يَتَّبِعُ الرِّبَا وَمَدْرَجَ ذَرِّ خَافَ بَرْدًا فَأَسْهَلَ (٤)  
عَلَى صَفْحَتِهِ بَعْدَ حِينَ جِلَانِهِ كَفَى بِالَّذِي أَبْلَى وَأَنْعَتَ مُنْصَلًا (٥)

(١) القاضية ، أراد به السيف القاضب ، فإثاء فيه للمبالغة ، كراوية . ولم أر هذه اللفظ لهذا المعنى في كتاب . وجعله كالملاح في بياضه . والعرب يشبهون الشيء الأبيض بالملاح كما سبق تشبيه الشحم به في ص ٢٤ س ٧ . وجاء هذا البيت مخروما في اللسان ( مادة تر ) . ويمكن تصحيحه وإكماله ما هنا .

(٢) أعتسر الضربة ، أصله من اعتسر الرجل الكلام : إذا اقتضبه قبل أن يزوره ويهيئه . يقول : يفاجئ عدوه بالضربة السريعة . ط ، س : « أعتسر » صوابه في هـ . والشت ، بالفتح : الجرح . وفي الأصل : « الشبر » ولا وجه له وأما « شتن » فهي في ط : « شتن » والكلمتان غير واضحتين .

(٣) س : « تلشمها » ، والوجه ما أثبت من ط ، هـ .

(٤) الربا : جمع ربوة ، وهو المكان المرتفع . وفي الأصل : « الربا » ولا وجه له وصوابه في ديوان أوس وعيون الأخبار ( ٢ : ١٨٧ ) ومعاهد التنخيص ( ١ : ٤٨ ) والشعراء ١٥٧ . وأسهل : صار في السهل من الأرض .

(٥) ط : « على صفحة من » ، والوجه « صفحته » مع حذف « من » كما في س ، هـ والديوان . ورواية الديوان : « على صفحتيه من متون جلانه » .

## ( انتقام عقيل بن علفة مما خطب إحدى بناته )

قال : وخطب إلى عقيل بن علفة بعض بناته رجلاً من الحرقفة<sup>(١)</sup> من جُهينة ، فأخذه فشده قِطاً ۖ ودهن آسته برُبٍّ وقمطه<sup>(٢)</sup> وقرّبه من قرية النمل ، فأكل النمل حُشوة بطنه<sup>(٣)</sup> .

## ( شعر فيه ذكر النمل )

وقال ذو الرمة :

وَقَرِيَّةٌ لاجِنٌ وَلَا أَنْسِيَّةٌ    مُدَاخِلَةٌ أَبْوَابُهَا بُنِيَتْ شُرُزاً<sup>(٤)</sup>  
نَزَلْنَا بِهَا مَا نَبْتَغِي عِنْدَهَا الْقِرَى    وَلَكِنَّهَا كَانَتْ لِمَنْزِلِنَا قَدْرًا<sup>(٥)</sup>  
وقال أبو العتاهية :

أَخْبِثْ بَدَارِ هَمِّهَا أَشْبُ جَنْلِ الْفُرُوعِ كَثِيرُهُ شَعْبُهُ<sup>(٦)</sup>  
إِنَّ اسْتِهَانَتَهَا بِمَنْ صَرَعَتْ    لِبِقْدَرٍ مَا تَعْلُو بِهِ رُتْبُهُ<sup>(٧)</sup>

- 
- (١) كذا على الصواب في ط ، هـ وهى قبيلة . وفى س : « الحديقة » بحرف .  
وفى الأغاني ( ١١ : ٨٢ ) أنه من بنى سلامان بن سعد .  
(٢) قطه : جمع بين يديه ورجليه . والرب بضم الراء ، هو الدبس ، أو هو ثقل الصمن والزيت . وفى الأغاني : « ودهن آسته بشحم » .  
(٣) القصة فى الأغاني برواية تختلف كثيراً عن هذه .  
(٤) أراد بالقرية قرية النمل . مداخلة : مخالفة فى بعضها بعضاً . شُرُزاً : على غير استقامة فهى معوجة .  
(٥) رواية الديوان ١٧٧ : « لا نبتغى عندها » .  
(٦) أشب : كثير ، من قولهم شجر أشب : ملتف . جنل : كثير الورق . ط ، هـ : « جبل » صوابه فى س .  
(٧) فى الأصل : « أزرأ سياستها بمن صرعت » وهو تحريف صوابه من ديوان =

وَإِذَا اسْتَوَتْ لِلنَّمْلِ أُجْنِحَةٌ حَتَّى يَطِيرَ فَقَدْ دَنَا عَطْبُهُ <sup>(١)</sup>  
وَقَالَ الْبَعِيثُ :

وَمَوَى كَبَيْتِ النَّمْلِ لِأَخِيرِ عِنْدَهُ لِمَوْلَاهُ إِلَّا سَعِيَهُ بَنِمِيمٍ

### (بعض ما قيل في النمل)

قال : وقد سمعت بعض الأعراب <sup>(٢)</sup> يقول : إنه لنمائم نملئ . على قولهم : « كذبَ على نمل » <sup>(٣)</sup> . إذا أرادوا أن يخبروا أنه نمام . وقال حميد بن ثور ، في تهوين <sup>(٤)</sup> قوَّة الذر :

منعمة ، لو يُصْبِحُ الذرُّ سارياً على جلدِها بضتْ مدارجُهُ دما <sup>(٥)</sup>  
وقال الله عز وجل : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ .

قال : وقيل لعائشة - رضى الله تعالى عنها ، وقد تصدقت بحبة عنب - : أتصدقين <sup>(٦)</sup> بحبة عنب ؟ ! قالت : إن فيها المِثْقَالَ ذَرَّةً <sup>(٧)</sup>

= أبي العنابي ص ٣٥ وثمار القلوب ٣٤٦ . « لبقدَر » هي في الأصل : « فيقدر » وأثبت ما في الديوان والثمار ومروج الذهب ( ٣ : ٣٩٢ ) . و« تملو » هي في ط : « فقلوا » ، وتصحيحه من س ، هـ والثمار والمروج . ويلها في الديوان : « تسمو » .

(١) في الديوان : « وإن استوت » وانظر الكلام على البيت عند الدميري .

(٢) س : « قال : وسمعت أعرابيا » .

(٣) النمل ككتف والتأمل والمنمل - كحسن - والمنمل - كنبر - والنمل ، كل أولئك بمعنى النمام .

(٤) س : « تهوين » والتهوين : التقليل . والتهوين : الإضعاف . وهما متقاربان .

(٥) مدارج الذر : موضع دروجه . بضت : خرج منها الدم .

(٦) تصدقين بمعنى تصديقين ، حذفنا إحدى التاوين تخفيفاً . ط فقط : « أتصدقين » .

(٧) مِثْقَال : جمع مثقال ، بمعنى مقدار . س : « مِثْقَالُ ذَرَّةٍ » صوابه في ط ، هـ . وعائشة رضى الله عنها ، تنظر إلى الآية السابقة .

## (لغز في النمل)

ومَّا قِيلَ فِي الشَّعْرِ مِنَ اللَّغْزِ (١) :

فَمَا ذُو جَنَاحٍ لَهُ حَافِرٌ وَلَيْسَ يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ

يعنى النمل . فزعم أنَّ للنمل حافراً ، وإنَّما يَحْفِرُ جُحْرَهُ ، وليس ١١  
يَحْفَرُهُ بِنَمِّهِ (٢) .

## (التعذيب بالنمل)

وعَذَّبَ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ (٣) سَعِيدَ بْنَ عَمْرٍو الْحَرَشِيَّ (٤) بأنواع العذاب

فقيل له : إن أردت ألا يُفْلِحَ أبداً فمرهم أن ينفخوا في دُبُرِهِ النمل .  
ففعّلوا فلم يفلح بعدها .

(١) البيت الآتي في محاضرات الراغب ( ٢ : ٣٠٥ ) .

(٢) وإنَّما يحفره بقوائمه الصلابة . انظر الدميري .

(٣) في الأصل : « عمرو بن هبيرة » ، وصوابه ما أثبت . وعمرو هذا ، أمير من الدهاة  
الشجعان ، ولى الجزيرة في خلافة عمر بن عبد العزيز ، ثم ولاه يزيد بن عبد الملك  
إمارة العراق وخراسان ، ثم عزله هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ فلم يعرف له خبر  
بعد ذلك ، وكان قائد أسطول المسلمين في غزوة القسطنطينية سنة سبع وتسعين .  
انظر التنبيه والإشراف ١٤١ . وكان عمر يكنى أبا المثنى ، وفيه يقول الفرزدق  
ليزيد ( المعارف ١٧٩ ) :

أوليت العراق ورافديه فزاريا أخذ يد القميص

تففق بالعراق أبو المثنى وعلم قومه أكل الخبيص

(٤) سعيد بن عمرو الحرشي ، أحد قواد العرب ، وهو الذي قتل شوذبا الخارجي وقتل  
بمن معه ، وولاه ابن هبيرة خراسان سنة ١٠٣ ، ثم بلغه أنه يكتب الخليفة  
مباشرة ولا يعترف بإمارته فعزله وعاقبه . والحرشي ، بفتح الحاء والراء ، نسبة إلى  
الحريش بن كعب بن ربيعة . وفي الأصل : « بن عمر » وصوابه من البيان ( ١ :  
٣٨٩ ) وكتاب الوزراء ( ٦١ ) . و « الحرشي » هي في الأصل : « الجرشي »  
بالجيم ، وصوابه في البيان والطبري ( ٨ : ١٧٥ ) ، وقد أورد الطبري القصة .

### ( ما يدّخر قوته من الحيوان )

قالوا : وأجناسٌ من الحيوان تدّخرُ ، وتُشبّه في ذلك بالإنسان ذى العقل والرؤية<sup>(١)</sup> وصاحب النظر في العواقب « والتفكير في الأمور : مثل الذرّ ، والنمل ، والفأر ، والجردان ، والعنكبوت ، والنحل . إلا أن النحل لا يدّخر من الطعام إلا جنساً واحداً ، وهو العسل .

### ( أكل الذرّ للنمل )

وزعم اليعقوبى<sup>(٢)</sup> أنك لو أدخلت نملة في جحر ذرّ لأكلتها ، حتى تاتى على عامتها . وذكر أنه جرّب ذلك .

### ( أكل الضبّاع للنمل )

وقال صاحب المنطق : إنّ الضبّاع تأكل النمل أكلاً ذريعاً ، وذلك أن الضبّاع تاتى قرية النمل في وقت اجتماع النمل ، فتلحس ذلك النمل بلسانها ، بشهوة شديدة ، وإرادة قوية .

### ( أكل النمل للأرضة )

قالوا : وربما أفسدت الأرضة على أهل القرى منازلهم ، وأكلت كلّ شيء لهم . ولا تزال كذلك حتى ينشئ<sup>(٣)</sup> في تلك القرى النمل ،

(١) الروية: النظر والتفكير . ط ، هـ : « الروية » صوابه من س .

(٢) يروى عنه الجاحظ في البيان ، وكنيته أبو عثمان .

(٣) كذا في س . وفي هـ : « ولا يزال » . وفي ط « ولا يزالوا » وهذه الأخيرة محرفة . و « ينشئ » هي « ينشئ » سهل همزها ، وهي بمعنى يلبس ، فهذا =

فيسلط الله ذلك النمل على تلك الأرضة ، حتى تأتى على آخرها . وعلى أن النمل بعد ذلك سيكون له أذى ، إلا أنه دون الأرضة تعدياً . وما أكثر ما يذهب النمل أيضاً من تلك القرى ، حتى تتم لأهلها السلامة من النوعين جميعاً .

وزعم بعضهم أن تلك الأرضة بأعيانها تستحيل نملًا ، وليس فناؤها لأكل النمل لها ، ولكن الأرضة نفسها تستحيل نملًا . فعلى قدر ما يستحيل منها يرى النقص <sup>(١)</sup> في عددها ومضرتها على الأيام .

### (مثل في النمل)

قال : وبالنمل يضرب المثل ؛ يقال : « جاءوا مثل النمل » . والزنج نوعان ، أحدهما يفخر بالعدد ، وهم يسمون النمل ، والآخر يفخر بالصبر وعظم الأبدان ، وهم يسمون الكلاب . وأحدهما يكيو والآخر ينبو . فالكلاب تكبو ، والنمل تنبو <sup>(٢)</sup> .

### (أجنحة النمل)

قال : ومن أسباب هلاك النمل نبات الأجنحة له . وقد قال الشاعر <sup>(٣)</sup> :

= الفعل يقال من باب منع ومن باب كرم ، كما في القاموس . ط ، س : « ينشبو » ولا تصح إلا بتكلف . وأثبت ما في ه .

(١) س : « النقصان » .

(٢) انظر البيان ( ٣ : ٥١ ) . وليس « تكبو » و « تنبو » لفظين عربيين ، بل هما من ألفاظ الزنج فيما يظهر ، فقول الجاحظ : « فالكلاب تكبو » لعل معناه تسمى « تكبو » بالزنجية . وتجدر اضطرابا في رسم هاتين الكلمتين ، فرة بدتيا بالياء ، ومرة بدتيا بالتاء . وعسى أن يهدينا إلى صوابهما أحد الصوماليين .

(٣) هو أبو العتاهية كما سبق ص ٣٢ .

وَإِذَا اسْتَوَتْ لِلنَّمْلِ أَجْنَحَةٌ حَتَّى يَطِيرَ فَقَدْ دَنَا عَطْبُهُ<sup>(١)</sup>  
وَإِذَا صَارَ النَّمْلُ كَذَلِكَ أَخَصَبَتِ الْعَصَافِيرُ ؛ لِأَنَّهَا تَصْطَادُهَا فِي حَالِ  
طَيْرَانِهَا .

### (وسيلة لقتل النمل)

[ قالوا<sup>(٢)</sup> ] : وَتُقْتَلُ بِأَنْ يَصْبَ فِي أَفْوَاهِ بَيُونِهَا الْقَطِرَانُ وَالْكِبْرِيتُ  
الْأَصْفَرُ ، وَيُدَسَّ فِي أَفْوَاهِهَا<sup>(٣)</sup> الشَّعْرُ . وَقَدْ جَرَّبْنَا ذَلِكَ فَوَجَدْنَاهُ  
بَاطِلًا . انْتَهَى .

## ب

١٢

### جملة القول في القرْدِ والخَزِيرِ

وَفِي تَأْوِيلِ الْمَسْخِ ، وَكَيْفَ كَانَ ، وَكَيْفَ يُمَسِّخُ النَّاسَ عَلَى خَلْقَتِهِمَا<sup>(٤)</sup>  
دُونَ كُلِّ شَيْءٍ ، وَمَا فِيهِمَا مِنَ الْعِبَرَةِ وَالْمُحَنَةِ ؛ وَفِي خَصَالِهَا الْمَذْمُومَةِ ، وَمَا فِيهِمَا  
مِنَ الْأُمُورِ الْمَحْمُودَةِ ؛ وَمَا الْفَضْلُ<sup>(٥)</sup> الَّذِي بَيْنَهُمَا فِي النَّقْصِ ، وَفِي الْفَضْلِ ،  
وَفِي الذَّمِّ وَفِي الْحَمْدِ .

- 
- (١) س ، هـ : « دنا أجله » وهو خطأ . انظر ص ٣٢ .  
(٢) بمثل هذه الزيادة يستقيم الكلام « وينسجم أوله مع آخره » .  
(٣) أى أفواه بيوتها .  
(٤) هذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من س .  
(٥) في الأصل : « الفضل » بالضاد المعجمة ، ووجهه ما أثبت .

## ( ما ذكر في القرآن من الحيوان )

وقد ذكر الله عزَّ وجلَّ في القرآن العنكبوتَ ، والدَّبَّاءَ والنَّمْلَ ،  
والكلابَ ، والحمارَ ، والنَّحْلَ ، والهُدْهُدَ ، والغرابَ ، والدَّيْبَ (١) ، والفيلَ  
والخيلَ ، والبغالَ ، والحَمِيرَ ، والبَقَرَ ، والبَعُوضَ ، والمعزَ ، والضَّأْنَ ،  
والبَقْرَةَ ، والنَّعْجَةَ ، والحوتَ ، والنُّونَ (٢) . فذكر منها أجناساً فجعلها مثلاً  
في الذُّلَّةِ والضعفِ ، وفي الوهنِ ، وفي البَدَاءِ ، والجهلِ .

## ( هَوَانُ شَأْنِ الْقَرْدِ وَالْخَنَزِيرِ )

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ  
فَمَا فَوْقَهَا ﴾ ، فدلَّها كما ترى وحقرها ، وضرب بها المثل . وهو مع ذلك جلَّ  
وعلا ، لم يمسح أحداً من حَشَوِ أعدائه وعظائمهم بعوضة .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ  
تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَلَمْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ  
الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ . إِنَّمَا قَرَّعَ  
الطَّالِبُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ (٣) بِإِسْكَارِهِ وَضَعْفِهِ ، إِذْ عَجَزَ ضَعْفُهُ عَنْ ضَعْفِ

(١) س : « اللب » صوابه في ط ، هـ . وليس في القرآن الكريم ذكر للذب ،  
وإنما هو « الذئب » ورد في قصة يوسف .

(٢) النون : الحوت العظيم ، وقد سمي يونس عليه السلام : ذا النون في قوله تعالى :  
« وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً » لأن النون كان قد التقمه في اليم « انظر مفردات  
الراغب . والجاحظ لم يستوعب ماورد في القرآن من الحيوان ، وإلا فقد أغفل  
ذكر الإبل ، والثعبان ، والجراد ، والحية ، والسلوى ، والضفادع ، والغنم ،  
والفراش ، والقمل .

(٣) ط فقط : « الموضوع » .

مطلوب لا شيء أضعف منه ، وهو الذباب . ثم مع ذلك لم نجده جلّ وعلا .  
ذَكَرَ أَنَّهُ مَسَخَ أَحَدًا ذُبَابًا .

وقال : ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ﴾ ، فَدَلَّ بُوهُنَ بَيْتِهِ  
على وَهْنِ خَلْقِهِ ، فكان هذا القول دليلًا على التَّصْغِيرِ والتَّهْلِيلِ . وإنما لم  
يقُلْ : إِنِّي مَسَخْتُ أَحَدًا مِنْ أَعْدَائِي عَنْكَبُوتًا .

وقال تعالى : ﴿ فَثَلَّهِ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ  
تَتَرَّ كَهْ يَلْهَثْ ﴾ ، فكان في ذلك دليلٌ على ذَمِّ طَبَاعِهِ ، والإِخْبَارِ عَنْ تَسَرُّعِهِ  
وبِذَائِهِ . وعن جهله في تدبيره ، وترُّكه وأخذه . ولم يقل إِنِّي مَسَخْتُ أَحَدًا  
مِنْ أَعْدَائِي كَلْبًا .

وذكر الذِّرَّةَ فقال : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ  
يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ ، فكان ذلك دليلًا على أَنَّهُ مِنَ الْغَايَاتِ فِي الصَّغَرِ  
وَالْقِلَّةِ ، وفي خِفَّةِ الْوِزْنِ وقلة الرجحان . ولم يَذْكُرْ أَنَّهُ مَسَخَ أَحَدًا مِنْ  
أَعْدَائِهِ ذَرَّةً .

وذكر الحِمَارَ فقال : ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ ، فجعله مثلًا  
في الجَهْلِ والغفلة ، وفي قِلَّةِ الْمَعْرِفَةِ وَغِلْظِ الطَّبِيعَةِ . ولم يقل إِنِّي مَسَخْتُ  
أَحَدًا مِنْ أَعْدَائِي حِمَارًا .

وكذلك جميع ما خَلَقَ وَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْحَيَوَانِ بِالذَّمِّ وَالْحَمْدِ . فأما  
١٣ غير ذلك مما ذكر من أَصْنَافِ الْحَيَوَانِ <sup>(١)</sup> ، فَإِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ <sup>(٢)</sup> بِذَمٍّ وَلَا  
نَقْصٍ ، بل قد ذكر أَكْثَرَهُنَّ <sup>(٣)</sup> بِالْأُمُورِ الْمَحْمُودَةِ ، حَتَّى صَارَ إِلَى ذِكْرِ

(١) الْكَلَامُ مِنْ مَبْدَأٍ : « بِالذَّمِّ وَالْحَمْدِ » ساقط من س .

(٢) س : « يَذْكُرْ » .

(٣) س : « أَكْثَرَهَا » .

القرود فقال : ﴿ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ ﴾ فلم يكن لهما في قلوب  
الناس حال . و [ لو ] <sup>(١)</sup> لم يكن جعل لهما في صدور <sup>(٢)</sup> العامة والخاصة من  
القبح والتشويه ، ونذالة النفس ، ما لم يجعله لشيء غيرهما من الحيوان ، لما  
خصهما الله تعالى بذلك .

وقد علمنا أن العقرب أشد عداوة وأذى ، وأفسد ، وأن الأفعى والثعبان  
وعامة الأحناس <sup>(٣)</sup> ، أبغض إليهم وأقفل لهم ، وأن الأسد أشد صولة ، وأنهم  
عن دفعهم له أعجز ، وبغضهم له على حسب قوته عليهم ، وعجزهم عنه ،  
وعلى حسب سوء أثره فيهم . ولم نره تعالى مسح أحداً من أعدائه على صورة  
شيء من هذه الأصناف . ولو كان الاستئذال والاستثقال والاستسقاط أراد ،  
لكان المسخ على صورة بنات وردان أولى وأحق <sup>(٤)</sup> . ولو كان التحقير  
والتصغير أراد ، لكانت الصوابة والجرجسة <sup>(٥)</sup> أولى بذلك . ولو كان إلى  
الاستصغار ذهب لكان الذر والقمل والذباب أولى بذلك . والدليل على قولنا  
قوله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ . طَلْعُهَا  
كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ ، وليس أن الناس رأوا شيطناً قط على صورة ،  
ولكن لما كان الله [ تعالى ] قد جعل <sup>(٦)</sup> في طباع جميع الأمم استقباح  
جميع صور الشياطين ، واستسماجه وكراهته ، وأجرى على السنة جميعهم  
ضرب المثل في ذلك - رجع بالإيحاش والتنفير ، وبالإخافة

(١) ليست بالأصل .

(٢) س : « قلوب » .

(٣) الأحناس : الحيات ، جمع حنش بالتحريك . وفي الأصل : « الأجناس » محرف .

(٤) « على صورة » ساقط من س . و « أراد ، لكان » هي في س : « إذا  
كان » ، محرف .

(٥) الجرجس ، بكسر الجيمين : البموض الصغار . في الأصل : « المخرجسة »  
صوابه ما أثبت .

(٦) في الأصل : « جعل لها » وكلمة : « لها » مقحمة .

والتفريع <sup>(١)</sup> ، إلى ما قد جعله الله في طباع الأولين والآخرين وعند جميع الأمم على خلاف طبائع جميع الأمم <sup>(٢)</sup> .

وهذا التأويل أشبه من قول من زعم من المفسرين ، أن رءوس الشياطين نبات ينبت باليمن <sup>(٣)</sup> .

وقال الله عز وجل لنبيه : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ ، أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۚ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ فذكر أنه رجس ، وذكر الخنزير ، وهو أحد المسوخ <sup>(٤)</sup> ، ولم يذكر في هذه الآية التي أحصى فيها أصناف الحرام ، وأباح ما وراء ذلك - القرد .

وصار بعضهم إلى تحريمه من جهة الحديث . وهو عند كثير منهم يحتمل المعارضة .

### (مساوى الخنزير)

فلولا أن في الخنزير معنى متقدماً <sup>(٥)</sup> سوى المسخ ، وسوى ما فيه من قبح المنظر وسماجة التمثيل ، وقبح الصوت ، وأكل للعذرة ، مع الخلاف الشديد

(١) في الأصل : « والتفريع » .

(٢) الخلاف بمعنى الاختلاف .

(٣) من ذكر هذا التأويل « فخر الدين الرازي في تفسير سورة الصافات ، ولكنه مع ذلك استظهر تأويل الجاحظ ، وهو الذي مال إليه أكثر المفسرين . وما أولوا به الآية أيضاً أن تكون « الشياطين » ضرباً من ضروب الحيات .

(٤) المسوخ : جمع مسخ ، ط : « المسوخ » . والأوجه ما أثبت من س ، هـ .

(٥) ط ، هـ : « متقدماً بما » تصحيحه من س .

واللواط المفرط<sup>(١)</sup> والأخلاق السمجة ، ما ليس في القرد الذي هو شريكه في المسخ - لما ذكره دونه .

١٤

(علة النص على تحريم الخنزير في القرآن ، دون القرد)

وقد زعم ناس أن العرب لم تكن تأكل القروذ . وكان من تنصر<sup>(٢)</sup> من كبار القبائل وملوكها يأكل الخنزير ، فأظهر لذلك تحريمه ؛ إذ كان هناك عالم من الناس ، وكثير من الأشراف والوضعاء ، والملوك والسوقة ، يأكلونه أشد الأكل ، ويرغبون في لحمه أشد الرغبة . قالوا : ولأن لحم القرد ينهى عن نفسه . ويكفي الطبايع في<sup>(٣)</sup> الزجر عنه غنثه<sup>(٤)</sup> . ولحم الخنزير مما يستطاب ويتواصف ، وسيل لحم القرد كسيل لحم الكلب يل هو شر منه وأخبث . وقد قال الشاعر<sup>(٥)</sup> للأسدي الذي ليم يأكل لحم الكلب<sup>(٦)</sup> :

يا فقعسى لم أكلته به لو خافك الله عليه حرمة  
فما أكلت لحمه ولا دمه

وليس يريد بقوله : « لو خافك الله عليه » أن الله يخافه على شيء أو يخافه<sup>(٧)</sup> من شيء . ولكنه لما كان الكلب عنده مما لا يأكله أحد

(١) ط ، هـ « واللواط المفرط » : وإنما هو « اللواط المفرط » كما في س .

(٢) ط : « تنصر » ، وتصحيحه من س ، هـ .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٤) الغنث بالتحريك : ثقل الطعام على النفس ، وفي الأصل : « غنثه » .

(٥) الشاعر هو سالم بن دارة كما سبق في ( ١ : ٢٦٧ ، ٢ : ١٥٩ ) .

(٦) أي لامة الناس يأكله لحم الكلب ، وفي الأصل : « لم يأكل لحم الكلب »

وهو عكس المراد .

(٧) ط ، هـ : « يخاف » في الموضعين . وأثبت ما في س .

وَلَا يُخَافُ عَلَى أَكْلِهِ إِلَّا الْمَضْطَرُ ، جعل بدل قوله : أَمِنَ الْكَلْبُ عَلَى أَكْلِ لَحْمِهِ ، أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي لَمْ يَخَفْ ذَلِكَ فِيحَرِّمَهُ . وهذا مما لا تقف الأعرابُ عليه ، وَلَا تَتَّبِعُ الْوَهْمُ مُوَاضِعَهُ ؛ لِأَنَّ هَذَا بَابٌ <sup>(١)</sup> يَدْخُلُ فِي بَابِ الدِّينِ ، فَمَا يُعْرَفُ بِالنَّظَرِ .

### ( ما قيل في جودة لحوم الكلاب )

وقد يأكل أجراً <sup>(٢)</sup> الكلاب نامسٌ ، ويستطيعونها فيما يزعمون . ويقولون : إِنَّ جَرَّ الْكَلْبِ أَسْمَنُ شَيْءٍ صَغِيرًا ، فإذا شَبَّ اسْتَحَالَ لَحْمُهُ ، كَأَنَّهُ يَشْبَهُ بِفَرْخِ الْحَمَامِ مَا دَامَ فَرْخًا وَنَاهِضًا ، إِلَى أَنْ يَسْتَحْكَمَ وَيَشْتَدَّ .

### ( ذكر من يأكل السنانير )

وما أَكْثَرَ مَنْ يَأْكُلُ السَّنَانِيرَ . وَالَّذِينَ يَأْكُلُونَهَا صَنِيفَانِ مِنَ النَّاسِ : أَحَدُهُمَا الْفَقِيُّ الْمَغْرُورُ ، الَّذِي يَقَالُ لَهُ أَنْتَ مَسْحُورٌ ، وَيَقَالُ لَهُ : مَنْ أَكَلَ سِنُورًا أَسْوَدَ بَهِيمًا لَمْ يَعْمَلْ فِيهِ السَّحَرُ ، فَيَأْكُلُهُ لَذًا . فَإِذَا أَكَلَهُ لِهَذِهِ الْعِلَّةِ ، وَقَدْ غَسَلَ ذَلِكَ وَعَصَرَهُ ، أَذْهَبَ الْمَاءُ زَهْوَمَتَهُ ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الْمَخْدُوعُ بِمُسْتَقْدِرٍ مَا اسْتَطَابَهُ . وَلَعَلَّهُ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ ضَرْبٌ مِنَ الطَّعَامِ <sup>(٣)</sup> فَوْقَ الَّذِي هُوَ فِيهِ ، فَإِذَا أَكَلَهُ عَلَى هَذَا الشَّرْطِ ، وَدَبَّرَ هَذَا التَّدْبِيرَ ، وَلَمْ يَنْكِرْهُ ، عَاوَدَهُ . فَإِذَا عَاوَدَهُ صَارَ ذَلِكَ ضَرَاوَةً لَهُ .

(١) ط : « في باب » ، والوجه حذف « في » كما في س ، ه .

(٢) أجراء ، يفتح الهمزة وسكون الجيم : جمع جرو ، وهو هنا ولد الكلب .

(٣) س : « من حيث الطعام » ! .

والصَّنْف الآخر أصحاب الحمام ، فما أكثر ما ينصبُّون المصائد <sup>(١)</sup> للسنانير ،  
التي يُلقَوْنَ منها في حمامهم <sup>(٢)</sup> . وربما صادف غيظُ أحدهم وحنقه وغيظه  
عليه ، أن [ يكون ] السَّنور مُفْرِطَ السَّمَنِ ، فيدعُ قتله ويدبُّه . فإذا فعل  
ذلك مرَّةً أو مرتين ، صار ضراوةً عليها . وقد يتقرَّر <sup>(٣)</sup> الرَّجُلُ من أكل  
النَّصَبِ والوَرَل والأرنب ، فما هو إلَّا أن يأكله مرَّةً لبعض التَّجربة ، أو لبعض  
الحاجة ، حتى <sup>(٤)</sup> صار ذلك سبباً إلى أكلها . حتى يصير بهم الحال <sup>(٥)</sup> إلى ١٥  
بأن يصيروا أرغبَ فيها من أهلها .

### ( طيب لحم الجراد )

وهاهنا قومٌ لا يأكلون الجرادَ الأعرابيَّ السمين ، ونحن لانعرف طعاماً  
أطيبَ منه . والأعراب إنما <sup>(٦)</sup> يأكلون الحياتِ على شبيهِ بهذا الترتيب  
ولهذه العوارض .

### ( أكل الأفاعى والحيات )

وزعم بعضُ الأطباء والفلاسفة ، أن الحياتِ والأفاعى تؤكل نيئةً <sup>(٧)</sup>  
ومطبوخةً ، ومشويةً ، وأنها <sup>(٨)</sup> تغذو غذاءً حسناً .

(١) كذا بالأصل . والوجه : « المصائد » بلا همزة ، مثل معاش .

(٢) أى يصيهم الشر من السنانير .

(٣) ط ، هـ : « يتهلر » وهذا الفعل لا يحتاج إلى « من » ، فيقال « تغذر الشيء » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٥) س : « تصير بهم الحال » ، والحال تذكر وتؤنث .

(٦) ساقطة من س .

(٧) ط ، هـ : « نية » ، وهى صحيحة أيضاً . انظر الاستدراكات .

(٨) ط ، هـ : « فإنها » .

## (رؤية وأكله الجرذان)

وزعم أبو زيد ، أنه دخل على رؤية ، وعنده جرذان قد شواهن ،  
فإذا هو يأكلهن ، فأنكر ذلك عليه ، فقال رؤية : هن خير من اليرابيع  
والضباب وأطيب ؛ لأنها عندكم تأكل الخبز والتمر وأشياء ذلك . وكفاك  
بأكل الجرذان !

ولولا هول الحيات<sup>(١)</sup> في الصدور من جهة السموم ، لكانت من جهة  
التقذر<sup>(٢)</sup> أسهل أمراً من الجرذان .

## (أكل الذبان والزناير)

ونامس من السفالة<sup>(٣)</sup> يأكلون الذبان . وأهل خراسان يعجبون باتخاذ  
البز ماورد<sup>(٤)</sup> من فراخ الزناير ، ويعافون أذنان الجراد الأعراي السمين .  
وليس بين ريح الجراد إذا كانت مشوية وبين ريح العقارب مشوية فرق .  
والطعم تبع للرائحة<sup>(٥)</sup> : خبيثها خبيثها ، وطيبها لطيبها .  
وقد زعم ناس ، ممن يأكلون العقارب مشوية ونبيئة ، أنها كالجراد<sup>(٦)</sup>  
السمان .

(١) ط : « أن الحيات » وتصحيحه من س ، هـ .

(٢) س : « التقزز » .

(٣) السفالة : بالضم : من بلاد الزنج في شرق إفريقيا . وفي الأصل : « الصقالبة » .  
وهو تحريف ، صوابه مما سبق في ( ٣ : ٣٢٣ س ٧ ) .

(٤) انظر ما أسلفت من شرح هذه الكلمة في ( ٢ : ٢٤٩ التنبيه الرابع ) .

(٥) س : « الرائحة » .

(٦) في الأصل : « كالفراخ » ، وصوابه ما أثبت ، كما سيأتي واضحاً في ( ٥ : ٣٥٦ )

حيث يقول الجاحظ « وريح العقارب إذا شويت مثل ريح الجراد . وما زلت أظن  
أن الطعم أبداً يتبع الرائحة ، حتى حقق ذلك عند بعض من يأكلها مشوية ونبيئة  
أنه ليس بينهما وبين الجراد الأعراي السمين فرق » .

وكان الفضل بن يحيى يوجه خدمه في طلب فراخ الزنابير ليأكلها .  
وفراخها ضرب من الذبّان .

### ( أكل لحوم البراذين )

فأما لحوم البراذين فقد كثر علينا وفيها ، حتى أنسنا به . وزعم بعضهم  
أنه لم يأكل أطيب من رأس برذون وسرته . فأما الشرّة والمعرفة<sup>(١)</sup> فإنهم  
يزاحمون بها الجداء والدجاج . ويقدمون الأسرام المحشوة .

### ( أكل السراطين ونحوها )

ومن أصحابنا من يأكل السراطين أكلاً ذريعاً . فأما الرق<sup>(٢)</sup> والكوسج<sup>(٣)</sup>  
فهو من أعجب طعام البحرّيين . وأهل البحر يأكلون البلبل<sup>(٤)</sup> وهو اللحم  
الذى في جوف الأصداف .

والأعرابي إذا وجد أسوداً سانحاً<sup>(٥)</sup> ، رأى فيه مالا يرى صاحب  
الكسمير في كسميره<sup>(٦)</sup> .

---

(١) المعرفة ، كرحلة : موضع العرف من الفرس .

(٢) الرق : سلحفاة المياه .

(٣) الكوسج : جنس من الأسماك الغضروفية كبير يخشى شره ، وهو في الماء شر  
من الأسد في البر ، يقطع الحيوان في الماء بأسنانه ، كما يقطع السيف الماضي .  
ويسمى بالقرش في سواحل البحر الأحمر . وكلب البحر Dogfish نوع صغير  
منه . وذكر الأب أنستاس في مجلة المشرق أن القرش معرب : Karcharias  
اليونانية . انظر معجم المعلوم ٢٢٥ - ٢٢٦ .

(٤) ط : « اللبل » ، وأثبت ما في س ، ه .

(٥) الأسود السالخ : ضرب من الحيات .

(٦) كذا بالأصل ، وانظر ما سيأتى في حواشى ( ٦ : ٨٤ ) .

## (أكل ديدان الجبن)

وخبَّرني كم شئت<sup>(١)</sup> من الناس ، أنه رأى أصحاب الجبن الرطب<sup>(٢)</sup> بالأهواز وقراها ، يأخذون<sup>(٣)</sup> القطعة الضخمة من الجبن الرطب<sup>(٤)</sup> ، وفيها ككواء الزناير<sup>(٥)</sup> ، وقد تولد فيها الديدان ، فينفضها وسط راحته ، ثم يقمحها<sup>(٦)</sup> في فيه ، كما يقمح السويق والسكر ، أو ما هو أطيب منه .

## (ذكر بعض أنواع العذاب)

وقد خبر الله تعالى عن أصحاب النقم ، وما أنزل الله من العذاب ، وما أخذ من الشكل والمقابلات ، فقال : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا ﴾ ، وقال : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ

(١) وردت هذه العبارة أيضاً في ص ١٤٠ من هذا الجزء . كما ورد مثلها في ص ٢٤ : « وقد خبرنا من لا يحصى من الناس » . واستعمال « كم » فاعلاً هو لغة رديئة حكاه ابن عصفور « وخرج عليها هو قوله تعالى : « أو لم يهد لهم كم أهلكنا » . انظر معنى اللبيب .

(٢) في الأصل : « الجبن والرطب » ، وأثبت الصواب موافقاً ما سبق في ( ٣ : ٣٢٣ س ٩ ) . والمراد به ذلك النوع المعتقد من الجبن « الذي يسميه عامة مصر : « المش » بكسر الميم . وجاء في القاموس : « والأرنة بالضم : الجبن الرطب » . وهناك الجبن اليابس كانوا يملحونه ويحففونه . انظر تذكرة داود .

(٣) س : « يأخذ أحدهم » .

(٤) ط ، هـ : « والرطب » ، والصواب من س . وانظر التنبيه الثاني من هذه الصفحة .

(٥) الكواء ، بالكسر : جمع كوة بالفتح ، وهي الخرق في الحائط ، أو الثقب في البيت .

(٦) قح السويق ونحوه ، من باب سمع : استغه .

بِأَصْحَابِ الْفِيلِ . أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ . وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا ١٦  
أَبَابِيلَ . تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ \* .

وليس من هذه الأصنافِ شئٌ أبلغُ في المثلثة والشنعة ، ثمَّن (١)  
جعلَ منهم القردة والخنازير .

### ( ما يقبل الأدب من الحيوان )

فالخنزير يكون أهليا ووحشيا ، كالحمير (٢) والسنانير مما يعايش الناس .  
وكلها لاتقبل الأدب . وإنَّ الفُهوْدَ وهى وحشية تقبل كلها ، كما تقبلُ  
البوازى ، والشواهين ، والصقورة (٣) ، والزُّرَق ، واليُؤيُؤ ، والعُقَاب ، وعَنَاقِ  
الأرض (٤) ، وجميعُ الجوارح الوحشيات . ثمَّ يفضلها الفهدُ بخصلة غريبة  
وذلك أنَّ كبارها ومسائها أقبلُ للاداب ، وإن تقادمت في الوحش (٥) ،  
من أولادها الصغار ، وإن كانت تقبل الأدب ؛ لأنَّ الصغير إذ أدبَ

(١) في الأصل : « من أن » .

(٢) ويجمع الحمار أيضا على أحرة ، وحر - بضمين وبضمة - وحمور ، وحمرات ،  
ومحموراء . جاء في ط : « كالحماير » وهو تحزيف ، صوابه ما أثبت من  
ه ، س .

(٣) الصقر يجمع على أصقر وصقور وصقورة ، وصقار وصقارة بكسر صاديهما «  
وصقر بالضم . ط ، ه : « والصقور » . وأثبت ما في س . والجاحظ يميل  
إلى هذا الجمع كما سبق في ( ٣ : ١٨٢ ، ٥٣٩ ) .

(٤) عناق الأرض ، بفتح العين : دويبة أصغر من الفهد حسن الصورة « لونه أحر ،  
وفى أعلى كل من أذنيه شعرات سود ، يصيد كل شئ حتى الطير ، ويسمى أيضا  
الثقة ، وهو بالفارسية سياه كوش ، وبالإفرنجية : Caracal . وفى الأصل :

« عناق الأرض » بالتاء . صوابه ما أثبت .

(٥) في مباحث الفكر ، نسختي الخطية : « التوحش » والعبارة تنجبه بكل منهما .

فبلغ ، خرج خبباً مؤاكلاً<sup>(١)</sup> ، والمسّن الوحش<sup>٢</sup> يخلص لك كله ، حتى يصير أصيداً وأنفع . وصغار سباع الطير وكبارها على خلاف ذلك ، وإن كان الجميع يقبل الأدب . والخزير<sup>٣</sup> وإن كان أهلياً فإنه لا يقبل الأدب على حال ، حتى كآته<sup>٤</sup> - وإن كان بهيمة - في طباع ذئب .

وذلك أن أعرابياً أخذ جرو ذئب وكان التقطه التقاطا ، فقال : أخذته وهو لا يعرف أبويه ولا عملهما ، وهو غر لم يصد شيئاً ، فهو إذا ربيناه وألفناه ، أنفع لنا من الكلب . فلما شب عدا على شاة له فقتلها وأكل لحمها ، فقال الأعرابي :

أَكَلْتُ شَوِيهِي وَرَبَيْتَ فِينَا فَنُ أَدْرَاكَ أَنَّ أَبَاكَ ذَيْبُ<sup>(٥)</sup>

فالذئب وجرو الذئب إذا كانا سبعين وحشيين [ كانا<sup>(٦)</sup> ] ثم من أشد الوحش توحشاً ، وألزمها للقفار ، وأبعداها من العمران . والذئب أغدر من الخزير والخنوص<sup>(٧)</sup> ، وهما بهيمتان .

(١) الحب ، بالفتح ويكسر : الخداع الخبيث . ط : « حبيب » ، ه : « جينا » ، صوابه في س . وانظر ما سيأتي في ( ٦ : ٤٧١ ) .

(٢) س : « فن أنباك » ومثل هذه الرواية في ( ٦ : ٢٤ ، ٧ : ١٨٧ ، ٢٥٣ ) حيث تمام القصة . وانظر محاضرات الراغب ( ١ : ١٢٢ ) ومثل هذه القصة عن عجوز أعرابية عند الدير . والشعر فيه :

بقرت شويهي وفجعت قلبي وأنت لثانتنا ولد ربيب  
غذيت بدنها وربيت فينا فن أنباك أن أباك ذيب  
إذا كان الطباع طباع سوء فلا أدب يفيد ولا أديب

(٣) مثل هذه الزيادة ضروري ليستقيم الكلام .

(٤) الخنوص ، كسنور : ولد الخزير .

## ( ضرر الخنزير )

وأما ضرره وإفساده ، فَمَا ظَنُّكَ بِشَيْءٍ يُتَمَعَّى لَهُ الْأَسَدُ ؟ ! وذلك أَنَّ الخنازير <sup>(١)</sup> إذا كانت بقرب ضياع قومٍ هَلَكَتْ تلك الضياع ، وفسدت تلك الغَلَّات . وربما طلب الخنزير <sup>(٢)</sup> بعضَ العروقِ المدفونةِ في الأرض فيخرب مائةَ جريبٍ <sup>(٣)</sup> ، ونابه ليس يغلبه مِعُول . فإذا اشتدَّ عليهم البلاءُ تَمَنَّوْا أَنْ يَصِيرَ فِي جَنَّتِهِمْ <sup>(٤)</sup> أَسَدٌ . ولربَّما صار في ضياعهم الأسدُ فلا يَهَيِّجُونَهُ ، ولا يُوذِنُونَهُ ، ولو ذهب إنسانٌ ليحفرَ لَهُ زُبْيَةً <sup>(٥)</sup> منعه أشدُّ المنع ، إذ كان رَجَبًا حَمَى جانبَهُمْ من الخنازير فقط . فَمَا ظَنُّكَ بِإِفْسَادِهَا ، وما ظَنُّكَ بِبَهِيمَةٍ يُتَمَعَّى أَنْ يَكُونَ بَدَلُهَا <sup>(٦)</sup> أَسَدٌ ؟ ! ثُمَّ مع ذلك إذا اجتمعوا للخنازير بالسَّلاح ، وبالألآتِ والأدواتِ التي تقتلُ بها ، فربَّما قتل الرَّجُلَ منهم ، أو عقرَهُ العقرَ الذي لا يندمل ؛ لأنَّه لا يضرب بنابه شيئاً إلاَّ قطعَهُ ، كائناً ما كان . فلو قتلوا في كلِّ يومٍ منها مائةً وقتلتُ في كلِّ يومٍ إنساناً واحداً ، لما كان في ذلك عوض .

(١) ط ، هـ : « الخنزير » بالإنفراد . والوجه الجمع كما أثبت من س .

(٢) ط ، هـ : « الخنازير » بالجمع . والوجه الإفراد كما أثبت من س .

(٣) الجريب « يقال في الأرض كما هنا ، ومقداره عشرة آلاف ذراع ، أو ثلاثة آلاف وستمائة ذراع ، يختلف ذلك باختلاف البلدان . وأما جريب الطعام ، فهو أربعة أقدرة .

(٤) الجنبه ، بالفتح : الناحية . س ، هـ : « جنتهم » وليست مرادة فيما أرى . وأثبت المراد من ط .

(٥) الزببة ، بالضم : حفرة يصاد بها الأسد .

(٦) س : « مكانها » .

والخنزير تطلب العذرة ، وليست كالجلالة <sup>(١)</sup> ؛ لأنها تطلب آخرها وأرطبها وأنتنها ، وأقربها عهداً بالخروج . فهي في القرى تعرف أوقات الصبح والفجر ، وقبل <sup>(٢)</sup> ذلك وبعده ؛ لبروز <sup>(٣)</sup> الناس للغائط . فيعرف من كان في بيته نائماً في الأسحار ومع الصبح ، أنه قد أسحر <sup>(٤)</sup> وأصبح ، بأصواتها ومرورها ، ووقع أرجلها في <sup>(٥)</sup> تلك الغيطان ، وتلك المتبرّزات . ولذلك ضربوا المثل ببيكور الخنزير ، كما ضربوا المثل بحذر الغراب وروغان الثعلب .

على أن الثعلب ليس بأزوغ من الخنزير ، ولا أكدر للفارس ، ولا أشدّ إتعاباً لصاحبه .

### (بعض أسباب المسخ)

فأما قبح وجهه فلو أن القبح والإفلاس، والغدر والكذب ، تجسّدت ثم تصوّرت <sup>(٦)</sup> لما زادت على قبح الخنزير . وكل ذلك بعض الأسباب التي مسخ لها الإنسان خنزيراً .

وأن القرد لسميح الوجه ، قبيح كل شيء <sup>(٧)</sup> . وكفالك به أنه للمثل المضروب — ولكنته في وجه آخر مليح . فليح <sup>(٨)</sup> يعترض على قبحه

- 
- (١) الجلالة من الحيوان : التي تأكل الجلة والعذرة .
  - (٢) الواو ليست بالأصل، وأثبتها من مباحج الفكر، وفيها أيضاً : « قبيل » مكان : « قبل » .
  - (٣) كذا في ط ، هـ ومباحج الفكر . وفي س : « لخروج » .
  - (٤) أسحر ، بالسين : صار في السحر ، والسحر : الوقت قبيل الصبح . ط ، هـ : « أسحر » بالصاد ، ولا تليق هنا . وأثبت الصواب من س ومباحج الفكر .
  - (٥) في الأصل : « إلى » ، وصوابه في مباحج الفكر .
  - (٦) كذا في ثمار القلوب ٣٢١ نقلاً عن الجاحظ . ط ، هـ : « تجسم وتصور » س : « تحشد ثم تصور » ، وصوابها مأثبت . وانظر سائر القول .
  - (٧) في ثمار القلوب : « قبيح في كل شيء » .
  - (٨) الملح ، بالكسر ، بمعنى الملاحه ، يقال : ملح ملحاً وملاحه .

فمازجُه ويُصلِح منه . والخِزيرُ أقبح منه ؛ لأنّه ضربٌ مُصمّتٌ بهم ،  
فصار أسمعَ ببعيد .

### ( وثب الذكورة على الذكورة )

وحدّثني بعضُ أهل العلم ، ثَمَن طال ثَوَاؤُه في أرض الجزيرة ، وكان  
صاحبَ أخبارٍ وتجربة . وكان كلفاً بحبِّ التَّين<sup>(١)</sup> ، معترضاً للأُمور ، يحبُّ  
أنَّ يُقضىَ إلى حقائقها ، وتثبت أعيانها بعلمها ، وتمييز<sup>(٢)</sup> أجناسها ، وتعرّف  
مقاديرِ قواها ، وتصرّف أعمالها ، وتنقّل حالاتها ؛ وكان يعرفُ للعلم قدره ،  
وللبیان فضله .

قال : ربّما رأيت الخنزيرَ الذَّكَرَ وقد ألجأه أكثرُ من عشرينَ خنزيراً  
إلى مَضيق ، وإلى زاوية ، فينزون عليه واحداً واحداً<sup>(٣)</sup> ، حتى يبلغ آخرُهم .  
وخبرني هذا الرَّجل وغيرُه من أهل النظر وأصحابِ الفكر ، أنَّهم رأوا  
مثلاً ذلك من<sup>(٤)</sup> الحمير . وذكروا أنَّ ذلك إما تأنيثٌ في طبعه ، وإما أنَّ  
يكون له في أعينها من الاستحسان شبيهٌ بالذي يعتري عيونَ بعضِ الرجال  
في الغلمان ، والأحداثِ الشَّباب .

وقد يكون هذا بين الغرائق والكراكي . والتَّسافد بين الذَّكَرِ  
والأنثى . والسافد والمسفود إذا كانا من جميع الذكورة ، كثيرٌ في جميع أصناف

(١) في الأصل : « التَّينين » ، وهو تحريف يتكرر كثيراً . وإنما هو « التَّين » بمعنى  
التفهم والاكتناه .

(٢) في الأصل : « وتمييز » .

(٣) بدله في مباحث الفكر ، وكذا نهاية الأرب ( ٩ : ٢٠٠ ) : « ثم ينزو عليه  
الأمثل فالأمثل » .

(٤) س : « في » .

الحيوان ، إلا أنه في جميع الخنازير والحمير أفشى . وأما<sup>(١)</sup> تسافد الحمام الذكر والأنثى للذكر<sup>(٢)</sup> ، فأكثر من أن يكون فيه تنازع .

### (معارف في الخنزير)

وباب آخر مما ذكر صاحب المنطق ، فزعم أن من الخنازير ماله ظلف واحد<sup>(٣)</sup> ، وليس لشيء من ذوات الأنبياب في نابه من القوة والدرب ما للخنزير الذكر ، وللجمل ، والفهد ، والكلب .

قال : والإنسان يلقي أسنانه<sup>(٤)</sup> ، وكذلك الحافر والخف .

قال : والخنزير لا يلقي أسنانه ألبتة .

### (من لم يشغره)

ويقال : إنَّ عبد الصَّمد بنَ عليٍّ<sup>(٥)</sup> لم يُشغَر قط<sup>(٦)</sup> ، وأنه دخل قبره بأَسنان الصَّبَا . ١٨

(١) ط ، هـ : « فأما » .

(٢) كذا في س . وفي ط ، هـ : « الذكر للأنثى والأنثى للذكر » .

(٣) يعني ظلفا غير مشقوق كأنه الحافر . وجاء في ( ٧ : ٢٤٠ ) : « وفي الخنازير ما ليس ظلفه بمنشق » .

(٤) كذا على الصواب في س . وفي ط ، هـ : « والإنسان لا يلقي أسنانه » .

(٥) هو عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، ويكنى أبا محمد ، ولي الجزيرة لأبي جعفر المنصور ، وكان أقعد بني هاشم في عصره . المعارف ١٦٣ .

(٦) يقال شغره ، بالبناء المجهول ، وأشغره ، بالبناء للفاعل : سقطت أسنانه . وانظر المقد ( ٦ : ٢٣١ ) .

## (أسنان الذئب والحية والضبع)

وزعم بعضهم أن أسنان الذئب مخلوقة في الفك ، مطولة<sup>(١)</sup> في نفس العظم . وذلك مما توصف به أسنان الحية . قال الشاعر :

مُطْلَنَ فِي اللَّحْيَيْنِ مَطْلًا إِلَى الرَّأْسِ وَأَشْدَّاقٍ رَحِيَّاتٍ<sup>(٢)</sup>  
وَالشَّاعِرُ يَمْدَحُ الشَّيْءَ فَيَشْدُدُّ أَمْرَهُ ، وَيَقْوَى شَأْنَهُ ، وَرَبَّمَا زَادَ فِيهِ ،  
وَلَعَلَّ الَّذِي قَالَ فِي الذَّنْبِ مَا قَالَ ، هَذَا أَرَادَ .  
وَلَا يَشْكُونُ أَنَّ الضَّبْعَ كَذَلِكَ .

## (مرق لحم الحيوان)

قال : وليس يجمد<sup>(٣)</sup> مرق لحم الحيوان السمين ، مثل الخنزير والفرس ، وأما ما كان كثير الثرب<sup>(٤)</sup> فرقته تجمد<sup>(٥)</sup> ، مثل مرق لحم المغزى .

---

(١) المطال : أصله السبك والطبع . ط ، ه : « مطوطة » وصوابها من س وما سبق في ( ٢ : ٢١٤ س ٢ ) .

(٢) سبق البيت في ( ٢ : ٢١٤ ) ، وسيعاد في هذا الجزء ص ١٨٠ ، ٢٨٢ .

(٣) يجمد ، بالجيم : أى يصير جامداً ، والمراد يجمد ما يكون فوقه من الإهالة ، أى الدسم . وسيأتى مثل هذا المعنى بصورة أخرى في ص ٩٤ . وهذه الكلمة محرفة في الأصل « فهى في ط ، س » يجمل « وفي ه : » يجمد « . وكتب في هامشة س : « خ يجمد خ تجمد » وكل أولئك محرف .

(٤) الثرب : شحم رقيق يغشى الكرش والأمعاء .

(٥) في الأصل : « تحمل » . وانظر التنبيه الثالث من هذه الصفحة .

### (طباع الخنزير)

قال : والخنزير الذكر يقاتل في زمن الهيج ، فلا يدع خنزيراً إلا قتلته ، ويدنو من الشجرة ويدلك جلده ، ثم يذهب إلى الطين والحماة فيتلطخ به ، فإذا تساقط عاد فيه .

قال : وذكرورة الخنازير تطرد الذكورة عن الإناث ، وربما قتل أحدهما صاحبه وربما هلكا جميعا ، وكذلك الثيران والكباش والطيوس في أفاطيعها ، وهي قبل ذلك الزمان <sup>(١)</sup> متسالة .

### (ما يعرض لبعض الحيوان عند الهيج)

والجمل في تلك الحالة <sup>(٢)</sup> لا يدع جملاً ولا إنساناً يدنو من هجمته <sup>(٣)</sup> .  
والجمل خاصة يكره قرب الفرس ، ويقاتله أبداً .  
ومثل هذا يعرض للذئبة والذئب . والأسد ليس ذلك من صفاتها ؛ لأن بعضها لا يأوى إلى بعض ، بل ينفرد كل واحد بلبؤته . وإذا كان للذئبة الأنثى جراء <sup>(٤)</sup> ساءت أخلاقها وصعبت ، وكذلك إناث الخيل والفيل : يسوء خلقها في ذلك الزمان ، والفيالون يحمونها التزو ؛ لأنها إذا نزت جهلت جهلاً شديداً ، واعتراها هيج لا يُقام له . وإذا كان ذلك الزمان أجادوا عقله ، وأرسلوه في الفيلة الوحشية . فأما الخنزير والكلب فإيهما لا يجهلان على الناس ؛ لمكان الألفة .

(١) أي زمان الهيج .

(٢) ط ، ه : « الحالات » .

(٣) الهجمة ، بالفتح : جماعة الإبل من الأربعين إلى المائة .

(٤) جراء : جمع جرو ، وهو ولدها . س : « جرى » ، مصغر جرو .

قال : وزعم بعضُ النَّاسِ أَنَّ إناثَ الخيلِ تمتلئُ ريجاً في زمانٍ هيئتها ، فلا يباعدون الذُّكُورَ عنها ، وإذا اعترأها ذلك ركضتُ ركضاً شديداً ، ثمَّ لا تأخذ غرباً ولا شرقاً ، بل تأخذ في الشَّمالِ والجنوبِ .

ويعرض مثل هذا العَرَضِ لإناثِ الخنازير . فإذا <sup>(١)</sup> كان زمنُ هِياجِ الخنازير ، تطأطيء رءوسها ، وتحرك أذنانها تحريكاً متتابعاً ، وتتغيرُ أصواتها إذا طلبت السَّقَاد . وإذا طلبت الخنزيرة السَّقَادَ بالت بولاً متتابعاً .

### (تناسل الخنازير)

قال : وإناث الخنازير تحمل أربعة أشهر . وأكثرُ ما تحمل عشرون خِنُوصاً <sup>(٢)</sup> . وإذا وضعت أجراً كثيراً لم تقوَ على رِضاعها وتربيتها .

قال : وإناث الخنازير تحمل من نزوة واحدة ، وربما كان من أكثر . وإذا طلبت الذكر لم تنزع حتى تطاوع وتسامح ، وترخي أذنانها . فإذا فعلت ذلك <sup>(٣)</sup> تسكتُ بنزوة واحدة .

١٩

ويُعلَفُ الذَّكَرُ الشَّعِيرَ في أوان النَّزْو ، ويصلح للأُنثى .

### (مدد الحمل للحيوان)

والخنزيرة تضع في أربعة أشهر ، والشاة في خمسة ، والمرأة والبقرة في تسعة أشهر ، والخافر كله في سنة .

(١) س : « وإذا » .

(٢) الخنوص ، كسنور : ولد الخنزير .

(٣) س : « فعند ذلك » .

### (خصائص الخنزير)

قال : ومتى قلعت العين الواحدة من الخنزير هلك . وكثير من الخنازير تبقى خمسة عشر عاما . والخنزير ينزو إذا تم له ثمانية أشهر ، والأنثى تريد الذكر إذا تمت لها ستة أشهر . وفي بعض البلدان ينزو إذا تم له أربعة أشهر ، والخنزيرة إذا تمت لها ستة أشهر ، ولكن أولادهما لا نجىء كما يريدون . وأجود النّزّو أن يكون ذلك منه وهو ابن عشرة أشهر إلى ثلاث سنين . وإذا كانت الخنزيرة <sup>(١)</sup> بكرًا ولدت جراء ضعافا ، وكذلك [ البكر ] من كل شيء .

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ ثم ذكر [ غير <sup>(٢)</sup> ] الطيبات فقال : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذَيْبَحَ عَلَى النُّصُبِ ، وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ، ذَلِكَمْ فِسْقٌ <sup>(٣)</sup> ﴾ .

(١) ط : « الخنزيرة » بالتصغير .

(٢) ليست بالأصل : وبها يصح الكلام .

(٣) الدم : أى الدم المصفوح ، وكان أهل الجاهلية يصبونه في الأمعاء ويشوونها . وانظر ص ٩٦ . وما أهل به لغير الله : أى مازع الصوت لغير الله به ، كقولهم : باسم اللات والعزى عند ذبحه . والموقوذة : المضروبة بنحو خشب ، أو حجر ، حتى تموت . والمتردية : التي تردت من علو أو في بئر فانت . والنطيحة : التي نطحتها غيرها فانت . وما أكل السبع : أى ما أكل منه سباع الحيوان الصائد . والنصب : واحد الأنصاب ، وهي أحجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويتقربون بذلك . والاستقسام بالأزلام : ما كانوا يفعلونه من التماسر بالأقداح على الجزور .

ثُمَّ قَالَ : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ <sup>(١)</sup> أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ .

### (استطرد لغوى)

وقوله تعالى : ﴿ طَيِّبَاتٍ ﴾ تحتل وجوهاً كثيرة ، يقولون : هذا ماء طيب ، يريدون العذوبة . وإذا قالوا للبرِّ والشَّعِيرِ والأَرَزِ طيبٌ ، فإنما يريدون أنه وسطٌ ، وأنه فوق الدُّون . ويقولون : فم طيب الرِّيح ، وكذلك البرِّ ، يريدون أنه سليم من اللُّثْنِ ، ليس أن هناك ريحاً طيبة ولا ريحاً منتنة . ويقولون : حلال طيبٌ ، وهذا لا يحل [ لك <sup>(٢)</sup> ] ، ولا يطيب لك ، وقد طاب لك : أى حلَّ لك ، كقوله : ﴿ فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ .

(١) عطف على : « من لعنه الله » أى « ومن عبد الطَّاغُوتَ » . وقرئ : « عابد الطَّاغُوتَ » ، و « عبد الطَّاغُوتَ » نعت كقطن ويقط « و « عبدة الطَّاغُوتَ » ، و « عبد الطَّاغُوتَ » جمع كخدم . والطَّاغُوت منصوبة في قراءة حفص ، مجرورة في القراءات الأربع التى سردتها . والمراد به الكهنة ، أو من أطاعوه في معصية الله .

(٢) الزيادة من هـ ، س .  
(٣) س : « انكحوا » ، وهو وجه جائز في الاستشهاد حيث يصح ترك الواو والفاء ونحوها . في أول الاستشهاد ، وقد سبق مثله في ( ٣ : ١٥ ) ، وسيأتى نظيره في ٢٧٦ . وقد كتب إلى حضرة المحدث الكبير الأستاذ أحمد محمد شاكر ، أن الشافعى جرى على هذا النحو في ثلاثة مواضع من « الرسالة » وهى : رقم ٦٤٣ قول الشافعى : « لقول الله : يحل لحم الطيبات » والتلاوة « ويحل » . ورقم ٩٧٤ قول الشافعى : « وقال : قاتلوا المشركين كافة » والتلاوة : « وقاتلوا » . ورقم ٩٧٥ قوله : « وقال : اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » والتلاوة : « فاقتلوا » .

قال طُوَيْسُ المَعْنَى لبعض<sup>(١)</sup> ولد عثمان بن عفان<sup>(٢)</sup> : لقد شَهِدْتُ  
زِفَافَ أُمِّكَ المَبَارَكَةِ إلى أبيك الطَّيِّبِ . يريد الطَّهَّارَةَ . ولو قال : شهدت  
زِفَافَ أُمِّكَ الطَّيِّبَةَ إلى أبيك المَبَارَكِ ، لم يحسن ذلك ؛ لأنَّ قولك طَيِّبٌ إِنَّمَا  
يدلُّ على قدر ما اتَّصَلَ به من الكلام . وقد قال الشَّاعِرُ<sup>(٣)</sup> :

والطَّيِّبُونَ مَعَاقِدُ الأُزْرِ<sup>(٤)</sup>

وقد يخلو الرَّجُلُ بالمرأة فيقول : وجدتُها طَيِّبَةً . يريد طَيِّبَةَ الكَوْمِ<sup>(٥)</sup>  
لتذينة نفس الوطء . وإذا قالوا : فلان طَيِّبُ الخُلُقِ ، فإنَّما يريدون الظَّرْفَ  
والملح<sup>(٦)</sup> .

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ  
طَيِّبَةٍ ﴾ ، يريد ريحاً ليست بالضعيفة ولا القويَّة .

(١) طويس هذا ، هو الذي يقال فيه : « أشأم من طويس » وذلك أنه - كما يقولون -  
ولد يوم قبض الرسول ، وفطم يوم وفاة أبي بكر ، وخنن يوم مقتل عمر ، وزوج  
يوم مصرع عثمان ، وولد له ولد يوم قتل علي . وهو أول من تغنى بالمدينة غناء  
يدخل في الإيقاع . وعمر حتى مات في ولاية الوليد بن عبد الملك .

(٢) هو سعيه بن عثمان بن عفان ، وكان سأل طويساً : أينما أسن ، أنا أو أنت  
باطويس ؟ فأجابه طويس بالجواب الآتي . انظر البيان ( ١ : ٢٦٣ ) . وأول  
الجواب في البيان : « بآني أنت وأمي ، لقد . . . إلخ .

(٣) هو الخنرق بنت هفان « من مرثية لها ترقى بها زوجها بشر بن عمرو بن مرثد  
الضبي ، وابنها علقمة ، وأخويه حسان وشرحبيل » ومن قتل معهم من قومهم .  
الخرزاة ( ٢ : ٣٠٦ بولاق ) .

(٤) صدر البيت :

\* النازلين بكل معترك \*

والأزر : جمع إزار ، وسكن الزاي للشعر . وهو ما ستر النصف الأسفل من  
الإنسان . والمعنى أنهم أعفأ . ط : « الأرز » ، صوابه في س « ه » .

(٥) الكوم ، بالفتح ، بمعنى الوطء .

(٦) الملح ، بالكسر ، بمعنى الملاحاة .

ويقال : لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس منه . وقال الله عز وجل : ﴿ فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴾ وقال : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ ، وذلك إذا (١) كانت طيبة الهواء والفواكه ، خصيبة .

وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ثم قال : ﴿ الْحَيْثَاتُ لِلْحَيْثِينَ وَالْحَيْثُونَ لِلْحَيْثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ .

وفي هذا دليل على أن التأويل في امرأة نوح وامرأة لوط ، عليهما السلام ، على غير ما ذهب إليه كثير من أصحاب التفسير : وذلك أنهم حين سمعوا قوله عز وجل : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحَ وَامْرَأةَ لُوطَ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا ﴾ فدل ذلك على أنه لم يعن الخيانة في الفرج .

وقد يقع اسم الخيانة على ضروب : أو لها المال ، ثم يشتق من الخيانة في المال الغش في النصيحة والمشاورة . وليس لأحد أن يوجه الخبر إذا نزل في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وحرّم الرُّسُل ، على أَسْمَح الوجوه ، إذا كان للخبر مذهب في السلامة ، أو في القصور على أدنى العيوب (٢) . وقد علمنا أن الخيانة لا تتخطى إلى الفرج حتى (٣) تبتدىء بالمال . وقد

(١) في الأصل : « إذا » .

(٢) القصور ، بمعنى الانتهاء . وفي الأصل : « المقصود » ، وليس لها وجه .

(٣) ط ، هـ : « قد » .

يستقيم أن يكونا من المنافقين فيكون ذلك منهما خيانة عظيمة . ولا تكون  
نساؤهم زواني ، فيلزمهم أسماء قبيحة . وقال الله عز وجل : ﴿ إِذَا دَخَلْتُمْ  
بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ ﴾ وقال :  
﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ وقال : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ  
أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ  
زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ وقال : ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ  
خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ و : ﴿ مَثَلًا كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ وقال :  
﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمُنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ  
مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ فقلوه : طيب ، يقع في مواضع كثيرة ، وقد فصلنا بعض  
ذلك <sup>(١)</sup> في هذا الباب .

ثم رجع بنا القول إلى موضعنا من ذكر الخنزير

ثم قال : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِيهَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا  
أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا  
أَهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ . ٢١  
ألا تراه قد ذكر أصناف ما حرّم ولم يذكرها بأكثر من التحريم ، فلما  
ذكر الخنزير قال : ﴿ فَإِنَّهُ رِجْسٌ ﴾ ؟ ! فجعل الخنزير وإن كان غير مَيْتة  
أو ذكر الذابح عليه اسم الله ، أنه رِجْسٌ <sup>(١)</sup> . ولا نعلم لهذا الوجه إلا الذي  
خصّه الله به من ذكر المسخ ، فأراد تعظيم شأن العقاب ونزول الغضب ، وكان  
ذلك القول ليس بما يضر الخنزير ، وفيه الزجر عن محارمه ، والتخويف

(١) ط ، ه : « بعضها » .

(٢) ط : « رجسا » موضع : « أنه رجس » .

من مواضع عذابه . و [ إِنْ قِيلَ <sup>(١)</sup> ] : ينبغي أن يكون مسخَّ صورة القرد ،  
فهلَّا ذكره في التحريم مع أصناف ما حرَّم ، ثمَّ خصَّه أيضاً أنَّه من بينها  
رجس ، وهو يريد مذهبه وصفته ؟ قلنا : إنَّ العرب لم تكن تأكلُ القروَدَ ،  
ولا تلتمسُ صيدها للأكل . وكلُّ مَنْ تنصَّرَ من ملوك الرُّومِ والحبشةِ  
والصِّينِ ، وكلُّ مَنْ تمجَّسَ من مَلِكٍ أو سُوقة ، فإنَّهم كانوا يرون للحمِ  
الخنزير <sup>(٢)</sup> فضيلةً ، وأنَّ لحومها ممَّا تقوم إليه النفوسُ ، وتنازع إليه  
الشَّهوات . وكان في طباع الناس من التكرُّه للحوم القِرَدَةِ ، والتقدُّر <sup>(٣)</sup>  
منها ما يُغنى عن ذكرها . فذكر الخنزير إذ كان بينهما هذا الفرق ، ولو  
ذكر ذلك وألحق القردَ بالخنزير لموضع التحريم ، لكان ذلك إنما كان على  
وجه التوكيد لما جعله الله تعالى في طبائعهم من التكرُّه والتقدُّر ، ولا <sup>(٤)</sup>  
غير ذلك .

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ  
الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شَحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ  
مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ <sup>(٥)</sup> ﴾ .

(١) زيادة يقتضيها الكلام . وجواب الاعتراض في السطر الثالث .

(٢) ط ، هـ : « لحم الخنزير » وصوابه في س .

(٣) خير منه : « التقرُّز » .

(٤) س : « لا » بحذف الواو .

(٥) الذين هادوا : اليهود . والمراد بالظفر المخلب والخافر أيضاً . والمراد بالشحوم  
شحوم الثروب وشحوم الكلى . حملت ظهورهما : أى ما علق بظهورهما من الشحم .  
والحوايا : الأمعاء ، واحدها حاوية . والشحم الذى اختلط بالمعظم هو شحم الألية .  
لاتصاله بالعصمى . ط بعد : « . . . عليهم شحومهما » : كلمة « الآية » . وجاءت  
مسرودة في س ، هـ إلى « وإنا لصادقون » .

## (وجوه التحريم)

وقد أنبأك<sup>(١)</sup> كما ترى عن التحريم أنه يكون من وجوه : فمنها ما يكون كالكذب والظلم والغشم<sup>(٢)</sup> والغدر ؛ وهذه أمور لا تحل على وجه من الوجوه . ومنها ما يحرم في العقل من ذبح الإنسان الطفل . وجعل في العقول التبيين<sup>(٣)</sup> بيان خالق الحيوان أو المالك له ، والقادر على تعويضه ، يقبح<sup>(٤)</sup> ذلك في السماع على السنة رسله .

وهذا إما يحرم بعينه وبذاته ، لأنه<sup>(٥)</sup> حرم لعله قد يجوز دفعها . والظلم نفسه هو الحرام ، ولم يحرم لعله غير نفسه .  
وباب آخر ، هو ما جاء من طريق التعبد ، وما يعرف بالجملة ، ويعرف بالتفسير .

ومنه ما يكون عقاباً ، ويكون مع أنه عقاب امتحاناً واختباراً ، كنحو ما ذكر من قوله : ﴿ ذَلِكْ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ ﴾ \* وكنحو أصحاب البقرة الذين قيل لهم : اذبحوا بقرة ؛ فإني أريد أن أضرب بها القتل ثم أحبيهما جميعاً . ولو اعترضوا من جميع البقر بقرة فذبحوها ، كانوا غير مخالفين ؛ فلما ذهبوا مذهب التلکؤ والتعلل<sup>(٦)</sup> ، ثم التعرض ، والتعنت<sup>(٧)</sup> في طريق التعنت ، صار ذلك سبب تغليب الفرض<sup>(٨)</sup> .

(١) كذا على الصواب في س ، هـ . وفي ط : « أنبأناك » .

(٢) الغشم : الظلم .

(٣) في الأصل : « التبيين » وانظر التنبيه ١ ص ٥١ .

(٤) س ، هـ : « أن يقبح » وكلمة « أن » مقحمة .

(٥) في الأصل : « وأنه » ، والوجه ما أثبت .

(٦) التلکؤ : الإبطاء والاعتلال . ط ، س : « التلکي » هـ : « التلطي »

صوابه ما أثبت . والتعلل : بمعنى التماس العلل . ط : « التعليل » ؛ صوابه ما أثبت من س ، هـ .

(٧) كذا . ولعلها : « التعلل » .

(٨) وذلك أنهم سألوا موسى أسئلة ثلاثة ، فكلما سألوا سؤالاً زاد عليهم التكليف =

وقد قال الله عز وجل : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ ، وقال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ . ومثله : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا ﴾ ، يجوز أن يكون إنما يريدون صرف العذاب ، ويجوز أن يكون إنما يريدون تخفيف الفرائض . وقد يجوز أن يكون (١) على قول من قال : لا أستطيع النظر إلى فلان ، على معنى الاستئصال (٢) .

وباب آخر من التحريم ، وهو قوله : ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ ﴾ (٣) .

### (شعر في الخنزير)

وقال مروان بن محمد (٤) :

يَمْشِي رُوَيْدًا يُرِيدُ خَنَازِكُمْ (٥) كَشَى خَنِزِيرَةً إِلَى عَذْرَةٍ (٦)

= انظر الآيات ٦٧ - ٧١ من سورة البقرة . ولو أنهم أطاعوا الأمر بادىء بدء لما عرض لهم هذا التشديد .

(١) في الأصل : « يجوز إذا » وانظر ما سبق .

(٢) في الأصل : « الاستئصال » .

(٣) إسرائيل هو يعقوب عليه السلام . وكان حرم على نفسه بعض الطعام ، كالحوم الإبل وألبانها .

(٤) هو أبو الشمقم الذي سبقت ترجمته في ( ١ : ٢٢٥ ) .

(٥) كذا في ط . وفي س ، هـ : « خلعتكم » ، وصوابه « خلقتكم » كما سبق في ( ١ : ٢٣٩ ) .

(٦) ط : « غذرة » ، وتصحيحه من س ، هـ .

وقال آخر (١) :

نِعْمَ جَارُ الْخَنْزِيرَةِ الْمَرْضِيعُ الْغَرَّ ثَى إِذَا مَا غَدَا ، أَبُو كَلْثُومٍ (٢)  
طَاوِيًا قَدْ أَضَابَ عِنْدَ صَدِيقٍ مِنْ ثُرَيْدٍ مُلَبِّسٍ مَادُومٍ (٣)  
ثُمَّ أَنْحَى بِجَعْرِهِ حَاجِبَ الشَّيْءِ س فَالْقَى كَالْمِغْلَفِ الْمَهْدُومِ  
(جرير والحضرمي)

وقال أبو الحسن (٤) : وفد جريرٌ على هشامٍ ، فقال الحضرمي : أَيُّكُمْ  
يَشْتُمُهُ ؟ فقالوا : مَا أَحَدٌ يَقْدِمُ عَلَيْهِ ! قال : فَأَنَا أَشْتُمُهُ وَيَرْضَى وَيَضْحَكُ !  
قال : فَقَامَ إِلَيْهِ فَقَالَ : أَنْتَ جَرِيرٌ ؟ قال : نَعَمْ . قال : فَلَا قَرَّبَ اللَّهُ دَارَكَ  
وَلَا حَيًّا مَزَارَكَ ! يَا كَلْبُ ! فَجَعَلَ جَرِيرٌ يَنْتَفَخُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : رَضِيتَ فِي  
شُرْفِكَ وَفَضْلِكَ وَعَفَاكَ أَنْ تَهَاجِيَ الْقَرْدَ الْعَاجِزَ (٥) ؟ ! يَعْنِي الْفِرْزَدَقُ . فَضَحِكَ .  
فَحَدَّثَ صَدِيقٌ لِي أَبَا الصَّلَاحِ السَّنْدِيَّ (٦) بِهَذَا الْحَدِيثِ ، قَالَ : فَشِعْرِي  
أَعْجَبُ مِنْ هَذَا ؛ لِأَنِّي شَتَمْتُ الْبُخْلَاءَ . فَشَتَمْتُ نَفْسِي بِأَشَدِّ مِمَّا شَتَمْتَهُمْ .  
فَقَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ قَوْلِي :

لَا تَرَى بَيْتَ هَجَاٍ أَبْدَأُ يُسْمَعُ مِنِّي  
الْهَجَا أَرْفَعُ مِّنْ قَدْرِهِ يَصْغُرُ عَنِّي (٧)

- (١) هو الحكم بن عبدل ، كما سبق في ( ١ : ٢٣٦ ) .
- (٢) الفرثي ، بالعين : جمع غرثان ، وهو الجائع . هـ : « الفرثي » صوابه في ط ،  
س والبيان ( ٣ : ٣١١ ) .
- (٣) في الجزء الأول : « من ثريد ملحق » . والمادوم : المخلوط بالأدم بالضم ، وهو  
ما يخلط به الخبز .
- (٤) هو أبو الحسن المدائني الأخباري الراوية .
- (٥) ط : « الفاجر العاجز » وأثبت ما في س ، هـ .
- (٦) ذكره ابن النديم في الشعراء المقلدين ١٦٤ ليسك ٢٣٣ مصر ، وذكره المرزباني في المعجم  
٣١١ باسم « أبو الصلح » في حرف الضاد المعجمة . هـ : « الهندي » .
- (٧) س : « ينقص عني » .

(طريقة)

قال أبو الحسن : كان واحدٌ يسخرُ بالنَّاسِ ، ويدَّعى أَنَّهُ يرقى من الضُّرس إذا ضربَ على صاحبه . فكان إذا أتاه مَنْ يشتكى ضرسه قال له إذا رقاہ : إِيَّاكَ أَنْ تَذْكَرَ إذا صرْتَ إلى فراشك القِرْدَ ؛ فَإِنَّكَ إِنْ ذَكَرْتَهُ بَطَلَتِ الرُّقِيَّةُ ! فكان - إذا أَوَى إلى فراشه - أَوَّلَ شَيْءٍ يَخْطُرُ عَلَى بَالِهِ ذِكْرُ القِرْدِ ، ويبيت على حاله من ذلك الوجع ، فيغدو إلى الذى رقاہ ٢٣ فيقول له : كيف كنت البارحة ؟ فيقول : بَتُّ وَجَعًا ! فيقول : لعلَّكَ ذَكَرْتَ القِرْدَ ! فيقول : نعم ! فيقول : مِنْ ثَمَّ لَمْ تَنْتَفِعَ بِالرُّقِيَّةِ !

(شعر لبعض ظرفاء الكوفيين)

وقال بعضُ ظُرفاءِ الكوفيين :

فَإِنْ يَشْرَبُ أَبُو فَرْوُخَ أَشْرَبُ وَإِنْ كَانَتْ مَعْتَقَةً عُقَارًا<sup>(١)</sup>  
وَإِنْ يَأْكُلُ أَبُو فَرْوُخَ آكَلٌ وَإِنْ كَانَتْ خَنَانِيصًا صِغَارًا<sup>(٢)</sup>

(١) انظر للكلام على صرف «فروخ» اللسان (فرخ) حيث أنشد البيت الثاني برواية أخرى .  
والعقار ، بالضم : الخمر ؛ لمعاقرتها ، أى ملازمتها اللدن ، أو لعقرها شاربها  
عن المشي .

(٢) الخنانيص : جمع خنوص ، كسنور ، وهو ولد الخنزير . والبيتان في عيون الأخبار  
( ٣ : ١٦ ) . والثاني منهما في اللسان (فرخ) .

## (قرد يزيد بن معاوية)

وقال يزيد بن معاوية<sup>(١)</sup> :

فَمَنْ مَبْلَغُ الْقِرْدِ الَّذِي سَبَقَتْ بِهِ جِيَادَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَتَانَهُ  
تَعَلَّقَ أَبَا قَيْسٍ بِهَا إِنْ أَطْعَمَنِي فَلَيْسَ عَلَيْهَا إِنْ هَلَكْتَ ضَمَانُ<sup>(٢)</sup>

## (جزع بشار من شعر حماد)

وزعم الجرداني أن بشاراً الأعمى ، لم يجزع من هجاء قط كجزعه من  
بيت حماد عجرد ، حيث يقول :

وَيَا أَتْبَحَ مِنْ قِرْدٍ إِذَا مَا عَمِيَ الْقِرْدُ

(١) س : « أبو يزيد بن معاوية » ، وصوابه ما أثبت من ط ، ه وأمالى الزجاجي ٤٦

والمخصص (١٣ : ١٧٧) . ونهاية الأرب ( ٩ : ٣٣٧ ) وفي مروج الذهب ( ٣ :

٧٧ ) أن القائل بعض شعراء الشام ، وكذا في مباحج الفكر ١٢٢ . والبيتين قصة طريفة

فقد ذكروا أن يزيد بن معاوية كان له قرد يلعب به « فلامه الناس على اتخاذه ، فأمر

به فشد على أتان وحشية ، ثم أطلقت ، وأمر أن تطلبه الخيل ، فركض الخيل ، وتنادت

الفرسان في طلبه فتجا ولم يدرك . وأنشد يزيد البيتين الآتين ( برواية أخرى ) :

تمسك أبا قيس على أرحبية فليس علينا إن هلكت ضمان

فقلت من الشخص الذي سبقته جياذ أمير المؤمنين أتان

قلت : ومعنى اللعب بالقرد هو السباق به . ويتضح ذلك من النص الآتي

عن نهاية الأرب : « وفي القرد من قبول التأديب والتعليم مالاخفاء به عن أحد ؛

حتى إنه درب قرد ليزيد بن معاوية على ركوب الحمير والمسابقة عليها » .

(٢) أبو قيس : كنية القرد ، كما في المخصص . بها : أي بالأتان .

( شعر في الهجاء )

وقال بشير بن أبي جذيمة العبسي<sup>(١)</sup> :

أَتَخْطِرُ لِلْأَشْرَافِ حَذِيمُ كَبْرَةٍ    وهل يستعدُّ القِرْدُ لِلْخَطَرَانِ<sup>(٢)</sup>  
أَبِي قِصْرُ الْأَذْنَابِ أَنْ يَخْطِرُوا بِهَا    وَلَوْمْ قُرُودٍ وَسَطُ كُلِّ مَكَانٍ  
لَقَدْ سَمِنَتْ قِرْدَانُكُمْ آلَ حَذِيمٍ    وَأَحْسَابُكُمْ فِي الْحَيِّ غَيْرُ سِمَانِ<sup>(٣)</sup>

الأصمعي<sup>(٤)</sup> عن أبي الأشهب<sup>(٥)</sup> عن أبي السليل قال : ما أبالي أخنزيراً  
رَأَيْتُ يُجْرُ بِرَجْلِهِ<sup>(٦)</sup> ، أو مثل<sup>(٧)</sup> عبيد ينادى : يالَ قَلَانِ !

(١) هو بشير ، بهيئة الصنير ، ابن أبي جذيمة بن الحكم بن مروان بن زنباع بن جذيمة  
العبسي « ذكره الأمدى في المؤلفات والمختلف ٦١ . وروى له أبو تمام الأبيات  
الآتية في حماسه ( ٢ : ١٨٢ ) . وفي الأصل : « بشر بن الهندى » ، وهو  
تحريف غير صالح .

(٢) تخطر : من خطر البعير : ضرب بذنبه يمينا وشمالا . والكبرة ، بالكسر :  
الغظلة ، أو التجبر . يقول لقبيل حذيم : أتعدثون أنفسكم بمجاعة الأشرف ؟ !  
وجعلهم قُرودا لحسبهم . والقرد لاذنب له يخطربه . ورواية الحماسة : « أتخطر  
للأشرف يا قرد حذيم .

(٣) سئل أبو الندى عن معنى هذا البيت فقال : كنى بالقردان هنا عن القمل . أى  
سمنت أجسامكم وعظمت ، ودقت أحسابكم ولؤمت . وأصل القردان ، بالكسر : جمع  
قرد بالضم ، وهو دويبة تلزم الإبل ومعاطنها . ورواه أبو تمام : « قعدانكم »  
جمع قعود ، وهو الذكر الشاب من الإبل . جعل قعدانهم سمينة لأنهم يؤثرونها  
بالبن على الضيف والجار ، فأحسابهم غير سمان . وقد رد أبو محمد الأحرابي رواية  
أبي تمام . البريزي ( ٤ : ٩ ) .

(٤) ط : « وقال الأصمعي » ، صوابه ما أثبت من س ، ه .

(٥) س : « ابن الأشهب » .

(٦) س : « برجليه » .

(٧) س : « قليل » .

### (استطراد لغوى)

الأصمعي عن أبي ظبيان<sup>(١)</sup> قال : الخوز<sup>(٢)</sup> هم البناة<sup>(٣)</sup> الذين بنوا الصرح<sup>(٤)</sup> واسمهم مشتق من الخنزير . ذهب إلى اسمه بالفارسية [ خوك<sup>(٥)</sup> ] ، فجعلت العرب خوك<sup>(٦)</sup> خوزاً<sup>(٧)</sup> . إلى هذا ذهب .

### (تناسل المسخ)

و [ قد ] قال الناس في المسخ بأقاويل مختلفة : فمنهم من زعم أن المسخ لا يتناسل ولا يبقى إلا بقدر ما يكون موعظة وعبرة ، فقطعوا على ذلك<sup>(٨)</sup> الشهادة . ومنهم من زعم أنه يبقى ويتناسل ، حتى جعل الضب والجري<sup>(٩)</sup> ، والأرانب ، والكلاب وغير ذلك . من أولاد تلك الأم التي مسخت في هذه الصور . وكذلك قولهم في الحيات .

وقالوا في الوزغ : إن أباه<sup>(١٠)</sup> ، لما صنع في نار إبراهيم وبيت المقدس ماصنع<sup>(١١)</sup> ، أسمه الله وأبرصه ، فقيل : « سام أبرص » . فهذا الذي

(١) لم أثر له على تعريف .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من س . وبدلها في ط : « الخزر » صوابه ما أثبت من ه ومن معجم البلدان . والخوز بالضم : أهل خوزستان .

(٣) البناة بالضم : جمع بان . وبدله في المعجم : « الفعلة » . ط ه : « البنات » محرفة .

(٤) الصرح ، بالفتح : بناء عظيم قرب بابل ، يقال إنه قصر بختنصر . عن المعجم .

(٥) في الأصل « وهو هنا س : « هزر » وتصحيحه من معجمي استينجاس وريتشاردسن ، والمعارف لابن قتيبة ص ٢٧٠ . وانظر معجم البلدان ( خوز ) .

(٦) في الأصل : « خزر » وصوابه ما أثبت . انظر التنبيه السابق .

(٧) في الأصل : « خنزيرا » . والوجه ما كتبت .

(٨) ط ه : « تلك » . والشهادة معمول قطعوا .

(٩) الجري : ضرب من السك . زعم أصحاب الخرافة أنه كان أمة من الأم مسخها الله انظر الحيوان ( ١ : ٢٩٧ س ٥ ) .

(١٠) س ه : « أباهم » . وقد يستعمل ضمير الماقلين لغيرهم . وقد عقد الثعالبي في سر العربية فصلاً لذلك ، عنوانه : ( فصل في إجراء غير بني آدم مجراهم في الإخبار عنه ) .

(١١) في سنن ابن ماجه ، عن عائشة رضى الله عنها « أنه كان في بيتها رمح موضوع ، فقيل =

نرى<sup>(١)</sup> هو من ولده ؛ حتى صار في قتله الأجر العظيم ، ليس على أن الذي يقتله كالذي يقتل الأسد والذئب ، إذا خافها على المسلمين .

وقالوا في سهيل<sup>(٢)</sup> ، وفي الزهرة<sup>(٣)</sup> ، وفي هاروت وماروت<sup>(٤)</sup> ، وفي قيرى وعيرى أبوى ذى القرنين<sup>(٥)</sup> ، وجرهم<sup>(٦)</sup> ، ماقالوا .

= لها : ما تصنعين بهذا ؟ فقالت : أقتل به الوزغ فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما ألقى في النار لم يكن في الأرض دابة إلا أطفأت عنه ، غير الوزغ فإنه كان ينفخ عليه النار ، فأمر صلى الله عليه وسلم بقتله . وكذا رواه الإمام أحمد في مسنده . وكذا روي أنه لما أحرق بيت المقدس كانت الأوزاغ تنفخه . السيرى .

(١) س : « يرى » .

(٢) سهيل ، ذاك النجم . زعموا أنه كان عشاراً باليمن . الحيوان ( ١ : ٢٩٧ ) وتأويل مختلف الحديث ١٠ . وما يشبه هذه الخرافة مازعموا أن ذئباً دخل الجنة لأنه أكل عشاراً .  
(٣) الزهرة : ذاك الكوكب . زعموا أنها كانت بغيا عرجت إلى السماء باسم الله الأعظم فسمخها الله شهاباً . تأويل مختلف الحديث ١٠ .

(٤) زعم العوام ، متبعين حكاية اليهود ، أنها ماسكان مثلاً بشرين ، وركب فيهما الشهوة ، فتمرضاً لامرأة يقال لها الزهرة ، فحملتهما على المعاصي والشرك ، ثم صعدت إلى السماء بما تعلمت منهما من السحر — انظر التنبيه السابق وتفسير البيضاوى — وقال الجاحظ في شأنهما : « وكان الملك من الملائكة إذا عصي ربه في السماء » أهبطه إلى الأرض في صورة رجل وفي طبيعته « كما صنع هاروت وماروت ، حين كان من شأنهما وشأن الزهرة — وهي أناهيد — ما كان » . انظر الحيوان ( ١ : ١٨٧ س ٤ ) . والمذهب القرآني فيهما أنها ماسكان أنزلا لتعليم السحر ، ابتلاء من الله للناس ، وتمييزاً بين السحر والمعجزة ، وكانا يقولان لمن يعلمانه : « إنما نحن فتنة فلا تكفر » ، أى نحن نعلم للعالم لا العمل ؛ فعلم السحر لا بأس به ، وأما العمل به فمفسد ومتنوع .

(٥) وكذا جاءا بالباء الموحدة في فقه اللغة بدون اختلاف في النسخ ، وثمار القلوب ٢٢٦ وكذا في الجزء الأول من نسخة كوبريل . راجع هذه الطبعة ( ١ : ١٨٨ ) وفي رسائل الجاحظ ٩٧ ساسي : « قيرى وعيرى » بالمشناة التحتية . وفي ط : « قيرى وعيرى » و ه : « قيرى وعيرى » و س ( صرى — مهمل — وعيرى ) أما أولها فزعموا أنها أم ذى القرنين ، وأنها كانت آدمية ، وأما الآخر فهو أبو ذى القرنين ، وكان من الملائكة فيما زعموا . انظر الحيوان ( ١ : ١٨٨ ) وثمار القلوب . جاء في الأصل بضمه : « وفي أبوى » . وكلمة : « في » مقحمة كما ظهر لك . وجاء في ط ، ه : « ذوى القرنين » تحريف صوابه في س .

(٦) جرهم هذا هو ابن يقطن بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام ، فيما يرى نسب =

## (القول في المسخ)

فَأَمَّا الْقَوْلُ فِي نَفْسِ الْمَسْخِ فَإِنَّ النَّاسَ اخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ : فَأَمَّا الدَّهْرِيَّةُ ٢٤  
فَهُمْ فِي ذَلِكَ صَنِيفَانِ : فَهَنَّهُمْ مَنْ جَعَلَ الْمَسْخَ وَأَقَرَّ بِالْحَسْفِ <sup>(١)</sup> وَالرَّيْحَ  
وَالطُّوفَانَ ، وَجَعَلَ الْحَسْفَ كَالزَّلَازِلِ ، وَزَعَمَ أَنَّهُ يَقَرُّ مِنَ الْقَذْفِ بِمَا كَانَ  
مِنَ الْبَرْدِ الْكِبَارِ <sup>(٢)</sup> ؛ فَأَمَّا الْحِجَارَةُ فَإِنَّهَا لَا تَجِيءُ مِنْ جِهَةِ السَّمَاءِ . وَقَالَ :  
لَسْتُ أَجُوزُ إِلَّا مَا اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ أَنَّهُ قَدْ يَحْدُثُ فِي الْعَالَمِ . فَأَنْكَرَ  
الْمَسْخَ الْبَيْتَةَ .

## (أثر البيئة)

وَقَالَ الصَّنِيفُ الْآخَرُ : لَا نَنْكَرُ أَنْ يَفْسُدَ الْهَوَاءُ فِي نَاحِيَةٍ مِنَ النَّوَاحِي  
فَيَفْسُدَ مَاؤُهُمْ <sup>(٣)</sup> وَتَفْسُدَ ثُرْبَتُهُمْ ، فَيَعْمَلُ ذَلِكَ فِي طَبَاعِهِمْ <sup>(٤)</sup> عَلَى الْأَيَّامِ ،

= العرب . قالوا : ولما ترك إبراهيم ولده إسماعيل وأمه بمكة ، جاءت رفقة من جرهم  
فنزّلوا شعاب مكة ، فنشأ إسماعيل مع أولادهم وتعلّم الرمي ونطق بلسانهم ثم خطب  
إليهم فزوجوه امرأة منهم ، قال ابن إسحاق : هي بنت مضاخ بن عمرو الجرمي .  
والزعم الذي أشار إليه الجاحظ هو قوطم : إن بعض الملائكة عصى الله فأهبط إلى  
الأرض في صورة رجل تزوج أم جرهم فولدت له جرهما . انظر الحيوان ( ١ ) :  
١٨٧ س ٧ ) . والعرب يسمون ما تولد بين الملك والآدي — في زعمهم —  
« العليان » بالعين . فقه اللغة ٨٢ الحلبي .

(١) يقال خسف الله به الأرض : جعلها تسوخ به . قال تعالى في شأن قارون : « فخرسنا  
به وبداره الأرض » .

(٢) أى أنه يجوز عنده أن تقذف السماء على الناس برداً كبيراً . فأما سقوط الحجارة  
من السماء لتعذيب فهو يتكره . والانتقام بمطر الحجارة جاء في القرآن الكريم  
على أنه عقاب لقوم لوط : « فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها  
حجارة من سجيل منضود » . هود ٨٢ . « فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم  
حجارة من سجيل » . الحجر ٧٤ . « لنرسل عليهم حجارة من طين » . الذريات ٣٣ .  
في الأصل : « أنه يقرب من القذف » ، وصوابه ما أثبت .

(٣) ط ، هـ : « ماثم » ، صوابه في س .

(٤) س : « طباعهم » .

كما عمل ذلك في طباع الزنج ، وطباع الصقالبة<sup>(١)</sup> ، وطباع بلاد ياجوج وماجوج<sup>(٢)</sup> . وقد رأينا العرب وكانوا أعراباً حين نزلوا خراسان ، كيف انسلخوا من جميع تلك المعاني ، وترى طباع بلاد الترك كيف تطبع الإبل والدواب وجميع ماشيتهم : من سبع وبهيمة ، على طبائعهم . وترى جراد البقول والرياحين وديدانها خضراً ، وトラها<sup>(٣)</sup> في غير الحضرة على غير ذلك . وترى القملة في رأس الشاب الأسود الشعر سوداء ، وトラها في رأس الشيخ الأبيض الشعر بيضاء ، وトラها في رأس الأشمط شمطاء ، وفي لون الجملي الأورق<sup>(٤)</sup> . فإذا كانت في رأس الخصيب بالحمرة تراها حمراء . فإن نصل خضابه صار فيها شكلة من بين بيض وحمرة .

وقد نرى حرّة بنى سليم<sup>(٥)</sup> ، وما اشتملت عليه من إنسان وسبع ، وبهيمة وطار ، وحشرة فتراها كلها سوداء .

(١) الصقالبة : جنس يسكن بين بلاد بلغار وقسطنطينية . معجم البلدان . وقد بين خصائصهم المسعودي في التنبيه والإشراف ٢٢ .

(٢) جنس من الآسيويين ، بنى من أجلهم سد الصين الذي بناه الإسكندر ، وبين المسعودي طبائعهم بأنهم في عداد البهائم .

(٣) ط ، هـ : « أو تراها » س : « و تراها » .

(٤) الشمط محركة : بياض الرأس يخالط سواده ، ويستعمل أيضاً في غير الرأس .

وكلمة « شمطاء » والواو بعدها ليستا في س ، هـ . وفي التنبيه والإشراف ص ٢٧ حيث تجد مثل هذا الكلام : « شهباء » . والشبهة نحو الشمط . والأورق

من الإبل : ما في لونه بياض إلى سواد . وانظر رسائل الجاحظ ( ٢ : ٢١٩ - ٢٢٠ ) .

(٥) الشكلة ، بالضم : اختلاط البياض بالحمرة . وفي الأصل : « شكلة » محرف .

(٦) الحرّة ، بالفتح : أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرق بالنار : وسليم ، هو بهيئة التصغير — ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان ، وهذه الحرّة في عالية نجد . وانظر الكلام بتفصيل فيما اشتملت عليه هذه الحرّة ، في رسائل الجاحظ ٧٨ سمي وثمار القلوب ٩٦ .

وقد خبرنا من لا يُحصى من الناس أنهم قد أدركوا رجالاً من نبط  
بيسان<sup>(١)</sup> ، ولهم أذنان إلا تكن كأذنان التماسيح والأسد والبقر والحيل  
وإلا كأذنان السلاحف والجردان ، فقد كان لهم عجب<sup>(٢)</sup> طوال  
كالأذنان .

وربما رأينا الملاح النبطي في بعض الجعفریات<sup>(٣)</sup> على وجهه شبه  
القرود . وربما رأينا الرجل من المغرب فلا نجد بينه وبين المسخ ،  
إلا القليل .

وقد يجوز أن يصادف ذلك الهواء الفاسد ، والماء الخبيث ، والتربة  
الردية ناساً في صفة هؤلاء المغربيين<sup>(٤)</sup> والأنباط ، ويكونون جهالاً ،  
فلا<sup>(٥)</sup> يرتحلون ؛ ضنانه<sup>(٦)</sup> بمساكنهم وأوطانهم ، ولا ينتقلون . فإذا طال ذلك  
عليهم زاد في تلك الشعور ، وفي تلك الأذنان ، وفي تلك الألوان الشقر .  
وفي تلك الصور المناسبة للقرود .

قالوا : ولم نعرف ، ولم يثبت عندنا بالخبر الذي لا يعارض ، أن الموضع  
الذي قلب صور قوم إلى صور الخنازير هو الموضع الذي نقل صور قوم إلى صور  
القرود . وقد يجوز أن تكون هذه الصور انقلبت في مهب الريح الشمالى ، والأخرى

(١) بيسان : هذه قرية من قرى الموصل . وانظر الخبر في معجم ما استعجم ١٢٨٣  
في رسم ( بيسان ) بالميم .

(٢) العجب : جمع عجب ، بالفتح ، وهو أصل الذنب .

(٣) كذا . والمعروف « الجعفر » وهو النهر الصغير ، أو الكبير ، أو الملائن ،  
أو فوق الجدول .

(٤) ط ، هـ : « المشوهين » . وأثبت ما في س .

(٥) س : « ولا » .

(٦) الضنانه بالفتح : مصدر ضن يضمن ، بالفتح والكسر : يخجل .

في مهبّ الجنوب<sup>(١)</sup> . ويجوز أن يكون ذلك كان في دهرٍ واحد ؛ ويجوز ٢٥  
أن يكون بينهما دهرٌ ودهور .

قالوا : فلسنا نسكر المسخ إن كان على هذا الترتيب ؛ لأنه إن كان على  
مجرى الطبائع ، وماتدور به الأدوار ، فليس ذلك بناقضٍ لقولنا ، ولا مثبتٍ  
لقولكم .

قال أبو إسحاق<sup>(٢)</sup> : الذي قلتم ليس بمحالٍ ، ولا يُنكر أن يحدث  
في العالم برهاناتٌ ، وذلك المسخ كان على مجرى ما أعطوا من سائر الأعاجيب ،  
والدلائل والآيات . ونحن إنما عرفنا ذلك من قبلهم . ولولا ذلك لكان الذي  
قلتم غير ممتنع . ولو كان ذلك المسخ في هذا الموضع على ما ذكرتم ،  
ثمّ خبر بذلك نبيٌّ ، أو دعا به نبيٌّ ، لكان ذلك أعظم الحجة .

فأما أبو بكر الأصم<sup>(٣)</sup> ، وهشام بن الحكم<sup>(٤)</sup> ، فإنهما [ كانا<sup>(٥)</sup> ]  
يقولان بالقلب ، ويقولان : إنه إذا جاز أن يقلب الله خردةً من غير أن  
يزيد فيها جسماً وطولاً<sup>(٦)</sup> [ أو عرضاً<sup>(٧)</sup> ] جاز أن يقلب ابن آدم فرداً من غير  
أن ينقص من جسمه طولاً أو عرضاً<sup>(٨)</sup> .

(١) انظر لتوضيح هذا الكلام ما سبق في ( ٣ : ١٧٢ - ١٧٣ ) . وانظر أيضاً  
الإمتاع والمؤانسة ( ١ : ١٦٩ ) .

(٢) هو النظام .

(٣) اسمه عبد الرحمن بن كيسان ، كان من أئمة المعتزلة ؛ ذكره عبد الجبار الهمداني في  
طبقات المعتزلة وقال : كان من أفصح الناس وأورعهم وأفقههم ، وله تفسير  
عجيب . قال ابن حجر : وهو من طبقة أبي الهذيل العلاف وأقدم منه . لسان الميزان  
( ٣ : ٤٢٧ ) .

(٤) سبقت ترجمته في ( ٣ : ١١ ) .

(٥) هـ : « فكانا » .

(٦) س : « طولاً » بحذف الواو .

(٧) الزيادة من س ، هـ .

(٨) كذا في ط . وفي س : « منه طولاً جسماً أو عرضاً » هـ : « من جسم طولاً أو عرضاً » .

وأما أبو إسحاق فقد كان - لولا ما صحَّ عنده من قول الأنبياء وإجماع المسلمين على أنه <sup>(١)</sup> قد كان ، وأنه قد كان حُجَّةً وبرهاناً في وقته - لكان لا ينكر مذهبهم في هذا الموضع .

وقوله هذا قول جميع من قال بالطَّبَّانِغ ولم يذهب مذهب جهم <sup>(٢)</sup> ، وحفص الفرد <sup>(٣)</sup> .

وقال ابن العنسي <sup>(٤)</sup> يذكر الفرد :

فَهَلَّا غَدَاةَ الرَّمْلِ يَا قِرْدَ حَذِيمٍ تَوَامِرُهَا فِي نَفْسِهَا تَسْتَشِيرُهَا

### ( القول في تحريم الخنزير )

قال : وسأل سائلون <sup>(٥)</sup> في تحريم الخنزير عن مسألة ؛ فمنهم من أراد الطَّعْنَ ، ومنهم من أراد الاستفهام ، ومنهم من أحب أن يعرف ذلك من جهة الفتيا ؛ إذ <sup>(٦)</sup> كان قوله خلاف قولنا .

قالوا : إِنَّمَا قَالَ اللَّهُ : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنَازِيرِ ﴾ فذكر اللَّحْمَ دونَ الشَّحْمِ ، ودونَ الرَّأْسِ ، ودونَ الْمَخِّ ، ودونَ الْعَصَبِ ،

(١) أى القلب والمسخ .

(٢) هو جهم بن صفوان السمرقندي ، رأس الجهمية . وكان يتولى القضاء في عسكر

الحارث بن شريح « الخارج على أمراء خراسان : فقبض عليه نصر بن سيار فقتله .

(٣) الفرد ، بفتح الفاء ، لقب له . وفي الأصل : « الفردى » ، وفي لسان الميزان

٢ : ٣٣٠ وكذا الفرق بين الفرق ٢٠٢ : « الفرد » وصوابه ما أثبت من

القاموس وفهرست ابن النديم في غير ما موضع . قال ابن النديم : « من الحيرة ومن

أكابرهم . . . وكان من أهل مصر ثم قدم البصرة ، فسمع بأبي الهذيل واجتمع معه

فناظره ، فقطعه أبو الهذيل » .

(٤) كذا في س . وفي ط ، هـ : « ابن العنسي » بالياء بعد العين .

(٥) في الأصل : « سائل » والوجه الجمع ، كما يطلب التفريع الآتي .

(٦) في الأصل : « إذا » .

يودون سائر أجزائه ؛ ولم يذكره كما ذكر الميتة بأسرها ، وكذلك <sup>(١)</sup> الدَّم ؛ لأنَّ القول وقع على جملتهما ، فاشتمل على جميع خصالها بلفظ واحد ، وهو العموم . وليس ذلك في التحذير ؛ لأنَّه ذكر اللحم من بين جميع أجزائه وليس بين ذِكر اللحم والعظم فرق ، ولا بين اللحم والشحم فرق . وقد كان ينبغي في قياسكم هذا لو قال : حرِّمَ عَلَيْكُم الميتة والدَّم وشحم التحذير ، أن تحرموا الشحم ، وإنما ذكر <sup>(٢)</sup> اللحم ، فلم تحرموا الشحم ؛ وما بالكم تحرمون الشحم عند ذكر غير الشحم ! فهلاً حرِّمَ اللحم بالكتاب ، وحرِّمَ ما سواه بالخبر الذي لا يُدفع ! ؟ فإن بقيت خصلة أو خصلتان مما لم تُصيبوا ذكره في كتاب منزَّل ، وفي أثر لا يدفع ، ٢٦ رددتموه إلى جهة العقل .

قلنا : إنَّ للناس عادات ، وكلاماً <sup>(٣)</sup> يعرف كلُّ شيء بموضعه ، وإنما ذلك على قدر استعمالهم له وانتفاعهم به .

وقد يقول الرجل لو كيله : اشتر لي بهذا الدينار لحماً ، أو بهذه الدراهم ، فباتيه باللحم فيه الشحم والعظم ، والعرق والعصب والغضروف ، والفؤاد والطحال ، والرئة ، وبعض أسقاط الشاة وحشو البطن . والرأس لحم ، والسَّمك أيضاً لحم . وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَيْتًا تَكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ . فإن كان الرسول ذهب إلى المستعمل من ذلك ، وترك بعض ما يقع عليه اسم لحم فقد أخذ بما عليه صاحبه . فإذا قال حرمت عليكم لحماً فكأنه قال : لحم الشاة والبقرة

(١) في الأصل : « وكذلك » .

(٢) س : « حرم » .

(٣) ط : « وكل ما » ه : « وكلاماً ما » ، وأثبت الصواب من س .

والجزور . ولو أن رجلاً قال : أكلت لحماً - وإنما أكل رأساً أو كبداً أو سمكاً - لم يكن كاذباً . وللتناس أن يضعوا كلامهم حيث أحبوا ، إذا كان لهم مجاز ، إلا في المعاملات .

فإن قلت : فما تقول في الجلد ؟ فليس للخنزير جلد ، كما أنه ليس للإنسان جلد إلا بقطع ما ظهر لك منه بما تحته ، وإنما الجلد ما يُسلخ ويُدَحَس<sup>(١)</sup> فيتبرأ مما كان به ملتزقاً<sup>(٢)</sup> ولم يكن ملتحمًا ، كفرق ما بين جلد الخوصلة والعرقين<sup>(٣)</sup> .

فإن سألت عن الشعر ، وعن جلد المنخقة والموقوذة والمردية والنطيطحة وما أكل السبع<sup>(٤)</sup> ، فإني أزعم أن جلده لا يُدَبِّغ ولا يُنْتَفِعُ به إلا الأساكفة ، والقول في ذلك أنه كله محرّم . وإنما ذلك كقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دَبْرُهُ ﴾ ، وكقوله عز وجل : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إني فاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ .

والعرب تقول للرجل الصانع نجاراً ، وإن كان لا يعمل بالثقب والمنشار ونحوه ولا يضرب بالمضلع ونحو ذلك . وتسميه خبازاً إذا كان يطبخ ويعجن . وتسمى العير لطيمة<sup>(٥)</sup> ، وإن لم يكن فيها ما يحمل العطر إلا واحد . وتقول : هذه طعن فلان ؛ للهو ادج إذا كانت فيها امرأة واحدة . ويقال : هؤلاء بنو فلان ؛ وإن كانت نساؤهم أكثر من الرجال .

(١) دحس الرجل الشاة : أدخل يده بين جلدها وصفاقها للسلخ .

(٢) هـ : « ملتصقا » ، وهما سيان .

(٣) هـ : « والعرفين » = محرف .

(٤) سبق تفسير هذه الكلمات في ص ٥٦ .

(٥) العير = بالكسر : القاذرة . أو الإبل تحمل الميرة ، لا واحد لها من لفظها :

والطيمة : المير تحمل المسك والمطر .

فلما كان اللحم هو العمود الذى إليه يُقصد ، وصار فى أعظم الأجزاء  
قَدْرًا ، دَخَلَ سائرُ تلك الأجزاء فى اسمه . ولو كان الشَّحْمُ معترلاً من اللحم  
ومفرداً فى جميع الشَّحام ، كشحوم الكلى<sup>(١)</sup> والثُّرُوب ، لم يَجْزُ ذلك .  
وإذا تكلَّمت على المفردات لم يكن المخُّ لحماً « ولا الدِّماغ ، ولا العظم ،  
ولا الشَّحم ، ولا الغضروف ، ولا الكروش ، ولا ما أشبه ذلك . فلما قال :  
﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ ﴾ ، وكانت هذه الأشياء  
المشبهة باللحم تدخل فى باب العموم فى اسم اللحم ، كان القول واقعاً ٢٧  
على الجميع .

وقال الشاعر :

مَنْ يَأْتِنَا صُبْحاً يُرِيدُ غَدَاءَنَا      فَالْهَامُ مَنْصَجَةٌ لَدَى الشَّحَامِ<sup>(٢)</sup>  
لَحْمٌ نَضِيجٌ لَا يُعْنَى طَابِخًا      يُؤْتَى بِهِ مِنْ قَبْلِ كُلِّ طَعَامٍ<sup>(٣)</sup>

### (مسألة الهدهد)

وإذ قد ذكرنا بعض الكلام ، والمسائل فى بعض الكلام ، فسنذكر  
شأن الهدهد والمسألة فى ذلك . قال الله عز وجل : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ  
لَا أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ . لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ  
أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ<sup>(٤)</sup> ﴾ ، ثم قال : ﴿ فَكَثَّ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾  
يعنى الهدهد . فقال سليمان المتوعد له بالذَّبْحِ عقوبة له — والعقوبة لا تكون

(١) فى الأصل : « الكلا » وصواب كتابتها بالياء ، وهى جمع كلية ، بالضم .

(٢) الغداء ، بفتح الغين بعدها دال مهملة : طعام القدوة : بالضم ، وهى أول النهار .  
والهام : البرموس ، واحدها هامة . والشحام : مطعم الشحم .

(٣) لا يعنى ، بالنون ، من العناء . وفى هـ ، بس : « لا يعنى » بالياء .

(٤) فى الأصل : « أولا يأتينى » .

إِلَّا عَلَى الْمَعْصِيَةِ لِبَشَرٍ آدَمَى لَمْ تَكُنْ عَقُوبَتُهُ الذَّبْحُ ، فدلَّ ذلك على أَنَّ الْمَعْصِيَةَ إِنَّمَا كَانَتْ لَهُ ، وَلَا تَكُونُ الْمَعْصِيَةُ لِلَّهِ إِلَّا تَمَنُّ يَعْرِفُ اللَّهُ ، أَوْ تَمَنُّ كَانَ يُمْكِنُهُ أَنْ يَعْرِفَ اللَّهُ تَعَالَى فَتَرَكَ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ - وَفِي قَوْلِهِ لِسُلَيْمَانَ : ﴿ أَحْطَتْ بِمَا لَمْ تَحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبِيٍّ يَقِينٍ . إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ . ثُمَّ قَالَ بَعْدَ أَنْ عَرَفَ فَضْلَ <sup>(١)</sup> مَا بَيْنَ الْمُلُوكِ وَالسُّوقَةِ ، وَمَا بَيْنَ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ ، وَعَرَفَ عِظَمَ <sup>(٢)</sup> عَرْشِهَا ، وَكَثْرَةَ مَا أُوتِيتُ <sup>(٣)</sup> فِي مَلِكِهَا ، قَالَ : ﴿ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالُهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ ، فَعَرَفَ <sup>(٤)</sup> السُّجُودَ لِلشَّمْسِ وَأَنْكَرَ الْمَعَاصِيَ . ثُمَّ قَالَ : ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا يُخْفُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ <sup>(٥)</sup> ﴾ ، وَيَتَعَجَّبُ مِنْ سَجُودِهِمْ لِغَيْرِ اللَّهِ . ثُمَّ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَيَعْلَمُ السِّرَّ وَالْعَلَانِيَةَ . ثُمَّ قَالَ : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَعْلَمُ مِنَ نَاسٍ كَثِيرٍ مِنَ الْمُمِيزِينَ الْمُسْتَدَلِّينَ النَّاطِرِينَ .

قَالَ سُلَيْمَانَ : ﴿ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ ثُمَّ قَالَ : ﴿ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ . قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ . إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ

(١) فِي الْأَصْلِ « فَضْلٌ » بِالضَادِّ الْمَجْمُوعَةِ ، وَإِنَّمَا هُوَ بِالضَادِّ الْمَهْمَلَةِ ، بِمَعْنَى الْفَرْقِ .

(٢) فِي ط : « عَظِيمٌ » . وَالْوُجْهَ مَا أَثْبَتَ مِنْ هـ ، س .

(٣) س : « أُعْطِيتُ » .

(٤) أَيْ الْهَدْمِ .

(٥) قَرَأَ حَفْصٌ وَعَلَى وَالْكَسَائِيُّ بِالتَّاءِ الْفَوْقِيَّةِ عَلَى الْخَطَابِ ، وَالْبَاقُونَ بِالتَّحْقِيقَةِ عَلَى التَّخْفِيفِ

غَيْثُ النَّفْعِ ٢٤٥ وَابْنُ الْقَاصِحِ ٣٠١ .

وَلِأَنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَلَا تَعْلَمُوا عَلَىٰ وَأَنزَلْنِي مُسْلِمِينَ ﴿١﴾ فَلَمَّا  
جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِي <sup>(١)</sup> بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ  
بِهَدْيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٢﴾ وذلك أنها قالت : ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً  
أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ . وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ  
بِهَدْيَةٍ فَنَظِرَةٌ بِمِ بَرَجِ الْمُرْسَلُونَ ﴾ ، [ ثم <sup>(٢)</sup> ] قال سليمان للهدهد :  
﴿ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَسَأَتِينَهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً  
وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [ و ] قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ  
أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ . قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ  
مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ . قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ  
أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ  
هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَظْعِكُ لِرَبِّهِ  
لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ . فطعن في جميع ذلك طاعنون ،  
فقال بعضهم : قد ثبت أن الهدهد يحتمل العقاب والعتاب ، والتسكليف  
والثواب ، والولاية <sup>(٣)</sup> ، ودخول الجنة بالطاعة ، ودخول النار بالمعصية ؛  
لأن المعرفة تُوجب الأمر والنهي ، والأمر والنهي يوجبان الطاعة  
والمعصية ، والطاعة والمعصية يوجبان الولاية والعداوة ، فينبغي للهداهد أن  
يكون فيها العدو والولي ، والكافر والمسلم ، والزندق والدهرى <sup>(٤)</sup> . وإذا

(١) قرأ نافع والبصري بإثبات ياء بعد النون الثانية وصلا لا وقفا ، والمكي وحزرة بإثباتها  
وصلا ووقفا ؛ إلا أن حمزة يدغم النون الأولى في الثانية . والباقون بحذفها وصلا  
ووقفا . غيث النفع ٢٤٥ .

(٢) الزيادة من س ، ه .

(٣) الولاية ، بالفتح وتكسر : مقابل العداوة .

(٤) الدهرى ، بفتح الدال : الذى يقول بقدوم الدهر ، ولا يؤمن بالبعث . وهناك الدهرى =

كان حُكْمُ الجنس حُكْمًا واحدًا لزم<sup>(١)</sup> الجميع ذلك . وإن كان الهدهد لا يبلغ عند جميع الناس في المعرفة مبلغ الذرة ، والنملة ، والقملة ، والفيل ، والقرد ، والخنزير ، والحمام - وجميع هذه الأمم ، تُقدّمها عليه في المعرفة - فينبغي أن تكون هذه الأصناف المتقدمة عليه ، في عقول هذه الأمة والأنبياء . وقد رأينا العلماء يتعجبون من خرافات العرب والأعراب في الجاهلية ومن قولهم في الديك والغراب<sup>(٢)</sup> ، ويتعجبون من الرواية في طوق الحمام ، فإن الحمام كان رائد نوح على نينوا وعليه السلام<sup>(٣)</sup> .

وهذا القول الذي تؤمنون به في الهدهد ، من هذا النوع<sup>(٤)</sup> .

قلنا : إن الله تعالى لم يقل : وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى هِدْهَدًا من عُرْضِ الهداهد<sup>(٥)</sup> ، فلم يوقع قوله على الهداهد جملة ، ولا على واحد منها غير مقصود إليه ، ولم يذهب إلى الجنس عامة ، وَلَكِنَّهُ قَالَ : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ ﴾ فأدخل في الاسم الألف واللام ، فجعله معرفة فدلّ بذلك القصد على أنه ذلك الهدهد بعينه . وكذلك غراب<sup>(٦)</sup> نوح ، [وكذلك] حمار غزير ، وكذلك ذئب أهبان بن أوس<sup>(٧)</sup> ؛ فقد كان لله فيه وفيها تدبير ، وليجعل ذلك آيةً لأنبيائه ، وبرهاناً لرسله .

== بضم الدال ، وهر الرجل المسمن منسوب إلى الدهر أيضاً « فخالفوا بينهما ، رفعا للالتباس . شرح الشافية ٨٩ . وفي القاموس : « الدهرى ويضم : القائل ببقاء الدهر » .

(١) ط : « أنزم » .

(٢) انظر ص ٣١٨ من الجزء الثاني ، و ص ٤١٠ من الجزء الثالث .

(٣) انظر ص ٣٢١ من الجزء الثاني .

(٤) س : « الشكل » .

(٥) من عرض الطير : بضم العين ، أى من عامة الطير .

(٦) ط ه : « وكان كغراب نوح » . وانظر لغراب نوح ص ٣٢١ من الجزء الثاني .

(٧) انظر ما أسلفت من الكلام في ( ٣ : ٥١٣ ) .

ولا يستطيع أعقل الناس أن يعمل عمل أجرا الناس ، كما لا يستطيع أجرا الناس أن يعمل أعمال أعقل الناس . فبأعمال المجانين والعُقلاء عرفنا مقدارهما من صحة أذهانهما وفسادها <sup>(١)</sup> ، وباختلاف أعمال الأطفال والكهول عرفنا مقدارهما في الضعف <sup>(٢)</sup> والقوة ، وفي الجهل والمعرفة . ويمثل ذلك فصلنا <sup>(٣)</sup> بين الجراد والحيوان ، والعالم وأعلم منه ، والجاهل وأجهل منه <sup>(٤)</sup> . ولو كان عند السباع والبهايم ما عند الحكماء والأدباء ، والوزراء والخلفاء ٢٩ والأمم <sup>(٥)</sup> والأنبياء ، لأثمرت تلك العقول ، باضطرار ، إثمار تلك العقول . وهذا باب لا يخطئ فيه إلا المانيّة <sup>(٦)</sup> وأصحاب الجهالات فقط . فأمّا عوام

(١) في الأصل : « وفسادها » . والضمير عائد إلى الأذهان . وفي س : « عرفنا ماغاب من صحة أذهانهم » .

(٢) ط ، هـ : « في الضعيف » ووجهه ما أثبت من س .

(٣) فصلنا ، بالصاد المهملة ، بمعنى ميزنا . وفي الأصل : « فصلنا » بالصاد المعجمة ، محرف .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٥) الأمم : جمع أمة بالضم . والأمة : الإمام ، ومنه قول الله : « إن إبراهيم كان أمة » في تفسير أبي عبيدة . س : « والأمة » ، وهذه محرفة عن « الأمم » .

(٦) المانيّة : أتباع ماني ، متنبئ زعم أنه الفارقليط الذي بشر به عيسى عليه السلام واستخرج مذهبه من المجوسية والنصرانية ، وكان يقول : إن مبدأ العالم من كونين أحدهما نور والآخر ظلمة ، وأنها في صراع مستمر لا ينتهي إلا بانتهاء الدنيا . وفرض على أتباعه صلوات معينة وصوما رسمه لهم . وقتل ماني في مملكة بهرام بن سابور ، وأتباعه يزعمون أنه ارتفع إلى جنات النور . وكان ملوك الفرس يطاردون أتباعه ، فلما انتشر أمر الفرس وقوى أمر العرب ، وجدوا لديهم سعة صدر « فتزحوا إليهم في أيام بني أمية ؛ فإن خالد بن عبد الله القسري كان يعنى بهم » وكان يرى بالزندقة . حتى كانت أيام المقتدر فأنهم جلاؤا إلى خراسان . انظر ابن النديم ٤٥٦ - ٤٧٤ . وقد جعل ابن النديم النسبة إليه ( ماني ) وهي نسبة شاذة « و ( ماني ) وهي نسبة جائزة . ومثل الأولى في الشلوذ « حرناني » نسبة إلى مدينة حران . و « ماني » نسبة إلى ماني من اليهود . وانظر مفاتيح العلوم ٢٥ .

الأمم ، فضلاً عن خواصهم ، فهم يعلمون من ذلك مثل ما نعلم . وإنما يُتفاضل بالبيان والحفظ ، وينسق المحفوظ <sup>(١)</sup> . فأما المعرفة فنحن فيها سواء . ولم نعرف العقل وعدمه ونقصانه ، وإفادته ، وأقدار معارف الحيوان إلا بما يظهر منها <sup>(٢)</sup> . وبذلك الأدلة عرفنا فرق ما بين الحي والميت ، وبين الجماد والحيوان .

فإن قال الخصم : مانع كلام الذئب ، ولا معرفة الغراب ، ولا علم الهدد . قلنا : نحن نؤمن بأن عيسى عليه السلام خلق من غير ذكر وإنما خلق من أنثى ؛ وأن آدم وحواء خلقا من غير ذكر وأنثى ، وأن عيسى تكلم في المهد ، وأن يحيى بن زكريا نطق بالحكمة في الصبا ، وأن عقياً ألقح ، وأن عاقراً ولدت <sup>(٣)</sup> ؛ وبأشياء كثيرة خرجت خارجة من نسق العادة <sup>(٤)</sup> . فالسبب الذي به عرفنا أنه قد كان لذلك الهدد مقدار من المعرفة ، دون ماتوهم وفوق مامع الهدد . ومتى سألتونا عن الحجة فالسيل واحدة . ونحن نقر بأن من دخل الجنة من المجانين والأطفال يدخلون عقلاء كاملين ، من غير تجارب وتمرين وترتيب . فسألتكم عما ألهم الهدد ، هي المسألة عما ألهم الطفل في الجنة .

(١) كذا في هـ . وفي ط ، س : « المحفوظة » .

(٢) أى من المعرفة . وفي الأصل : « وأقدار معارف أسباب الحيوان وما يظهر منها » .

(٣) إشارة إلى زكرياء عليه السلام وزوجه ، فإنه كان كبيراً حين ولد له يحيى ، وكانت امرأته عاقراً : « قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأى عاقراً » . وإلى إبراهيم عليه السلام وزوجه أيضاً : « قالت ياويلتى مآلد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخاً » .

(٤) كذا في س . وفي ط : « وبأشياء كثيرة خارجة عن نسق العادة » و هـ :

« وبأشياء كثيرة خارجة من . . الخ » .

فإن قال قائل : فإن [ كان <sup>(١)</sup> ] ذلك القول كله الذي كان من الهدهد ، إنما كان على الإلهام والتسخير ، ولم يكن ذلك عن معرفة منه ، فلم قال ﴿لَا عَذَابَ لَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا ذَنْبَ لَهُ﴾ ؟ قلنا : فإنه قد يتوعد الرجلُ ابنه - وهو بعد لم يجر عليه الأحكام - بالضرب الوجيع ، إن هو لم يأت السوق أو يحفظ سورة كذا وكذا ؛ فلا يعنفه أحدٌ على ذلك الوعيد . ويكذب فيضربه على الكذب . ويضرب صبيًا فيضربه لأنه ضربه . وهو في ذلك قد حسن خطئه ، وجاد حسابه ، وشدا من النحو [ والعروض <sup>(٢)</sup> ] والفرائض <sup>(٣)</sup> شدوا حسنا ، ونفع أهله ، وتعلم أعمالاً ، وتكلم بكلام ، [ وأجاب في الفتيا بكلام فوق معاني الهدهد في اللطافة والغموض . وهو في ذلك لم يكمل لاحتمال الفرض <sup>(٥)</sup> والولاية والعداوة .

فإن قال : فهل يجوز لأحد أن يقول لابنه : إن أنت لم تأت السوق ذبحتك ؛ وهو جاد ؟ قلنا : لا يجوز ذلك . وإنما جاز ذلك في الهدهد لأن سليمان - ومن هو دون سليمان من جميع العالم - له أن يذبح الهدهد والحمام والدبك والعناق <sup>(٦)</sup> والجدى . والذبح سبيل من سبيل مناياهم . فلو ذبحه سليمان لم يكن في ذلك إلا بقدر التقدير والتأخير ، وإلا بقدر صرف <sup>(٧)</sup> ٣٠ ما بين أن يموت حتف أنفه ، أو يموت بالذبح . ولعل صرف ما بينهما

(١) ليست بالأصل . وبها يستقيم الكلام .

(٢) الزيادة من س ، ه .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من ه . وفي ط : « العرائض » صوابه في س .

(٤) ليست بالأصل . وهي ضرورية .

(٥) ط : « الفرض » ، صوابه في س ، ه .

(٦) العناق كسحاب : الأنثى من ولد المعز .

(٧) الصرف : الزيادة . ط ، ه : « ضرب » ، صوابه في س .

لا يكون إلا بمقدار ألم عشرين درّة<sup>(١)</sup> . ولعلّ تنف جناحه ينفى بذلك الضرب . وإذا قلنا ذلك فقد أعطينا ذلك الهداهد بعينه حق ما دلّت عليه الآية ، ولم نجز ذلك في جميع الهداهد ، ولم نكن<sup>(٢)</sup> كمن ينكر قدرة الله على أن يركب<sup>(٣)</sup> عصفورًا من العصافير ضربًا من التراكيب يكون أدهى من قيس بن زهير<sup>(٤)</sup> . ولو كان الله تعالى قد فصل ذلك بالعصافير لظهرت كذلك دلائل .

على أننا لو تأولنا للذبح على مثال تأويل قولنا في ذبح إبراهيم وإسماعيل<sup>(٥)</sup> عليهما السلام - وإنما كان ذلك ذبحًا في المعنى لغيره<sup>(٦)</sup> - أو على معنى قول

(١) أي عشرين ضربة بالدرة . والدرة ، بالكسر : السوط ، ويقلب استعمالها في سياط السلاطين . وكلمة « إلا » ساقطة من س .

(٢) في الأصل : « ولم يجز ذلك في جميع الهداهد ولم يكن » .

(٣) ط ، هـ : « تركب » « ولا تصح إلا بتقديم « على » على كلمة : « قدرة » وصوابها من س .

(٤) الدهاء : جودة الرأي وكمال العقل . وقيس بن زهير هو سيد عيس ، وكان له ضلع كبيرة في حرب داحس والغبراء ، وهو صاحب داحس . ذكروا بن دهانه أنه مريبلاد غطفان ، فرأى ثروة وعديدا ، فكره ذلك ، فقال له الربيع بن زياد العيسى : إنه يسوءك ما يسر الناس ! فقال : يا ابن أخي ، إنك لاتدري . إن مع الثروة والنعمة التحاسد والتباغض والتخاذل ، وإن مع القلة التعاضد والتوازر والتناصر . وكان يقول : « أربعة لا يطاقون : عبد ملك ، ونذل شيع ، وأمة ورثت ، وقبيحة تزوجت ! » . انظر أمثال الميداني ( ١ : ٢٥٠ ) . ولحرب داحس والغبراء ، الأغاني ( ٧ : ١٤٣ ، ١٦ : ٢٣ ) والعقد ( ٣ : ٢١٣ ) والكمال لابن الأثير ( ١ : ٣٤٣ ) والميداني ( ١ : ٣٥٩ ، ٢ : ٥١ ) . هـ : « آدمي » وهو تحريف .

(٥) س : « إسحاق » . وقد اختلف المؤرخون المسلمون ، وكذلك أصحاب التفسير في الذبيح منهما ، والأعراف عندهم أنه « إسماعيل » بأدلة سردها البيضاوي في تفسيره . انظر سورة الصافات « وليس في القرآن الكريم نص على أحد منهما . وفي سفر التكوين ، الأصحاح الثاني والعشرين ، ما ينص صراحة على أن الذبيح إسحاق . وإلى هذا الرأي مال معظم الصحابة . انظر المعارف ١٧ وآكام المرجان ٢٠٩ وابن سلام ١٥٨ .

(٦) وهو الكبش ، فإن إسماعيل ، أو إسحاق ، لم يذبح ، وإنما هم أبوه بذبحه ، ووقع الذبيح فعلا على الكبش . س : « ذبحا في العين » ، صوابه ط ، هـ .

القاتل : أَمَا أَنَا فَقَدْ ذَبَحْتَهُ وَضَرَبْتَ عُنُقَهُ ، وَلَكِن السَّيْفُ خَانَنِي . أَوْ عَلَى قَوْلِهِمْ : الْمِسْكُ الذَّيْبُحُ (١) ، أَوْ عَلَى قَوْلِهِمْ : فَجِئْتُ وَقَدْ ذَبَحْنِي الْعَطَشُ - لَكَانَ ذَلِكَ مَجَازًا .

وَلَوْ أَنَّ صَبِيًّا مِنْ صَبِيَّانَا سُئِلَ ، قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ فَرَضَ الْبُلُوغِ بِسَاعَةٍ ، [ وَكَانَ (٢) ] رَأَى مَلِكَةً سَبِيًّا (٣) فِي جَمِيعِ حَالَاتِهَا ، لَمَا كَانَ بَعِيدًا وَلَا مَمْتَنَعًا أَنْ يَقُولَ : رَأَيْتُ امْرَأَةً مَلِكَةً ، وَرَأَيْتُهَا تَسْجُدُ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَرَأَيْتُهَا تُطِيعُ الشَّيْطَانَ وَتَعْصِي الرَّحْمَنَ . وَلَا سَبِيًّا إِنْ كَانَ مِنْ صَبِيَّانِ الْخُلَفَاءِ وَالْوُزَرَاءِ ، أَوْ مِنْ صَبِيَّانِ الْأَعْرَابِ .  
وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الْهَدَهْدَ كَانَ مَسْخَرًا وَمَيْسَرًا ، مُضِيَّهُ إِلَى الْيَمَنِ ، وَرَجُوعُهُ مِنْ سَاعَتِهِ .

وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الطَّيْرِ الْقَوَاطِعِ فَرَجَعَ إِلَى وَكْرِهِ . وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَقُلْ : نَعَمْ قَدْ رَأَيْتُ كُلَّ مَا ذَكَرْتَ ، وَأَنْتَ لَمْ تَعْلَمْ حِينَ مَضَيْتَ بَطَالًا هَارِبًا مِنَ الْعَمَلِ ، أَتُسَكِّدِي أَمْ تَنْجَحِ ، أَوْ تَرَى أُعْجُوبَةً أَوْ لَا تَرَاهَا . وَلَكِنَّهُ تَوَعَّدُهُ عَلَى ظَاهِرِ الرَّأْيِ ، وَنَافِرِهِ الْقَوْلِ ؛ لِيُظْهَرَ الْآيَةُ وَالْأَعْجُوبَةُ .

### ( طَعْنُ الدَّهْرِيَّةِ فِي مَلِكِ سُلَيْمَانَ )

ثُمَّ طَعَنَ فِي مَلِكِ سُلَيْمَانَ وَمَلِكَةِ سَبِيٍّ ، نَاسٌ مِنَ الدَّهْرِيَّةِ ، وَقَالُوا (٤) : زَعَمْتَ أَنَّ سُلَيْمَانَ سَأَلَ رَبَّهُ [ فَقَالَ : « رَبِّ هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي » ]

(١) أَيْ الَّذِي شَقَّتْ فَارْتَهُ . وَفَارَةُ الْمِسْكُ : نَافِجَتُهُ ، أَيْ وَعَاؤُهُ .

(٢) لَيْسَتْ بِالْأَصْلِ ، وَبِهَا يَصْلُحُ الْكَلَامُ .

(٣) لَيْسَتْ فِي س . وَبَدَلَهَا فِي هـ : « سَبِيًّا » ، مُحَرَّفَةٌ عَمَّا أَثْبَتَ مِنْ ط .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « وَقَالَ » .

وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْطَاهُ ذَلِكَ ، فَلَمَّكَهُ عَلَى الْجِنِّ فَضْلاً عَنِ الْإِنْسِ ، وَعَلَّمَهُ  
 مَنَطِقَ الطَّيْرِ . وَسَخَّرَ لَهُ الرِّيحَ ، فَكَانَتِ الْجِنُّ لَهُ خَوَلاً . وَالرِّيحُ لَهُ مَسْخَرَةٌ  
 ثُمَّ زَعَمَتْ - وَهُوَ إِمَّا بِالشَّامِ وَإِمَّا بِسَوَادِ الْعِرَاقِ - أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ بِالْيَمَنِ مَلِكَةً  
 هَذِهِ صَفَتُهَا . وَمَلُوكُنَا الْيَوْمَ دُونَ سُلَيْمَانَ فِي الْقُدْرَةِ ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِمْ صَاحِبُ  
 الْحَزَرِ ، وَلَا صَاحِبُ الرُّومِ ، وَلَا صَاحِبُ التُّرْكِ ، وَلَا صَاحِبُ الثُّبُوتِ . وَكَيْفَ  
 يَجْهَلُ سُلَيْمَانُ مَوْضِعَ هَذِهِ الْمَلِكَةِ ، مَعَ قُرْبِ دَارِهَا وَاتِّصَالِ بِلَادِهَا ! وَلَيْسَ  
 دُونَهَا بَحَارٌ وَلَا أَوْعَارٌ ، وَالطَّرِيقُ نَهْجٌ لِلْخَفِّ وَالْحَافِرِ وَالْقَدَمِ (١) . فَكَيْفَ  
 وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ طَوْعُ يَمِينِهِ . وَلَوْ كَانَ ، حِينَ خَبَرَهُ الْهَدَهُدُ بِمَكَانِهَا ، أَضْرَبَ  
 ٣١ عَنْهَا صَفْحًا ، لَكَانَ لِقَائِي أَنْ يَقُولَ : مَا أَنَا الْهَدَهُدُ إِلَّا بِأَمْرِ يَعْرِفُهُ . فَهَذَا  
 وَمَا أَشْبَهَهُ دَلِيلٌ عَلَى فُسَادِ أَخْبَارِكُمْ .

قُلْنَا : إِنَّ الدُّنْيَا إِذَا خَلَّاهَا اللَّهُ وَتَدَبَّرَ أَهْلُهَا ، وَمَجَارَى أُمُورِهَا وَعَادَاتُهَا  
 كَانَتْ لِعَمْرَى كَمَا تَقُولُونَ . وَنَحْنُ نَزْعُمُ أَنَّ يَعْقُوبَ بْنَ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ  
 كَانَ أَنْبَاءَ أَهْلِ زَمَانِهِ ، لِأَنَّهُ نَبِيٌّ ابْنُ نَبِيٍّ . وَكَانَ يُوسُفُ وَزِيرُ مَلِكِ مِصْرَ مِنَ  
 النَّبَاةِ بِالْمَوْضِعِ الَّذِي لَا يَدْفَعُ (٢) ، وَلَهُ الْبَرْدُ (٣) ، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ جَوَابُ الْأَخْبَارِ ،  
 ثُمَّ لَمْ يَعْرِفْ يَعْقُوبُ مَكَانَ يُوسُفَ ، وَلَا يُوسُفُ مَكَانَ يَعْقُوبَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ  
 - دَهْرًا مِنَ الدُّهُورِ ، مَعَ النَّبَاةِ ، وَالْقُدْرَةِ ، وَاتِّصَالِ الدَّارِ .

وكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ فِي التَّيَةِ (٤) ، فَقَدْ

(١) طريق نهج : واضح . والخف : أى الإبل . ط ، هـ : « الخف » صوابه في س .

(٢) النباهة : الشهرة . ط ، هـ : « ومن » والوجه حذف الواو « والنص في س « والملك النباهة في الموضع الذي لا يدفع » . وليس بشيء .

(٣) البرد : جمع برید .

(٤) التية ، هو الموضع الذي ضل فيه موسى عليه السلام وقومه . قال ياقوت : « وهى أرض بين أيلة ومصر وبحر القلزم جبال والمرأة من أرض الشام » .

كانوا أمةً من الأمم يتكسعون<sup>(١)</sup> أربعين عاماً ، في مقدار فراسخٍ يسيرةٍ ولا يهتدون إلى الخرج . وما كانت بلادُ التَّيَّةِ إلَّا من ملاءِهم ومُنْتَزَهاَتِهِمْ<sup>(٢)</sup> . ولا يعدم مثلُ [ ذلك ]<sup>(٣)</sup> العسكرِ<sup>(٤)</sup> الأدلاءَ والجمالين<sup>(٥)</sup> ، والمكاريين<sup>(٦)</sup> ، والفيُوجَ<sup>(٧)</sup> ، والرُّسلَ ، والتَّجارَ : ولكنَّ اللهَ صَرَفَ أوهامَهُمْ ، ورفعَ ذلكَ الفصلَ<sup>(٨)</sup> من صدورهم .

وكذلك القول في الشَّيَاطِينِ الَّذِينَ يَسْتَرْقُونَ السَّمْعَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ .  
فَنَقُولُ<sup>(٩)</sup> : إِنَّهُمْ لَوْ كَانَ كَلِمَا أَرَادَ مُرِيدٌ<sup>(١٠)</sup> مِنْهُمْ أَنْ يَصْعَدَ ذَكَرَ أَنَّهُ قَدْ رُجِمَ صَاحِبُهُ<sup>(١١)</sup> ، وَأَنَّهُ كَذَلِكَ مِنْذُ كَانَ لَمْ يَصِلْ مَعَهُ أَحَدٌ إِلَى اسْتِرَاقِ السَّمْعِ<sup>(١٢)</sup> ، كَانَ مُحَالًا أَنْ يَرَوْمَ ذَلِكَ أَحَدٌ مِنْهُمْ مَعَ الذِّكْرِ وَالْعِيَانِ .

(١) تكسع : ذهب في ضلاله . ومثله تكسع بتقديم السين . ط ، هـ : « يكسعون » والوجه ما أثبت من س .

(٢) كذا بتقديم النون في الأصل .

(٣) الزيادة من س ، هـ .

(٤) كان بنو إسرائيل قد خرجوا ليملكوا الأرض المقدسة بالقتال . انظر تفسير سورة المائدة للآيات ٢٠ - ٢٦ وسفر العدد ، الأصحاح ٣٢ ، ٣٣ .

(٥) الجمالين ، بالجيم . وفي ( ٦ : ٢٦٨ ) : « الحمارين » .

(٦) المكاريين : جمع مكار . والمكاري : من يكثرى الناس منه دابته ، أى يستأجرونها .

(٧) الفيوج ، بالضم وفي آخره جيم : جمع فيج بالفتح ، وهو رسول السلطان المسرع في مشيه . يحمل الأخبار من بلد إلى بلد ، معرب من « بيك » بالفارسية . ط ، س : « الفيوج » ، صوابه في هـ .

(٨) الفصل هنا بمعنى التمييز . ط ، هـ : « القصد » وأثبت ما في س .

(٩) ط ، هـ : « فنقول » بالتاء ، صوابه في س .

(١٠) إن قرئت بالضم ، كانت من أراد بمعنى شاء . وإن قرئت بالفتح كانت من التمرد .

(١١) ط ، هـ : « قد رجم أو رجم صاحبه » والوجه ما أثبت من س .

(١٢) س : « سمع » .

ومثل ذلك [ أنا ] قد علمنا أن إبليس لا يزال عاصياً إلى يوم البعث .  
ولو كان إبليس في حال المعصية ذاكراً لإخبار الله تعالى <sup>(١)</sup> أنه لا يزال عاصياً  
وهو يعلم أن خبره صدق ، كان محالاً أن تدعوه نفسه إلى الإيمان ، ويطمع  
في ذلك ، مع تصديقه بأنه لا يختار الإيمان أبداً .

ومن المحال أن يجمع بين وجود <sup>(١)</sup> الاستطاعة وعدم الدواعي  
وجواز الفعل .

ولو أن رجلاً علم يقيناً أنه لا يخرج من بيته يومه ذلك ، كان محالاً أن  
تدعوه نفسه إلى الخروج ، مع علمه بأنه لا يفعل . ولكن إبليس لما كان  
مصروف القلب عن ذكر ذلك الخبر <sup>(٣)</sup> ، دخل في حدّ المستطيعين .

ومثل ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بشره الله بالظفر وتمام  
الأمر <sup>(٤)</sup> بشر أصحابه بالنصر ، ونزول الملائكة . ولو كانوا لذلك ذاكرين  
في كل حال ، لم يكن عليهم من المحاربة مؤونة . وإذا لم يتكلفوا المؤونة <sup>(٥)</sup>  
لم يؤجروا . ولكن الله تعالى بنظره إليهم رفع <sup>(٦)</sup> ذلك في كثير من الحالات

(١) كذا في س . وفي ط : « ذكر إخبار الله تعالى » وفي هـ : « ذاكرا لأخبار  
الله تعالى » . وما في هـ محرف .

(٢) في الأصل : « وجوب » بالباء .

(٣) أي عن تذكر ذلك الخبر .

(٤) الكلام من أول الفقرة إلى هنا ساقط من س . والجاحظ يشير بكلامه هذا إلى  
ما كان في وقعة أحد ، مما تشير إليه الآيات ١٢٢ - ١٢٦ من سورة  
آل عمران .

(٥) س ، هـ : « المؤن » .

(٦) س : « دفع » بالذال .

عن أوهامهم ؛ ليحتملوا<sup>(١)</sup> مشقة القتال ، وهم لا يعلمون : أيغلبون أم يُغلبون أو يقتلون أم يقتلون .

ومثل ذلك ما رفع من أوهام العرب ، وصرف نفوسهم عن المعارضة ٣٢ للقرآن ، بعد أن تحدّاهم الرسولُ بنظمه . ولذلك لم نجد أحداً طمع فيه . ولو طمع فيه لتكلفه ، ولو تكلف بعضهم ذلك فجاء بأمر<sup>(٢)</sup> فيه أدنى شبهة لعظمت القضية<sup>(٣)</sup> على الأعراب وأشباه الأعراب ، والنساء وأشباه النساء ، ولألقى ذلك للمسلمين عملاً ، ولطلبوا المحاكمة والتراضى ببعض العرب ، ولكثر القيل والقال .

فقد رأيت أصحابَ مُسَيْلِمةَ<sup>(٤)</sup> ، وأصحاب ابن النواحة<sup>(٥)</sup> إنما تعلّقوا بما ألّف لهم مُسَيْلِمة من ذلك الكلام ، الذى يعلم كلُّ من سمعه أنه إنما عدا على القرآن فسلبه ، وأخذ بعضه ، وتعاطى أن يقارنه . فكان لله ذلك التدبيرُ ، الذى لا يبلغه العباد ولو اجتمعوا له .

فإن كان الدهرى يريد من أصحاب العبادات والرسل ، ما يريد من

(١) س : « ليحتملوا » .

(٢) هذه ساقطة من س .

(٣) فى الأصل : « القضية » .

(٤) هو أبو ثمامة ، مسيلم بن حبيب الحنفى من أهل النخيلة ، ادعى النبوة بمكة قبل الهجرة ، وصنع أسجعا « عارض فيها بزعمه القرآن ، منها قوله : « والشمس وضحاها . فى ضوءها ومجلاها . والليل إذا عداها . يطلبها ليغشاها . فأدركها حتى أتاها . وأطفأ نورها ومحاسها » ، وقوله : « يا ضفدع نقي نقي . كم تنقين . لالماء تكدرين . ولا الشرب تمنعين » . وكان قد قوى أمره فى النخيلة ، وظهر جدا بعد وفاة الرسول ، فأرسل أبو بكر خالد بن الوليد فى جيش لمقارعته ، فكان له النصر على بنى حنيفة فى يوم النخيلة ، وقتل مسيلم وكثير من أتباعه ، واستشهد من المسلمين ألف ومائتا رجل .

(٥) فى الأصل : « بنى النواحة » . وانظر الاستدراكات .

الدَّهْرِيُّ الصَّرْفِ ، الذى لا يُقَرُّ إلا بما أوجده العيان ، وما يجرى مجرى العيان - فَقَدْ ظَلَمَ .

وقد علم الدهرى [ أننا نعتقد <sup>(١)</sup> ] أن لنا رباً يخترع الأجسام اختراعاً وأنه حتى لا حياة ، وعالم لا يعلم <sup>(٢)</sup> ، وأنه شئ لا ينقسم ، وليس بذى طول ولا عرض ولا عمق ، وأن الأنبياء تحيى <sup>(٣)</sup> الموتى . وهذا كله عند الدهرى مستنكر ، وإنما كان يكون له علينا سبيل <sup>(٤)</sup> لو لم يكن الذى ذكرنا جائزاً فى القياس ، واحتجنا إلى تثبيت الربوبية وتصديق الرسالة ، فإذا كان ذلك جائزاً ، وكان كونه غير مستنكر ، ولا محال ، ولا ظلم ، ولا عيب ، فلم يبق له إلا أن يسألنا عن الأصل الذى دعا إلى التوحيد ، وإلى تثبيت الرسل .

وفى كتابنا المنزل الذى يدلنا على أنه صدق ، نظمهُ البديع الذى لا يقدر على مثله العباد ، مع ما سوى ذلك من الدلائل التى جاء بها من جاء به .

وفيه مسطور أن سليمان بن داود غبر حيناً - وهو ميت - معتمداً على عصاه ، فى الموضع الذى لا يُنجب عنه إنسى ولا جنى ، والشياطين منهم المكذوب بالعمل الشديد <sup>(٥)</sup> ، ومنهم المحبوس والمستعبد ، وكانوا كما قال

(١) ليست بالأصل . والكلام فى حاجة إلى مثلها .

(٢) هذا مذهب المعتزلة ؛ إذ ينفون عن الله عز وجل صفاته الأزلية ، فيقولون : ليس لله علم ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر ولا أى صفة أزلية .

(٣) ط ، هـ : « تحيى » صوابه فى س .

(٤) بدله فى س : « وإنما كان يكون له علة » .

(٥) المكثود : المرهق المتعب . ط ، هـ : « بالغل الشديد » ، والأوجه ما أثبت

الله تعالى : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ (١) وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ﴾ وقال : ﴿ وَالشَّيَاطِينُ كُلٌّ بَنَاءٌ وَغَوَاصٍ . وَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ وَأَنَّهُ غَبَرَ كَذَلِكَ حِينًا وَهُوَ تُجَاهَ أَعْيُنِهِمْ (٢) ، فَلَاهُمْ عَرَفُوا سَجِيَّةَ وَجْهِهِ الْمَوْتَى ، وَلَا هُوَ إِذْ كَانَ مَيِّتًا سَقَطَ سُقُوطَ الْمَوْتَى . وَثَبَتَ قَائِمًا مُعْتَمِدًا (٣) عَلَى عَصَاهُ ، وَعَصَاهُ ثَابِتَةٌ قَائِمَةٌ فِي يَدِهِ ، وَهُوَ قَابِضٌ عَلَيْهَا . وَلَيْسَتْ هَذِهِ الصِّفَةُ صِفَةً مَوْتَانًا .

وقال : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ . وَنَحْنُ دُونَ الشَّيَاطِينِ وَالْجِنِّ فِي صِدْقِ الْحَسَنِ ، ٣٣ وَنَفُوذِ الْبَصَرِ ، وَلَوْ كُنَّا مِنْ بَعْضِ الْمَوْتَى بِهَذَا الْمَسْكَانِ ، لَمَا خَفِيَ عَلَيْنَا أَمْرُهُ وَكَانَ أَدْنَى ذَلِكَ أَنْ نَظُنَّ وَنَرْتَابَ . وَمَتَى ارْتَابَ قَوْمٌ وَظَنُّوا وَمَاجُوا (٤) وَتَكَلَّمُوا وَشَاوَرُوا ، لَقِنُوا وَثَبَّتُوا (٥) . وَلَا سِيَّامًا إِذَا كَانُوا فِي الْعَذَابِ وَرَأَوْا تَبَاشِيرَ الْفَرَجِ .

(١) الجوابى : جمع جابية ، وهو الخوض الجامع . وإثبات الباء في آخر الكلمة وصلا ووقفا قراءة ابن كثير ومجاهد ، وإثباتها وصلا فقط قراءة ورش وعاصم . وحذفها وصلا ووقفا قراءة الباقيين . وهذه القراءة الأخيرة هي ما في س ، ه . وما أثبت من ط هو القراءة الأولى .

(٢) تجاه ، يصح ضبطها بالضم والكسر والفتح . عن القاموس .

(٣) ط : « معتبد » ، وهو خطأ ظاهر .

(٤) ه : « وناجوا » ، أى ناجى بعضهم بعضا .

(٥) لقنوا : عرفوا وفهموا . فى الأصل : « ولقنوا » وإنما هو جواب الشرط . و « ثبتوا » أى سكنت قلوبهم بقوة البرهان والدلالة . وفى الكتاب : « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك » .

ولولا الصَّرْفَةُ <sup>(١)</sup> التي يُلقِيها الله تعالى على قَلْبٍ مَنْ أَحَبَّ ، و [لولا <sup>(٢)</sup>] أن الله يَقْدِرُ على أن يَشْغَلَ الأوهامَ كيف شاء ، ويذَكِّرُ بما يشاء ، ويُنَسِّيَ ما يشاء ، لما اجتمع أهلُ داره وقصره ، وسُورِهِ ورَبَضِهِ <sup>(٣)</sup> ، وخاصَّتُهُ ، ومن يخدمه من الجنِّ والإنسِ والشَّيَاطِينِ ، على الإطباقِ بأنَّه حَيٌّ . كذلك كان عندهم . فحدث ما حَدَثَ من موته ، فلمَّا لم يشعروا به كانوا على ما لم يزالوا عليه . فعَلِمْنَا أن الجنَّ والشَّيَاطِينِ كانت تُوهِمُ الأغبياءَ والعَوَامَّ ، والحَشَوَةَ <sup>(٤)</sup> والسَّفَلَةَ ، أن عندهما شيئاً من عِلْمِ الغيبِ — والشَّيَاطِينِ لا تعلم ذلك — فأراد الله أن يكشف من أمرهم للجُهَالِ ما كان كَشَفَهُ للعلماء . فهذا وأشباهه من الأمور نحنُ إلى الإقرار به مضطرون <sup>(٥)</sup> بالحججِ الاضطراريَّةِ فليس لخصومنا حيلةٌ إلَّا أن يوافقونا <sup>(٦)</sup> ، وينظروا في العلة التي اضطرتنا إلى هذا القول ؛ فإن كانت صحيحةً فالصَّحِيحُ لا يُوجِبُ إلَّا الصَّحِيحَ . وإن كانت سقيمةً عَلِمْنَا أنَّما أَتَيْنَا من تأويلنا <sup>(٧)</sup> .

وأما قوله : ﴿لَاَعْدَبْنَهُ﴾ فَإِنَّ التَّعْذِيبَ يَكُونُ بِالْحَبْسِ ، كما قال الله

(١) الصرفة ، بالفتح : أن يصرف الله عبده عن أمر . ط : « المعرفة » س : « الصدقة » صوابها في ه .

(٢) الزيادة من س ، ه .

(٣) الرِضْ ، بالتحريك : سور المدينة .

(٤) الحشوة ، بالغم والكمر : أصله الدغل في الأرض . أراد به الدون من الناس .

(٥) س : « مضطرين » .

(٦) يوافقونا ، بتقديم القاف ، من الموافقة ، وهي أن يقف المرء مع غيره في خصومة ومجادلة . وفي الأصل : « يوافقونا » بتقديم الفاء ، وليس بشيء .

(٧) أتينا : أى قهرنا وغلبنا . وفي الأصل : « أتينا » ولا يصح بها الكلام .

ط ، ه : « أن ما » والوجه ما أثبت من س . وفي س أيضاً « علم » مكان « علمنا » و « أفأويلنا » موضع « تأويلنا » .

عز وجل : ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ .  
ولمّا كانوا مُحْيِسِينَ (١) .

وقد يقول العاشق لمعشوقته : يا معذبتى ! وقد عذبتنى (٢) !  
ومن العذاب ما يكون طويلاً ، ومنه ما يكون قصيراً الوقت . ولو خسف الله  
تعالى بقوم فى أقل من عشر ساعة (٣) لجاز لقائل أن يقول : كان ذلك يوم  
أحلّ الله عذابه ونقمته ببلاد كذا وكذا .

### ( قوة الخنزير وشدة احتماله )

وقال أبو ناصرة : الخنزير ربّما قتل الأسد ، وما أكثر ما يلحقُ  
بصاحب (٤) السيف والرّمح ، فيضربه بِنَابِهِ ، فيقطعُ كلّ ما لقيه من جسده :  
من عظم وعصب ، حتى يقتله . وربّما احتال أن ينبطح (٥) على وجهه على  
الأرض ، فلا يغنى ذلك عنه شيئاً .

وليس لشيء من الحيوان كاحتمال بدنه لوقوع السهام ، ونفوذها فيه .

### ( بعض طباع الخنزير )

وهو مع ذلك أروغ من ثعلب ، إذا أرادته الفارس . وإذا (٦) عدا أطمع  
فى نفسه كلّ شيء ، وإذا طولب أعيا الخيل العتاق . والخنزيرُ مع ذلك أنسلُ

(١) المحيس ، هو من قوّلهم : إبل محيسة : لا تمرح . ط : « محبوسين » وهى  
صحيحة بمعنى « محيسين » . س ، هـ : « محبسين » ، تحريف ما أثبت .

(٢) ط ، هـ : « عذبتنى » . وانظر الاستدراكات .

(٣) ط ، س : « ساعات » ، والوجه فيه ما أثبت من هـ .

(٤) س : « صاحب » .

(٥) كذا على الصواب فى س . وفى ط ، هـ : « ينتطح » .

(٦) س : « فإذا » .

الخلق ؛ لأنَّ الحَنَزِيرَةَ تَضَعُ عَشْرِينَ خِنْوَصاً ، وهو مع كثرة إنساله - مِنْ أَقْوَى الفُحُولِ عَلَى السَّفَادِ . وَمَعَ الْقُوَّةِ عَلَى السَّفَادِ هُوَ أَطْوَلُهَا مُكْتَأً فِي سَفَادِهِ ، فَهُوَ بِذَلِكَ أَجْمَعَ لِلْفُحُولَةِ (١) .

وإذا كَانَ الكَلْبُ وَالذَّبُّ موصوفَيْنِ بِشِدَّةِ القَلْبِ ؛ لَطُولِ الخَطْمِ (٢) ، فَالْحَنَزِيرُ أَوْلَى بِذَلِكَ . ٣٤

وَالْفِيلُ نَابٌ عَجِيبٌ ، وَلِكِنَّهُ لَقَصْرُ عُنْقِهِ لَا يَبْلُغُ النَّابُ مَبْلَغاً (٣) ، وَإِنَّمَا يَسْتَعِينُ بِخَرْطُومِهِ ، وَخَرْطُومُهُ هُوَ أَنْفُهُ ، وَالْخَطْمُ غَيْرُ الْخَرْطُومِ .

### ( مَا قِيلَ فِي طَيْبِ لَحْمِهِ وَإِهَالَتِهِ )

قال أبو ناصرة : وَلَهُ طَيْبٌ ، وَهُوَ طَيْبُ لَحْمِهِ وَلَحْمُ أَوْلَادِهِ (٤) . وَإِذَا أَرَادُوا وَصْفَ اخْتِلَاطِ (٥) وَدَكِ الْكُرْكِيِّ (٦) فِي مَرَقٍ طَيِّبٍ ، قَالُوا : كَانَ إِهَالَتُهُ إِهَالَةَ خَنَزِيرٍ (٧) ؛ لِأَنَّهُ لَا يَسْرِعُ إِلَيْهَا (٨) الْجَمُودُ . وَسُرْعَةُ جَمُودِ إِهَالَةِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « أَجْمَعَ الْفُحُولَةُ » وَلَا تَصِحُّ . وَفِي ط « ه » زِيَادَةٌ : « هَذَا » فِي آخِرِ الْجُمْلَةِ وَلَا وَجْهَ لَهَا كَمَا فِي س .

(٢) سَبَقَ مِثْلُ هَذَا الْكَلَامِ فِي ( ٢ : ٢١٣ س ١ ) .

(٣) ط : « لَقَصْرُ عُنْقِهِ لَا يَبْلُغُ الْبَابَ يَقْصُرُ عَنْهُ وَلَا يَبْلُغُ » الْخ . وَاثْبَتَ صَوَابَهُ مِنْ س ، ه .

(٤) بَدَلَ هَذِهِ الْعِبَارَةِ فِي ه : « وَلَهُ طَيْبُ لَحْمِهِ » فَقَطْ . وَجُمْلَةُ « وَلَهُ طَيْبٌ » سَاقِطَةٌ مِنْ س .

(٥) كَذَا عَلَى الصَّوَابِ فِي ه . وَفِي ط ، س : « اخْتِلَافٌ » .

(٦) الْكُرْكِيُّ ، بِالضَّم : طَائِرٌ كَبِيرٌ أَغْبَرُ اللَّوْنِ أَبْثَرُ الذَّنْبِ طَوِيلُ الْعُنُقِ وَالرَّجْلَيْنِ : Crane . قَالَ الدِّمِيرِيُّ : « وَالْمَلُوكُ مَصْرَ وَأَمْرَانِهَا فِي صَيْدِهِ تَغَالُ لَا يَدْرِكُ حُدَّهُ ، وَإِنْفَاقُ مَالٍ لَا يَسْتَطَاعُ حَصْرَهُ وَعَدَهُ » . ط : « الْكُرْكِيُّ » ، صَوَابُهُ فِي س ، ه .

(٧) الْإِهَالَةُ ، بِالْكَسْرِ : الشَّحْمُ . وَالْوَدَكُ : الدِّمَسُ . ه : « أَهَالُهُ إِهَالُ خَنَزِيرٍ » ، مُحَرَفٌ .

(٨) س : « إِلَيْهِ » مُحَرَفٌ .

الماعر في الشتاء عيب . وللضأن في ذلك بعض الفضيلة على الماعز ؛ ولا يلحق بالخنزير .

( قبول عظم الخنزير للاتحام بعظم الإنسان )

وإذا نقص من الإنسان عظمٌ واحتيجَ إلى صِلته في بعض الأمراض لم يلتجئ به إلاَّ عظمُ الخنزير .

( صوت الخنزير )

وإذا ضرب فصاح لم يكن السامعُ يفصلُ بينَ صوته وبينَ صوتِ صبيٍّ مضروبٍ<sup>(١)</sup> .

( طيب لحمه )

وفي إطباقِ جميعِ الأممِ على شهوةِ أكله واستطابةِ لحمه ، دليلٌ على أنَّ له في ذلك ما ليس لغيره .

( زعم المجوس في المنخقة ونحوها )

والمجوس زعم أنَّ المنخقةَ والموقوذةَ والمترديةَ<sup>(٢)</sup> ، وكلَّ ما اعتبط ولم يمت حتف أنفه<sup>(٣)</sup> ، فهو أطيبَ لحماً وأحلى ؛ لأنَّ دمه فيه ، والدم حلوٌ

(١) وقد تهاى لابن آوى مثل هذا الصوت كما سيأتى في ( ٥ : ٢٨٨ ) .

(٢) س : « المنخقة والموقوذة والمتردى » . وانظر ماسبق ص ٥٦ .

(٣) اعتبط ، بالبناء للمفعول : مات من غير علة . ويقال مات حتف أنفه : أى بلا ضرب ولا قتل . ط ، هـ : « وكلما اعتبط الخ ، وصواب كتابته ما أثبت . وبدلها في س : « إذا اعتبط الخ » .

دَسِمَ . وإنما عافَهَ مَنْ عافَهَ من طَرِيقِ العادةِ والدَّيَّانةِ ، لا من طريق الاستقذار والزُّهْدِ الذي يَكُونُ في أصلِ الطبيعة .

### ( اختلاف ميل الناس إلى الطعام )

وقد عافَ قومُ الجُرِّيِّ والضَّبَّابِ<sup>(١)</sup> على مثل ذلك ، وشَغِفَ بِهِ آخرون .

وقد كانت العربُ في الجاهليَّةِ<sup>(٢)</sup> تَأْكُلُ دَمَ الفَصْدِ<sup>(٣)</sup> ، وتفَضِّلُ طَعْمَهُ ، ومُنْجَبَرٌ عَمَّا يورثُ من القوَّةِ .

قال : وأَيُّ شَيْءٍ أَحْسَنُ من الدَّمِ ، وهل اللَّحْمُ إلا دَمٌ استحالَ كما يستحيلُ اللَّحْمُ شَحْمًا ؟ ! ولكنَّ الناسَ إذا ذكروا معناه ، ومن أين يخرج وكيف يخرج ، كانَ ذَلِكَ كاسِراً لَهُمْ ، ومانعاً من شهوتِهِ .

### ( بعض ما يغير نظر الإنسان إلى الأشياء )

وكيف حال النَّارِ في حَسَنِها<sup>(٤)</sup> ، فَإِنَّهُ ليس في الأرضِ جِسْمٌ لم يصبغَ أَحْسَنَ مِنْهُ<sup>(٥)</sup> . وَلَوْلا معرفَتُهُمْ بِقَتْلِها وإِخْراقِها وإِتْلافِها ، والألمُ والحَرْقَةُ المولدين<sup>(٦)</sup> عنها ، لتضاعفَ ذَلِكَ الحُسْنُ<sup>(٧)</sup> عِنْدَهُمْ . ولأنَّهم لَيَرَوْنَهَا

(١) الجري ، بالجيم المكسورة بعدها راء مشددة مكسورة : ضرب من السمك سبق الكلام عليه في ( ١ : ٢٣٤ ) . والضباب ، بالكسر : جمع ضب .

(٢) ط : « فجاهلية » ، صوابه في س ، هـ .

(٣) وذلك بأن يضموا الدم ، بعد فصدته في الأمعاء ويشوونها . انظر ص ٥٦ .

(٤) س : « جنسها » ، وأراه تحريفاً .

(٥) كذا في ط ، هـ ، س . وفي . هـ : « لم يصنع أحسن منه » .

(٦) ط : « المولودين » صوابه في س ، هـ .

(٧) س : « الحسن » ، محرف .

في الشتاء بغير العيون التي يرونها بها في الصيف . ليس ذلك إلا بقدر ما حدث من الاستغناء عنها .

وكذلك جلاء السيف ؛ فإنَّ الإنسانَ يستحسنُ قَدْ السَّيفِ وخرطه ، وطبعه وبريقه . وإذا ذكر صنيعه والذي هُيئَ له ، بدا له في أكثر ذلك <sup>(١)</sup> ، وتبدل في عينه ، وشغله ذلك عن تأمل محاسنه .

ولولا علم الناس بعداوة الحيات <sup>(٢)</sup> لهم ، وأنها وحشية لا تأنس ولا تقبل أدباً ، ولا ترعى حقَّ تربية ، ثمَّ رأوا شيئاً من هذه الحيات <sup>(٣)</sup> البيض ، المنقشة الظهور - كما بيئوها ونوموها إلا في المهدي ، مع صبيانهم .

### (ردُّ على من طعن في تحريم الخنزير)

فيقال لصاحب هذه المقالة <sup>(٤)</sup> : تحريم الأغذية لإتمامها يكون من طريق

العبادة والمحنة ، وليس أن جوهرَ شيء من المأكول <sup>(٥)</sup> يوجب ذلك . ٣٥  
ولأنما قلنا : إنا وجدنا الله تعالى قد مسحَ عباداً من عباده في صور الخنزير [ دون بقيَّة <sup>(٦)</sup> الأجناس ، فعلمنا أنه لم يفعلْ ذلك إلا لأُمُورٍ اجتمعت في الخنزير <sup>(٧)</sup> ] . فكان المسخ على صورته أبلغ من التنكيل . لم نقلْ إلا هذا

(١) بدا له : أى نشأ له رأى آخر .

(٢) ط : « الحياة » ، وإنما هو جمع حية كما في س ، هـ .

(٣) هذا البحث الآتي متعلق بما سبق في ص ٧٤ - ٧٧ سمي وليس له ارتباط بما مر قريباً .

(٤) إلى هذه الكلمة ينتهي المجلد الأول من النسخة الخطية المرموز إليها برمز « س » وتبتنى المعارضة بعدها من أول المجلد الثاني منها .

(٥) هـ : « جميع » .

(٦) الزيادة من س ، هـ .

## ( طباع القرد )

والقرد يَضْحَكُ وَيَطْرَبُ ، وَيَقْنَى وَيَحْكِي ، ويتناولُ الطَّعامَ بيديه ويضعه في فيه ، ولهُ أصابعُ وأظفار . ويتنقَّى<sup>(١)</sup> الجوز ، ويأنس الأنسَ الشَّدِيدَ ، وَيَلْقَنُ بالتَّلْقِينِ الكثير ، وإذا سَقَطَ في الماء غَرِقَ ولم يَسْبَحْ ؛ كالإنسانِ قبل أن يتعلَّم السَّباحة . فلم تَجِدِ النَّاسَ للذئ الذي اعتري القِرْدَ من ذلك — دونَ جميعِ الحيوانِ علَّةً — إلَّا هذه المعاني التي ذكرتها<sup>(٢)</sup> ، من مناسبة الإنسانِ من قبلها .

ويحكي عنه من شدة الزواج ، والغيرة على الأزواج ، ما لا يحكى مثله إلَّا عن الإنسان ؛ لأنَّ الخنزيرَ يَغَارُ ، وكذلك الجملُ والفرسُ ، إلَّا أنَّها لا تزوج . والجملُ يَغَارُ ويحمي عانته الذَّهرَ كُلَّهُ<sup>(٣)</sup> ، ويضربُ فيها كضربه لو أصابَ أَتَانًا من غيرها . وأجناسُ الحمامِ تزوج ولا تَغَارُ .

واجتمع في القرد الزواج والغيرة ، وهما خصلتان كريمتان ، واجتماعهما من مفاخر الإنسان على سائر الحيوان . ونحن لم نَرِ وجهَ شيءٍ غيرِ الإنسانِ أشبهَ صورةً وشبهًا ، على ما فيه من الاختلاف ، ولا أشبهَ فأً ووجهًا بالإنسان ، من القِرْدِ . ورُبَّمَا<sup>(٤)</sup> رأينا وجهَ بَعْضِ الحمرِ<sup>(٥)</sup> إذا كان ذا خَطْمٍ ، فلا نَجِدُ بَيْنَهُ وبين القِرْدِ إلَّا اليسيرَ .

(١) أصله من قولهم : نقى العظم نقيًا : استخرج نقيه . والتقى بالكسر : مَخَّ العظام وشحمها . فالمنى يستخرج لب الجوز .

(٢) س : « ذكرناها » .

(٣) العانة : جماعة الحمر الوحشية .

(٤) ط : « وبما » ، تصحيحه من س ، هـ .

(٥) لعل المراد بالحمر هنا الروس . وجاء في التنبيه والإشراف ١٢٢ : « والروم تسميهم روسيا . معنى ذلك : الحمر » . في الأصل : « بعض وجه الحمر » .

### (أمثال في القرد)

وتقول <sup>(١)</sup> الناس : « أْكَيْسُ من قِشَّة <sup>(٢)</sup> » ، و « أَمْلَحُ من رُبَّاح <sup>(٣)</sup> »  
ولم يقل أحد : أْكَيْس من خَنْزِيرٍ ، وأَمْلَحُ من خِنْوص . وهو قول العامة :  
« القرد قَبِيحٌ وَلَسَكُنَّه مَلِيحٌ » .

### (كفّ القرد وأصابه)

وقال النَّاسُ في الضَّبِّ : إنه مِسْخٌ . وقالوا : انْظُرْ إلى كَفِّهِ وأَصَابِعِهِ .  
فكَفَّ القرد وأَصَابِعُهُ <sup>(٤)</sup> أَشْبَهُ وأَصْنَعُ . فَقَدِمَتْ للقرد على الخنزير من  
هذا الوجه .

### (علة تحريم لحم الخنزير)

وأَمَّا القولُ في لحمه ، فَإِنَّا لم نَزْعَمْ أَنَّ الخنزيرَ هو ذلك الإنسان الذي  
مُسَخَّ ، ولا هو من نسله ، ولم ندعْ لحمه من جهة الاستقذار لشهوته في العذرة ،  
ونحن نجد الشَّهْوِطَ والجُرَى <sup>(٥)</sup> ، والدَّجَاجَ ، والجُرَادَ ، يشارِكُنَّه في ذلك ،  
ولكن للخصال التي عدَدْنَا من أسباب العبادات . وكيف صار أحقَّ بأنْ تَمْسَخَ  
الأعداء <sup>(٦)</sup> على صورته في خلقته .

---

(١) س : « ويقول » .

(٢) القشة ، بالكسر : القردة « أو ولدها الأنثى » .

(٣) الرباح ، كرمان : القرد الذكر .

(٤) ط : « فكيف والقرد أصابعه » ، وهو — لاجرم — تحريف .

(٥) الشبوط والجري : ضربان من ضروب السبك . وانظر مثل هذا الكلام

في ( ١ : ٢٣٥ ) .

(٦) أى أعداء الله .

### (حديث عبيد الكلابي)

قال : وقلت مرّة لعبيد الكلابي - وأظهر من حبّ الإبل والشّعف بها ما دعاني إلى أن قلت له - : أيّنها وبينكم قرابة <sup>(١)</sup> ؟ قال : نعم ، لها فينا خُؤولة . إني والله ما أعني البَخَاتِيَّ ، ولكنّي أعني العِرَابَ ، التي هي أعرب ! قلت له : مَسَخَكَ الله تعالى بعيراً ! قال : الله لا يمسحُ الإنسانَ على صورةٍ كريمٍ ، وإنما يمسحه على صورةٍ لثيمٍ ، مثل الخنزير ثم القرد <sup>(٢)</sup> .  
فهذا قولُ أعرابيٍّ جِلْفٍ <sup>(٣)</sup> تكلم على فطرته .

### (قول في آية)

وقد تكلم المخالفون في قوله تعالى : ﴿ وَأَسَاءَ لَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ <sup>(٤)</sup> .  
وقد طعن ناسٌ في تأويل هذه الآية ، بغير علمٍ ولا بيانٍ ، فقالوا : وكيف يكون ذلك وليس بين أن تجيء <sup>(٥)</sup> في كلّ هلال فرقٌ ، ولا بينها إذا جاءت في رأس الهلال فرقٌ ، ولا بينها إذا جاءت في رأس السّنة فرق .

(١) س : « أيّنكم وبينها قرابة » .

(٢) ط ، ه : « الخنزير والقرد » .

(٣) الجلف ، بالكسر : للرجل الجافي .

(٤) هذه القرية هي أيلة ، أو مدين ، أو طبرية : وكل منها حاضرة البحر ، أي قرية منه .

« يعدون في السبت » : يتجاوزون حدود الله بالصوم يوم السبت . « يوم سبتهم »

أي يوم تعظيمهم أمر السبت ، سبت اليهود : عظمت سبتها . « شرعا » :

ظاهرة على وجه الماء .

(٥) كذا الصواب في س . وفي ط ، ه : « يجيء » .

### ( هجرة السمك )

وهذا بحرُ البصرة والأبلة ، يأتيهم ثلاثة أشهر معلومة معروفة [ من السنة ] السمك الأسبور <sup>(١)</sup> ، فيعرفون وقت مجيئه وينتظرونه ، ويعرفون وقت انقطاعه ومجيئ غيره ، فلا يمكث بهم الحال إلا قليلاً حتى يُقبل السمك من ذلك البحر ، في ذلك الأوان ، فلا يزالون في صيد ثلاثة أشهر معلومة من السنة ، وذلك في كل سنة مرتين لكل جنس . ومعلوم عندهم أنه يكون في أحد الزمانين أتمن ، وهو الجواف <sup>(٢)</sup> ، ثم يأتيهم الأسبور <sup>(٣)</sup> ، على حساب مجيء الأسبور <sup>(٤)</sup> والجواف . فأما الأسبور فهو يقطع إليهم من بلاد الزنج . وذلك معروف عند البحريين . وأن الأسبور في الوقت الذي يقطع إلى دجلة البصرة لا يوجد في الزنج ، وفي الوقت الذي يوجد في الزنج لا يوجد في دجلة <sup>(٥)</sup> . وربما اصطادوا منها شيئاً في الطريق في وقت قطعها المعروف <sup>(٦)</sup> ، وفي وقت رجوعها . ومع ذلك أصناف من

(١) سبق الكلام عليه في ( ٣ : ٢٥٩ ) . وفي الأصل : « الأسبور » محرف .

(٢) في الأصل : « الجواف » . وانظر ما أسلفت من التحقيق في ( ٣ : ٢٥٩ ) .

(٣) في الأصل : « الأسبور » . وهو تحريف . انظر له ( ٣ : ٢٥٩ ) .

(٤) ط ، هـ : « الأسبور » . وانظر التنبيه السابق .

(٥) س : « الدجلة » ، وإدخال « أل » على « دجلة » خطأ ، فإن المعرفة لا تعرف .

وانظر لأشياء هذا الوهم درة الغواص ٢٥ .

(٦) يقال قطع الطائر والسمك : إذا انتقل من بلد إلى بلد .

السّمك كالإربّيان<sup>(١)</sup> ، والرّق<sup>(٢)</sup> ، والكوسّج<sup>(٣)</sup> ، والبرد<sup>(٤)</sup> ،  
والبرستوج<sup>(٥)</sup> . وكلّ ذلك معزوف الزّمان ، متوقّع الخرج .  
وفي السّمك أوبد وقواطع ، وفيها سيّارة لا تقيم . وذلك الشّبه يُصابُ .  
ولذلك صاروا يتكلمون بخمسة السّنة<sup>(٦)</sup> ، يهدونها<sup>(٧)</sup> ، سوى ما تعلّقوا به  
من غيرها .

ثمّ القواطع من اللّطير قد تأتينا إلى العراق منهم<sup>(٨)</sup> في ذلك الإبان  
جماعات كثيرة ، تقطّع إلينا ثمّ تعود في وقتها .

(١) الأربّيان ، بالكسر : ضرب من السّمك ■ يعرف في مصر باسم « الجنبرى » ،  
كما في معجم المعلوف . وقد سبق للجاحظ كلام فيه ، انظر ( ١ : ٢٩٧ س ٦ )  
وفي الأصل : « الأرسان » ، محرف عما أثبت .

(٢) الرق : السلحفاة المائية .

(٣) الكوسج : سمك بحري كبير عظيم الضرر تخافه دواب البحر ، ويعرف باسم  
« القرش » أيضا في سواحل البحر الأحمر .

(٤) كذا . ولعله : « البز » أو « البزون » ، وهو نوع من السّمك معروف بالعراق .

(٥) البرستوج : سمك قدمت تحقيقا فيه بالجزء الثالث ص ٢٥٩ - ٢٦٠ ، وهو من  
السّمك الذي يقطع إلى البصرة كما في ( ٣ : ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ ) . وهذه  
الكلمة مضطربة في الأصل : فهي في ط : « الكرنوح » و س :  
« الكونوح » و هـ : « الكرموح » وهي تحريفات عجيبة لما أثبت .

(٦) لعله إشارة إلى الأصناف الخمسة المتقدمة .

(٧) هذا الحديث يهذه : سرده . وفي الأصل : « يهدونها » بالبدال المهملة ،  
ولا وجه له .

(٨) جعل لغير العاقل ضمير العاقل ، وهو جائز . في القرآن : « يأبىء النمل ادخلوا  
مساكنكم » ، « والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشی على بطنه » ، « لا الشمس  
ينبغي لها أن تدرک القمر ولا اللیل سابق النهار وكل في فلك يسبحون » ، « إني  
رأيت أحده عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين » .

## (رد على المترض)

قُلْنَا لَهُوَلَاءِ الْقَوْمَ : لَقَدْ أَصَبْتُمْ فِي بَعْضِ مَا وَصَفْتُمْ ، وَأَخْطَأْتُمْ فِي بَعْضٍ .  
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ  
 لَا تَأْتِيهِمْ ﴾ ، وَيَوْمُ السَّبْتِ يَدُورُ مَعَ الْأَسَابِيعِ ، وَالْأَسَابِيعُ تَدُورُ مَعَ شَهْرِ  
 الْقَمَرِ <sup>(١)</sup> . وَهَذَا لَا يَكُونُ مَعَ اسْتِوَاءٍ مِنَ الزَّمَانِ . وَقَدْ يَكُونُ السَّبْتُ فِي الشِّتَاءِ  
 وَالصَّيْفِ وَالْخَرِيفِ ، وَفِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ . وَلَيْسَ هَذَا مِنْ بَابِ أَزْمَانِ قَوَاطِعِ  
 السَّمَكِ <sup>(٢)</sup> وَهَيْجِ الْحَيَوَانِ وَطَلَبِ السَّفَادِ ، وَأَزْمَانِ الْفَلَاخَةِ ، وَأَوْقَاتِ  
 الْجَزْرِ وَالْمَدِّ ؛ وَفِي سَبِيلِ الْأَنْوَاءِ ، وَالشَّجَرِ كَيْفَ يَنْفَضُّ <sup>(٣)</sup> الْوَرَقَ وَالْثَمَارَ ؛  
 وَالْحَيَاتِ كَيْفَ تَسْلُخُ <sup>(٤)</sup> ، وَالْأَيَّامُ كَيْفَ تَلْقَى قُرُونَهَا <sup>(٥)</sup> وَالطَّيْرُ كَيْفَ  
 تَنْطِقُ وَمَتَى تَسْكُتُ .

وَلَوْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ : إِنِّي نَسِيتُ <sup>(٦)</sup> [ قُلْنَا لَهُ : وَمَا آيَتُكَ ؟ وَمَا عَلَامَتُكَ ؟ ٣٧  
 فَقَالَ : إِذَا كَانَ فِي آخِرِ تَشْرِينِ الْآخِرِ أَقْبَلَ إِلَيْكُمْ الْأَسْبُورُ <sup>(٧)</sup> ، مِنْ جِهَةِ  
 الْبَحْرِ — ضَحِكُوا مِنْهُ وَسَخِرُوا بِهِ . وَلَوْ قَالَ : إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ  
 أَوْ يَوْمُ الْأَحَدِ أَقْبَلَ إِلَيْكُمْ الْأَسْبُورُ <sup>(٧)</sup> ، حَتَّى لَا يَزَالَ يُصْنَعُ ذَلِكَ فِي كُلِّ

(١) ط : « القمرية » صوابه في س ، ه .

(٢) س : « وليس هذا مرتين كأزمان قواطع السمك » .

(٣) ينفض ، بالفاء : يسقط الورق أو الثمر . ط ، ه : « ينقض » ، صوابه في س .

وقد سبق مثله في ( ٣ : ٢٣٢ س ١٤ ) .

(٤) يقال سلخت الحية تسليخ من بابي نصر ومنع ، وانسلخت تسليخ : إذا انسرت من

جلدها . جاء في س : « تسليخ » وكلمة « الحيات » ساقطة من س

وموضعها في ط ، ه بعد كلمة « تسليخ » ، وقد رددتها إلى موضعها الطبيعي الملائم .

(٥) الأيل يتصل قرنه في كل سنة كما سبق في ( ٣ : ٢٣٢ س ١٣ ، ١٤ ) .

(٦) ليست بالأصل ، والكلام في حاجة إليها .

(٧) في الأصل : « الأسبور » . وانظر التنبيه الأول من الصفحة ١٠١ .

جمعة - علمنا اضطراباً إذا عايننا الذي ذَكَرَ على نَسَقِهِ أَنَّهُ صادق ، وأنه لم يعلم ذلك إلا من قِبَلِ خَالِقِ ذَلِكَ <sup>(١)</sup> . تعالى الله عن ذلك .

وقد أقرَرنا بعجيب ما نرى من مطالع النجوم ، ومن تناهى المدّ والجزر على قدر امتلاء القمر ونقصانه ، وزيادته ومحاقه <sup>(٢)</sup> ، واستساراه <sup>(٣)</sup> . وكلُّ شيء يأتي على هذا النَسَقِ من المجارى ، فإنَّما الآيَةُ فيه لِلَّهِ وحده على وحدانيته .

فإذا قال قائلٌ لأهل شريعة <sup>(٤)</sup> ولأهل مُرسى ، من أصحابِ بحرٍ أو نهر أو وادٍ ، أو عينٍ ، أو جدولٍ : تأتِيكم الحيتان في كلِّ سبت . أو قال : في كلِّ رمضان . ورمضانُ متحوِّلُ الأزمانِ في الشَّتاءِ والصيفِ « والرَّبيعِ والحريفِ . والسَّبْتُ يتحوِّلُ في جميعِ الأزمانِ . فإذا كان ذلك كانت تلك الأعجوبة <sup>(٥)</sup> فيه دالةً على توحيدِ الله تعالى ، وعلى صِدْقِ صاحبِ الخبرِ ، وأنه رسولٌ ذلك المسخَّرُ لذلك الصَّنَفِ . وكان <sup>(٦)</sup> ذلك المحيُّ خارجاً من النَسَقِ القائمِ « والعادةِ المعروفة . وهذا الفرقُ بذلك بيِّنٌ . والحمدُ لله .

(١) بدله في ط ، هـ : « السبك » .

(٢) الحاق ، مثاقبة : آخر الشهر ، أو ثلاث ليالٍ من آخره ، أو أن يستمر القمر فلا يرى غلوة ولا عشية .

(٣) استسار القمر : أن يغتنى ، وذلك ليلة ثمان وعشرين « وإذا كان الشهر ثلاثين فساراه ليلة تسع وعشرين . في ط ، هـ : « إسراره » س : « استراره » ، والوجه ما أثبت . انظر اللسان ( سرر ٢١ ) . وبعد هذه الكلمة في ط : « واستدارته » .

(٤) الشريعة ، هنا مورد الماء .

(٥) س : « فإن كان ذلك كانت أعجوبة » .

(٦) ط ، هـ : « فكان » .

## (شنعة الخنازير والقردة)

قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا مَنُّوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ . وفي الموضع الذي ذكر أنه مسح ناساً خنازير قد ذكر القُرود<sup>(١)</sup> . ولم يذكر أنه مسح قوماً خنازير ، ولم يمسح منهم قروداً<sup>(٢)</sup> . وإذا كان الأمر كذلك فالمسح على صورة القردة<sup>(٣)</sup> أشنع ؛ إذ كان المسح على صورتها<sup>(٤)</sup> أعظم<sup>(٥)</sup> ، وكان العقابُ به أكبر . وإنَّ الوقت الذي قد ذكر أنه قد مسح ناساً قروداً فقد كان مسح ناساً خنازير . فلم يدعْ ذِكْرَ الخنازير وذِكْرَ القُرود<sup>(٦)</sup> إلاَّ والقُرودُ في هذا الباب أوجعْ وأشنعْ وأعظمُ في العقوبة ، وأدلُّ على شدَّة السَّخْطَةِ<sup>(٧)</sup> . هذا قول بعضهم .

- 
- (١) س : « قرودا » ، وفي ط ، ه زيادة واو قبل « قد » ، وهو تحريف .  
 (٢) أى أنه عند ذكره مسح قوم خنازير قرنه أيضاً بالمسح بالقُرود ، وذلك قوله تعالى في الآية الستين من سورة المائدة « قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه ، وجعل منهم القردة والخنازير » .  
 وفي الأصل : « ولم يذكر أنه مسح قوما قرودا ولم يمسح منهم خنازير » . وأصلحته بما ترى .  
 (٣) في الأصل : « القرد » بالإفراد . ووجه الجمع كما سترى .  
 (٤) في الأصل : « على صورتها » وإنما الضمير عائد إلى جماعة القردة .  
 (٥) في الأصل : « أعم » ، ولا وجه له . وانظر ما سيأتى .  
 (٦) أى وحدهما ؛ إذا قال في سورة البقرة « الآية الخامسة والستين : « ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين » ، ولم يذكر الخنازير . وقال في سورة الأعراف ١١٦ : « فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين » ولم يذكر الخنازير .  
 (٧) السخطة ، بالفتح : الكراهة ، يقال سخطه سخطاً ، بالضم ، والتحريك وبضمين « وسخطة . وفي حديث هرقل : « فهل يرجع أحد منهم سخطة لدينه »

(استطراد لغوى)

قال : ويقال لموضع الأنف من السَّباع الحَظْم ، والخرطوم — وقد يقال ذلك للخزير — والفِنْطِيسَةُ<sup>(١)</sup> ، والجمع الفناطيس . وقال الأعرابي : « كَأَنَّ فَنَاطِيسَهَا كِرَاكِرُ الْإِبِلِ<sup>(٢)</sup> » .

(خصائص بعض البلدان)

وقال صاحب المنطق : لا يكون خِزِيرٌ ولا أَيْلٌ بحريًّا . وذكر أنَّ خِزَايِرَ بعضِ البُلدانِ يكون لها ظِلْفٌ واحد ، ولا يكون بأَرْضٍ نَهَاوَنَدَ حِمَارٌ ؛ لشدَّةِ بردِ الموضع ، ولأنَّ الحِمَارَ صَرِدٌ .  
وقال : في أرضٍ كذا وكذا لا يكون بها شيءٌ من الخُلْدِ<sup>(٣)</sup> ، وإن نقله إنسانٌ إليها لم يحفر ، ولم يتَّخذ بها بيتًا . وفي الجزيرة التي تسمَّى صِقْلِيَّةَ<sup>(٤)</sup> لا يَكُونُ بها صَنْفٌ من النمل ، الذي يسمَّى أفرشان<sup>(٥)</sup> . ٣٨

- 
- (١) الفِنْطِيسَةُ ، بالكسر : خطم الخنزير . وفي اللسان : « وروى عن الأصمعي : إنه لمنيع الفِنْطِيسَةُ والفَرْطِيسَةُ والأَرْنَبَةُ ، أى هو منيع الخوزة حمى الأنف . أبو سعيد : فِنْطِيسَتُهُ وفَرْطِيسَتُهُ : أنفه » ، فهى قد تستعمل لغير الخنزير .  
(٢) كذا على الصواب في ط . وفي هـ : « فَنَاطِيسَهَا » ، وفي س : « فَنَاطِيسُهُ » . والكراكر : جمع كركرة ، بالكسر « وهى صدر كل ذى خف .  
(٣) الخلد ، بالضم : ضرب من الفأر .  
(٤) صقلىة ، بكسرات ولام مشددة : تلك الجزيرة الأوربية الإيطالية . س ، هـ : « أَصْقَلِيَّةٌ » ولعلها لغة في تمريرها .  
(٥) س : « أفرشان » بالفاء .

## ( قول أهل الكتابين في المسيح )

وأهل الكتابين <sup>(١)</sup> يُنكرون أن يكونَ الله تعالى مسيخَ النَّاسِ قروداً  
وخنازير ، وإنما مسيخ امرأة لوط حَجَرًا <sup>(٢)</sup> . كذلك يقولون .

## القول في الحيات

اللهمَّ جنبنا التكلفَ ، وأعِزَّنَا من الخطلِ ، واحمِنَا من العُجْبِ بما  
يكونُ مِنَّا ، والثقةَ بما عندنا ، واجعلنا من المحسنين .

## ( احتيال الحيات للصيد )

حدثنا أبو جعفرٍ المكفوفُ النحويُّ العنبريُّ ■ وأخوه رَوْحُ الكاتب  
ورجالٌ من بني العنبرِ ، أن عندهم في رمال بلعنبرِ حِيَّةٌ تصيدُ العَصَافيرَ  
وصِغَارَ الطيرِ بأعجبِ صيدٍ . زعموا أنها إذا انتصفَ النهارُ واشتدَّ الحرُّ في رمالِ  
بلعنبرِ ، وامتنعت الأرضُ على الخافِ والمتعلِّ ■ ورَمَضُ الجندبِ <sup>(٣)</sup> ■

(١) التوراة والإنجيل .

(٢) الذي في سفر التكوين من التوراة ، الأصحاح ١٩ : ٢٤ — ٢٦ : « فأمطر الرب  
على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً من عند الرب من السماء ، وقلب تلك المدن ، وكل  
الدائرة ، وجميع سكان المدن ونيات الأرض ، ونظرت امرأته من ورائه فصارت  
عمود ملح » .

(٣) الجندب ، وزان برقع ودرهم ، وبضم الجيم وبفتح الدال : ضرب من الجراد صغير :  
Grasshopper . ورَمَضُ ■ آله الرمض وأحرقه ، وهو بالتحريك شدة وقع  
الشمس على الرمل ونحوه .

غمست هذه الحية ذنبها في الرمل ، ثم انتصبت كأنها رمح مركوز ، أو عودٌ ثابت<sup>(١)</sup> ، فيجىء الطائر الصغير أو الجرادة ، فإذا رأى عوداً قائماً وكره الوقوع على الرمل لشدة حره ، وقع على رأس الحية ، على أنها عود . فإذا وقع على رأسها قبضت عليه . فإن كان جرادة أو جعلاً أو بعض مالا يشبعها مثله ، ابتلعت<sup>(٢)</sup> وبقيت على انتصابها . وإن كان الواقع على رأسها طائراً يشبعها مثله أكلته وانصرفت . وأن ذلك دائماً ما منع الرمل جانب<sup>(٣)</sup> في الصيف والقيظ ، في انتصاب النهار والهاجرة . وذلك أن الطائر لا يشك أن الحية عود ، وأنه سيقوم له مقام الجذل للجرباء<sup>(٤)</sup> ، إلى أن يسكن الحر ويهيج الرمل .

وفي هذا الحديث من العجب أن تكون هذه الحية تهتدي لمثل هذه الحيلة . وفيه جهل الطائر بفرق ما بين الحيوان والعود . وفيه قلة اكتراث الحية بالرمل الذي عاد كالجمر<sup>(٥)</sup> ، وصلاح أن يكون ملة وموضعاً للخبرة<sup>(٦)</sup> ، ثم [ أن<sup>(٧)</sup> ] يشتمل ذلك الرمل على ثلث الحية ساعات من النهار ، والرمل على هذه الصفة . فهذه أعجوبة من أعاجيب مافي الحيات .

(١) في نهاية الأرب ( ١٠ : ١٣٩ ) : « ثابت » بالنون .

(٢) س : « أكلته » .

(٣) س : « جانبها » ، محرف .

(٤) الجذل ، بالكسر ويفتح : ما عظم من أصول الشجر ، وما على مثال شماريخ النخل من العيدان . والهرباء : بالسكس : دويبة من العطاء بطيئة حركة تتلون ألواناً : Chameleon . وهي إذا احتمت بجذل شجرة لم يميزها الراى ؛ لأنها تتلون سريعاً بلون الجذل ، فيحسبها تتواءم فيها لا أنها شيء غريب عنه ، فتحفظ نفسها بذلك .

(٥) عاد هنا ، بمعنى صار .

(٦) الملة ، بالفتح : الرماد الحار . والخبرة ، بالضم : عجين يوضع في الملة حتى ينصح .

(٧) ليست بالأصل .

## (رضاع الحية وإعجابها باللبن)

وزعم لى رجالٌ من الصَّقالبة ، خصيانٌ وفحول ، أنَّ الحيةَ في بلادهم تأقى البقرة<sup>(١)</sup> [ المحفلة<sup>(٢)</sup> ] فتنتوى على فخذيها<sup>(٣)</sup> ورُكبتها إلى عراقيها ، ثمَّ تُشخص صدرها نحو أخلافِ ضرعِها ، حتى تلتقم الحلف ؛ فلا تستطيع البقرة [ مع قوتها<sup>(٤)</sup> ] أن تترمرم<sup>(٥)</sup> . فلا تزالُ تمصُّ اللبن ، وكلما مصَّت استرخت . فإذا كادت تتلفُ أرسلتها .

وزعموا أن تلك البقرة إما أن تموت<sup>(٦)</sup> ، وإما أن يصيبها في ضرعها فسادٌ شديدٌ تعسرُ مداواته<sup>(٧)</sup> .

والحيةُ تعجبُ باللبن . وإذا وجدت الأفاعى<sup>(٨)</sup> الإناء غير مخمَّر<sup>(٩)</sup>

(١) ط : « البقر » ، وأثبت ما في س ، ه ونهاية الأرب ( ٩ : ١٣٩ ) .

(٢) الزيادة من نهاية الأرب . والمحفلة « بفتح الفاء المشددة : الناقة أو البقرة أو الشاة لا يحلبها صاحبها أياما حتى يجتمع لبنها في ضرعها ، فإذا احتلبها المشتري وجدها غزيرة اللبن فزاد في ثمنها . وفي الحديث : « من اشترى شاة محفلة فلم يرضها ردها ورد معها صاعا من تمر » . وبدلها في س ، ه : « المحفلة » تحريف ما أسلفت .

(٣) ط : « فخلنى البقرة » .

(٤) الزيادة من نهاية الأرب .

(٥) تترمرم : تتحرك .

(٦) بدلها في نهاية الأرب : « تتلف » .

(٧) س ونهاية الأرب : « يعسر دواؤه » .

(٨) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٩) خمر الإناء : غطاه .

٣٩ كَرَعَتْ فِيهِ <sup>(١)</sup> ، وَرُبَّمَا نَجَّتْ فِيهِ مَا صَارَ فِي جَوْفِهَا ، فَيَصِيبُ شَارِبَ ذَلِكَ اللَّبَنِ أَذَى وَمَكْرُوهٌ كَثِيرٌ .

وَيُقَالُ إِنَّ اللَّبْنَ مُحْتَضَرٌ <sup>(٢)</sup> . وَقَدْ ذَهَبَ نَاسٌ إِلَى الْعَمَّارِ ، عَلَى قَوْلِهِمْ إِنَّ الثُّوبَ الْمُعْصَفَرَ مُحْتَضَرٌ <sup>(٣)</sup> . فَظَنَّ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الْمَعْنَى فِي اللَّبَنِ إِنَّمَا رَجَعَ إِلَى الْحَيَاتِ .

### ( مَا تَعَجَّبَ بِهِ الْحَيَاتِ )

وَالْحَيَّةُ تُعْجَبُ بِاللَّفَّاحِ <sup>(٤)</sup> وَالْبُطِيخِ <sup>(٥)</sup> ، وَبِالْحُرْفِ <sup>(٦)</sup> ، وَبِالْخُرْدِ الْمُرْخُوفِ <sup>(٧)</sup> ، وَتَكْرَهُ رِيحَ السَّدَابِ <sup>(٨)</sup> وَالشَّيْخِ ، كَمَا تَكْرَهُ الْوَزْغَ رِيحَ الزَّعْفَرَانِ .

(١) كَرَعَ فِي الْمَاءِ أَوْ فِي الْإِنَاءِ ، كَنَعَ وَسَمِعَ ، كَرَعَا وَكَرَعُوا : تَنَاوَلَهُ بِهِ مِنْ مَوْضِعِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَشْرَبَ بِكَفِّهِ وَلَا بِإِنَاءٍ .

(٢) مُحْتَضَرٌ ، بِالتَّضَادِّ الْمَعْجَمَةِ الْمَفْتُوحَةِ : تَحْضَرُهُ الْجَنُّ فَيَا يَزْعُمُونَ ؛ قَالُوا : وَلِذَلِكَ يَسْرِعُ إِلَيْهِ الْفَسَادُ . وَفِي الْأَصْلِ : « مُحْتَضِرٌ » بِالْمُهْمَلَةِ . وَلَيْسَ صَوَابًا .

(٣) ط : « مُحْتَضِرٌ » س : « مُحْتَضَرٌ » . وَصَوَابُهُ مَا أُثْبِتَ مِنْ هـ . وَانْظُرِ التَّنْبِيهَ السَّابِقَ .

(٤) الْفَاحُ بِالضَّمِّ وَتَشْدِيدِ الْفَاءِ : نَبْتُ عَرِيضِ الْوَرَقِ ؛ وَلَهُ ثَمَرٌ فِي حَجْمِ تَفَّاحٍ إِلَّا أَنَّهُ أَصْفَرُ شَدِيدِ الْعَفْصَةِ وَالْقَبْضِ ، فَإِذَا نَضَجَ مَالَ إِلَى حَلَاوَةٍ مَا . وَيُسَمَّى بِالشَّامِ تَفَّاحُ الْجَنِّ . وَأَصْلُهُ يَتَكُونُ كَصُورَةِ الْإِنْسَانِ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ ، وَلِذَلِكَ يُسَمَّى بِالسَّرْيَانِيَةِ : « يَبْرُوحَا » أَيْ يَنْقُصُهُ الرُّوحُ : وَيُسَمَّى بِالْفَارْسِيَةِ : « هَزَارُ كَشَاي » أَيْ يَحِلُّ أَلْفَ عَقْدَةٍ .

(٥) لَا يَزَالُ هَذَا الزَّعْمُ بَاقِيًا فِي مِصْرَ « وَالْعَامَّةُ عِنْدَنَا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْفَظُوا الْبُطِيخَ الْمَشْقُوقَ مِنْ أَذَى الْحَيَاتِ وَالْهُوَامِ ، غَيَّبُوا نَصْلَ السَّكِينِ فِي جَوْفِهِ ، فَيَمِصُّهُ ذَلِكَ مِنْ شَرِّ الْهُوَامِ فَيَا يَرُونَ .

(٦) الْحُرْفُ ، بِالضَّمِّ : هُوَ الْمَعْرُوفُ بِحَبِّ الرِّشَادِ .

(٧) الْمُرْخُوفُ ، بِالتَّخَالُفِ الْمَعْجَمَةِ : الَّذِي وَضَعَ عَلَيْهِ الْمَاءَ فَاسْتَرْخَى . وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ مَحْرُوفَةٌ فِي أَصْلِهَا ، فَهِيَ فِي ط « هـ » : « الْمَزْخُوفُ » وَفِي س : « الْمَرْخُوفُ » بِالتَّخَالُفِ الْمُهْمَلَةِ .

(٨) هـ : « السَّدَابُ » بِالْمُهْمَلَةِ ، تَصْحِيفٌ . وَانْظُرِ لِلْعَقْدِ ( ٦ : ٢٤٣ ) .

## ( قوة بدن الحية )

وليس في الأرض شيء جسمه مثل جسم الحية ، إلا والحية أقوى بدنًا منه أضعافا . ومن قوتها أنها إذا أدخلت رأسها في جحرها ، أو في صدع إلى صدرها ، لم يستطع أقوى الناس وهو قابض على ذنبها بكلتا<sup>(١)</sup> يديه أن يخرجها ؛ لشدة اعتمادها ، وتعاون أجزاءها . وليست بذات<sup>(٢)</sup> قوائم لها أظفار أو مخالب أو أظلاف<sup>(٣)</sup> ، تُنشبها في الأرض ، [ و<sup>(٤)</sup> ] تنشب بها<sup>(٥)</sup> ، وتعتمد عليها . وربما انقطعت في يدي<sup>(٦)</sup> الجاذب لها ، مع أنها لدنة<sup>(٧)</sup> ملساء على<sup>(٨)</sup>كفة الرقيق<sup>(٩)</sup> في أمرها عند ذلك ، أن يُرسلها من يديه بعض الإرسال ، ثم ينشطها<sup>(٩)</sup> كالخطف والمختلس ، وربما انقطع فنبها في يد الجاذب لها . فأما أذنان الأفاعي فإنها تنبت .

(١) كذا على الصواب في س ؛ إذ أن كلا وكلتا إذ أضيفتا إلى اسم ظاهر ألزمتا الألف .

وفي ط ، ه : « بكلي » ، وهو خطأ .

(٢) في الأصل : « يدي » ، ووجهه ما أثبت .

(٣) ط ، ه : « لها أظلاف » ، صوابه في س .

(٤) الزيادة من س ، ه .

(٥) س : « تنبت فيها » .

(٦) ط : « يد » . وانظر السطر الرابع من هذه الصفحة .

(٧) علىكة ، كفرحة : من قولهم طعام مالك وعلك ، ككتف : متين المضغعة . ط ،

ه : « من أنها » ، وإذا عكس المراد ، إذ المعنى أن ملاسها تقتضي انزلاقها من

يد الجاذب ، وكونها علىكة يستلزم أن تكون متينة تعز على القطع .

(٨) س : « فحتاج إلى الرقيق » ، وهي عبارة لاتسائر باقى الكلام .

(٩) نشط الشيء ، من باب نصر : اختلسه .

ومن عجيب <sup>(١)</sup> ما فيها من هذا الباب ، أن نابتها يُقَطَّع بالكاز <sup>(٢)</sup> ،  
فينبت حتى يتم نباته في أقل من ثلاث ليال :

### ( نزع عين الخطاف )

والخطاف في هذا الباب خلاف الخنزير ، لأن الخطاف <sup>(٣)</sup> إذا قُلعتْ  
إحدى عينيه رجعت . وعين البردُون يركبها البياض ، فيذهب في أيام  
يسيرة .

### ( الاحتيال لناب الأفعى )

وناب الأفعى يحتال له بأن يُدخل في فيها مُخاض أترج <sup>(٤)</sup> ، ويطبق  
لحيها <sup>(٥)</sup> الأعلى على الأسفل ، فلا تقتل بعَضتها أياماً صالحة .  
والمغناطيس الجاذب <sup>(٦)</sup> للحديد ، إذا حُكَّ عليه الثوم <sup>(٧)</sup> ،  
لم يجذب الحديد .

- 
- (١) س : « أعاجيب » .  
(٢) الكاز ، بالزاي : هو المقص بالفارسية . ط : « بالكاز » صوابه في س ،  
ه ومعاجم بالمر ، واستينجاس ، وريتشاردسن .  
(٣) س : « الخنزير » صوابه في ط ، ه . وسيأتي في ص ١٤٣ : « فإن  
نازعا لو نزع عيون فراخ الخطاطيف وفراخ الحيات لعادت بصيرة » .  
(٤) الأترج ، سبق الحديث عنه في ( ٣ : ٥٨١ ) . وحاضه : شحمه .  
(٥) اللحي ، بالفتح : العظم الذي فيه الأسنان من داخل الفم . ط ، ه : « لحيها »  
بالثنية ، صوابه الإفراد كما في س .  
(٦) المغنطيس والمغناطيس ، بكسر الميم من كل منهما ، وكذا المغنيطس بفتح الميم وكسر  
النون وفتح الطاء : حجر يجذب الحديد ، معرب . وفي الأصل أيضا : « الجاذبة »  
صوابه ما أثبت .  
(٧) الثوم ، بالضم : ذاك الثبت المعروف . س : « عليها » وهي على الصواب  
في ط ه . وجه مناسبة هذه الفقرة لما قبلها ، هو أن بعض المواد إذا اقترنت  
بمادة أخرى فقدت بعض خواصها .

( خصائص الأفعى )

والأفعى لا تدور عينها في رأسها ، وهى تلد وتبيض ، وذلك أنها إذا طرقت بيضها <sup>(١)</sup> تحطّم في جوفها ، فترى بفراخها أولاداً ، حتى كأنها من الحيوان الذى يلد حيواناً مثله .

وفى الأفاعى من العجب أنها تُذبح حتى يُفَرى منها كلُّ ودج ، فتبقى كذلك أياماً لا تموت . وأمرت <sup>(٢)</sup> الحاوى فقبض على خرزة <sup>(٣)</sup> عنقها ، فقلت له : اقبضها من الخرزة التى تليها قبضاً رقيقاً <sup>(٤)</sup> . فما فتح بينها بقدر سمّ الإبرة حتى بردت ميّته <sup>(٥)</sup> . وزعم أنه <sup>(٦)</sup> قد ذبح غيرها من الحيات فعاشت على شبيه بذلك ، ثم إنه فصل تلك الخرزة على مثال ما صنع بالأفعى ، فماتت بأسرع من الطرف .

(١) طرقت بييضها ، بتشديد الراء : حان لها أن يخرج بييضها . ط : « طرقت بييضها » صوابه فى س ، ه .

(٢) ط ، ه : « فأمرت » بالفاء .

(٣) الخرزة ، بالتحريك : الفقرة من فقرات الظهر أو العنق .

(٤) س : « من الفقرة » والفقرة والخرزة سيان . ه : « فصلا رقيقاً » محرف .

(٥) سم الإبرة : ثقبها . بردت : ماتت .

(٦) الضمير المستكن ، للحاوى الذى سبق ذكره .

## (قوة بدن الممسوح)

وكلُّ شَيْءٍ مَمْسُوحِ الْبَدَنِ <sup>(١)</sup> ، لَيْسَ بِذِي أَيْدٍ وَلَا أَرْجُلٍ <sup>(٢)</sup> ، فَإِنَّهُ  
يَكُونُ شَدِيدَ الْبَدَنِ ، كَالسَّمَكَةِ <sup>(٣)</sup> وَالْحَيَّةِ .

## (حديث في سم الأفعى)

وزعم أحمد بن غالب <sup>(٤)</sup> قال : باعني حَوَاءٌ ثَلَاثِينَ أَفْعَى بَدِينَارِينَ ،  
وأهدى إليَّ خَسَاءً اصْطَادَهَا مِنْ قُبَالَةِ الْقَلْبِ <sup>(٥)</sup> ، فِي تِلْكَ الصَّحَارَى عَلَى  
شَاطِئِ دَجَلَةَ . قَالَ : وَأَرَدْتُهَا لِلتَّرْيَاقِ . [ قَالَ ] : فَقَالَ لِي حِينَ جَاءَنِي بِهَا :  
قُلْ لِي : مَنْ يَعالِجُهَا ؟ [ قَالَ ] : فَقُلْتُ لَهُ : فَلَانَ الصَّيْدَلَانِيَّ . فَقَالَ : لَيْسَ  
عَنْ هَذَا سَأَلْتُكَ ، قُلْ لِي : مَنْ يَذْبَحُهَا وَيَسْلُخُهَا ؟ قَالَ : قُلْتُ : هَذَا الصَّيْدَلَانِيُّ  
بَعِينُهُ . قَالَ : أَخَافُ أَنْ يَكُونَ مَغْرُورًا مِنْ نَفْسِهِ ، إِنَّهُ وَاللَّهِ إِنْ أَخْطَأَ  
مَوْضِعَ الْمَفْصِلِ مِنْ قَفَاهُ <sup>(٦)</sup> ، وَحَرَكْتَهُ أَسْرَعُ مِنَ الْبَرْقِ ، فَإِنْ كَانَ لَا يَحْسُنُ <sup>(٧)</sup>

(١) هذه الكلمة ساقطة من هـ . و « ممسوح » بالخاء المعجمة ، وقد فسر به بما

ساقى . وفي الأصل : « مسوخ » بالخاء المعجمة ، وهو تصحيف .

(٢) ط : « رجل » وللوجه الجمع كما في س ، هـ .

(٣) ط ، هـ : « كالسمكة » .

(٤) س : « أحمد بن غالب » . والصواب ما أثبت من ط ، هـ . ويؤيده

اتفاق النسخ على إثبات « ابن غالب » في الصفحة ١١٦ .

(٥) موضع أو ماء ، لم أمتد بعد إلى ضبطه أو تعيينه .

(٦) ط : « قفاها » صوابه في س ، هـ .

(٧) س : « يحسن » .

ولا يدري كيف يتغفله ، فينقره نقرَةً<sup>(١)</sup> لم يُفْلِحْ بعدها أبداً . ولكني  
سَأَتَطَوَّعُ لك بِأَنْ أعمل ذلك بين يديه . قال : فبعثت إليه . وكان رأسه  
[ إلى (٢) ] الجُونة<sup>(٣)</sup> ، فيَغْفِلُ<sup>(٤)</sup> الواحدة فيقبض على قفاها بأسرع من  
الطَّرَفِ<sup>(٥)</sup> ، ثم يذبجها . فإذا ذبجها سال من أفواها لعابُ أبيض ، فيقول :  
هذا هو السم الذي يقتل ! قال : فجالت يده جَوْلَةً . وقطرت من ذلك اللعاب  
قطرةً على طَرَفِ قيصِرِ الصيدلاني . قال : فَتَفَشَّى<sup>(٦)</sup> ذلك القاطرُ حَةً  
صار في قدر الدرهم العظيم . ثم إنَّ الحوَّاء امتَحَنَ ذلك الموضعَ قهافت

(١) النقر ، بالقاف : أصله الطير ، واستعماله في الحيات غريب ، لم أر مثله إلا فيما ورد  
في ص ١٠٩ ، وكذا في أثناء قصة رواها الجهمشياري ( في كتاب الوزراء  
والكتاب ) بشأن حية مر بهارجل فقالت له : أدخلني في كلك حتى أدفأ ثم أخرج .  
فأدخلها فلما دفئت قال لها : اخرجي ! فقالت : إنى ما دخلت في هذا المدخل قط  
فخرجت حتى أنقر نقرة . وبعدها : « وواقه لئن دخل أسامة لينقرنك نقرة » . كل  
أولئك بالقاف . انظر الجهمشياري ٥٦ س ١٤ ، ١٥ . والمعروف في الأفاقي :  
نكر ينكر ، بالتون ثم الكاف بعدها زاي معجمة ، كما سيأتى في ص ٢٥٣ .  
(٢) الزيادة من س ، هـ .

(٣) الجونة « بضم الجيم : سلية ( تصغير سلة ) منقشة أدما ( أى جلدا مدبوغا ) تكون  
مع الصلارين . ذاك أصلها . ط ، هـ : « الحونة » بالخاء ، صوابه في س .

(٤) يقال أغفلت الرجل : أصبته ووجدته غافلا ، وهل ذلك فسر بعضهم قوله عز وجل  
« ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا » : اللسان . س ، هـ : « فيغفل » . يقال  
تغفله واستغفله : تحيئت غفلته . والرواية المثبتة من ط .

(٥) الطرف : مصدر طرف بصره : أطبق أحد جفنيه على الآخر . والطرف أيضاً : العين .  
س : « في أسرع من الطرف » .

(٦) تفشى بالفاء : انتشر واتسع . وفي اللسان : « تفشى الخبر : إذا كتب على كاغذ  
رقيق فتشى فيه » . ط ، س : « فتشى » بالعين بدل الفاء ، ووجهه  
ما أثبت من هـ .

في يده ، وبقيت الأفاعى مُذَبَّحَةً <sup>(١)</sup> [ تجول ] في الطست ويكدم <sup>(٢)</sup> بعضها بعضاً ، حتى أمسينا .

قال : وبكرت على أبي رجاء إلى باب الجسر ، أحدثته بالحديث ، فقال لي : وددت أني رأيت موضع القطرة من <sup>(٣)</sup> قيص الصيدلاني ! قال : فوالله ما رمت <sup>(٤)</sup> حتى مرّ معي إلى الصيدلاني ، فأرَيْتُهُ موضعه .  
وأصحابنا يزعمون أن لعاب الأفاعى لا يعمل في الدم . إلا أن أحمد ابن المثنى زعم أن من الأفاعى جنساً لا يضُرُّ الفراريج من بين الأشياء ، ولا أدرى أيُّ الخبرين أبعد : أخبر ابن غالب في تفسيح الثوب ، أو خبر ابن المثنى في سلامة الفروج على الأفعى ؟

### ( ما تضيء عينه من الحيوان )

وزعم محمد بن الجهم أن العيون التي تضيء بالليل كأنها مصابيح ، عيون الأسد والنور ، والسنانير والأفاعى ، فبينما نحن عنده إذ دخل عليه بعض من يجلب الأفاعى من سجستان ، ويعمل الترياقات ، ويبيعها أحياء ومقتولة <sup>(٥)</sup> ، فقال له : حدّثهم بالذي حدّثتني به من عين الأفعى . قال : نعم ، كنت في منزلي نائماً في ظلمة . وقد كنت جمعت رعوس أفاع <sup>(٦)</sup>

(١) ط : « مذبوحة » وأثبت ما في س ، ه .

(٢) يكدم : يعض . ط : « يكدم » بدون واو قباها .

(٣) س ، ه : « في » .

(٤) مارمت ، بكسر اللراء من « رمت » : أي ما برحت .

(٥) في الأصل : « معمولة » .

(٦) في الأصل : « أفاعى » بإثبات الياء . وللوجه حذفها .

كُنْ عِنْدِي ، لِأَرْمِيَ بِهَا ، وَأَغْفَلْتُ تَحْتَ السَّرِيرِ رَأْساً وَاحِداً ، فَفَتَحْتُ عَيْنِي  
تَجَاهَ السَّرِيرِ فِي الظُّلْمَةِ فَرَأَيْتُ ضِيَاءً إِلَّا أَنَّهُ ضَبِيلٌ ضَعِيفٌ رَقِيقٌ ، فَقُلْتُ :  
عَيْنُ غُولٍ أَوْ بَعْضِ أَوْلَادِ السَّعَالَى ، وَذَهَبَتْ نَفْسِي فِي أَلْوَانٍ مِنَ الْمَعَانِي ،  
فَقُمْتُ فَقَدَحْتُ نَاراً ، وَأَخَذْتُ الْمَصْبَاحَ مَعِيَ ، وَمَضَيْتُ نَحْوَ السَّرِيرِ فَلَمْ أَجِدْ  
تَحْتَهُ إِلَّا رَأْسَ أَفْعَى<sup>(١)</sup> ، فَأَطْفَأْتُ السَّرَاجَ وَنَمْتُ<sup>(٢)</sup> وَفَتَحْتُ عَيْنِي ، فَإِذَا  
ذَلِكَ الضُّوءُ عَلَى حَالِهِ ، فَهَضَبْتُ فَصَنَعْتُ كَصَنِيعِي الْأَوَّلِ ، حَتَّى فَعَلْتُ ذَلِكَ  
مِرَاراً . قَالَ : فَقُلْتُ آخِرَ مَرَّةٍ : مَا أَرَى<sup>(٣)</sup> شَيْئاً إِلَّا رَأْسَ أَفْعَى ، فَلَوْ نَحَيْتُهُ !  
فَنَحَيْتُهُ وَأَطْفَأْتُ السَّرَاجَ ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى مَنَامِي ، فَفَتَحْتُ عَيْنِي فَلَمْ أَرِ الضُّوءَ ،  
فَعَلِمْتُ أَنَّهُ مِنْ عَيْنِ الْأَفْعَى ، ثُمَّ سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ ، فَإِذَا الْأَمْرُ حَقٌّ ، وَإِذَا هُوَ  
مَشْهُورٌ فِي أَهْلِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ .

### ( قُوَّةُ بَدَنِ الْحَيَّةِ وَعِلَّةُ ذَلِكَ )

قَالَ : وَرَبَّمَا قَبَضَ الرَّجُلُ الشَّدِيدُ الْأَسْرَ وَالْقُوَّةُ الْقَبْضَةُ عَلَى قِفَا الْحَيَّةِ  
فَتَلْتَفْتُ عَلَيْهِ فَتَصَرَّعُهُ . وَفِي صُغُودِهَا وَفِي سَعِيهَا خَلْفَ الرَّجُلِ الشَّدِيدِ  
الْحَضَرُ ، أَوْ عِنْدَ هَرَبِهَا حَتَّى تَفُوتَ وَتَسْبِقَ ، وَلَيْسَتْ بِذَاتِ قَوَائِمٍ ، وَإِنَّمَا

(١) الْأَفْعَى مُؤَنَّثَةٌ ، وَقَدْ اسْتَعْمَلْتُ اسْمًا وَوَصَفًا . فَنَ جَعَلَهَا وَصَفًا لَمْ يَصْرِفْ كَمَا  
لَا يَصْرِفُ أَحْمَرٌ ، وَمَنْ جَعَلَهَا اسْمًا صَرَفَ « كَمَا صَرَفَ أَرْنَبًا وَأَفْكَلا . الْمُخْصَصُ  
( ١٦ : ١٠٦ ) . هَذَا قَوْلُ الْفَارَسِيِّ . وَقَالَ غَيْرُهُ : « الْأَفْعَى تَقَعُ عَلَى الْمَذْكَرِ وَالْمُؤَنَّثِ » .  
الْمُخْصَصُ ( ١٦ : ١٠٥ ) .

(٢) س : « وَنَمْنَا » ، وَنَامَ هُنَا بِمَعْنَى رَقَدَ .

(٣) ط ، هـ : « لَا أَرَى » .

تنسابُ على بطنها . وفي تدافعِ أجزائها وتعاونها ، وفي حَرَكََةِ الكَلِّ<sup>(١)</sup> من ذاتِ نفسها ، دليلٌ على إفراطِ قُوَّةِ بدنِها .

ومن ذلك أنها لا تَمَضْغُ ، وإنما تبتلع « فربما كان في البَضْعَةِ أو في الشئِءِ الذى ابتلعته عَظْمٌ ، فتأتى جِذَمَ شَجَرَةٍ ، أو حَجَرًا شاخصا<sup>(٢)</sup> فتنطوى عليه انطواءً شديداً فيتحطم<sup>(٣)</sup> ذلك العَظْمُ حَتَّى يَصِيرَ رُفَاتًا .

ثمَّ يَقْطَعُ ذَنْبُهَا فيَنْبِت . ثمَّ تعيشُ في الماء ، إن صارت في الماء ، بعد أن كانتْ بِرِيَّةً ، وتعيشُ في البرِّ بَعْدَ أن طال مُكْثُهَا في الماء وصارتْ مائيَّةً .

قال : وإنما أثبتنا هذه القُوَّةَ ، واشتدَّتْ فِقْرُ ظَهْرِها هذه الشَّدَّةُ ؛ لكثرةِ أضلاعِها ، وذلك أن لها من الأضلاع عددَ أيامِ الشَّهرِ . وهى مع ذلك أطولُ الحيوانِ عمراً .

### (موت الحية)

ويزعمون أن الحَيَّةَ لا تَمُوتُ حَتْفَ أنفِها ، وإنما تَمُوتُ بِعَرَضٍ يَعْزِضُ لها . ومع ذلك فإنه ليس في الحيوانِ شئٌ هُوَ أَصْبَرُ عَلَى جُوعٍ من حَيَّةٍ . لأنَّها إن كانتْ شَابَّةً فَدَخَلَتْ في حائطِ صَخْرٍ ، فَتَنْبَعُوْا مَوْضِعَ مَدْخَلِها بَوْتِدٍ أو بِحَجَرٍ<sup>(٤)</sup> ، ثمَّ هَدَمُوا هذا الحائطَ ، وجَدُّوها هُنَاكَ مَنْطُويَةً

(١) أى كل أجزائها . ط ، هـ : « حركتها الكل » صوابه في س . والوادى التى قبل « فى » ساقطة من ط .

(٢) شاخصا : مرفعا . س : « حجر شاخص » صوابه في ط ، هـ .

(٣) س : « فيحطم » .

(٤) س : « حجر » .





وَتَتَضَاعَلُ<sup>(١)</sup> وَتَسْتَدَقُّ « حَتَّى كَانَهَا قَدِيدَةً<sup>(٢)</sup> أَوْ قِطْعَةً حَبْلٍ ، فَإِذَا عَضَّهَا  
الثَّعْبَانِ وَانْطَوَى عَلَيْهَا زَفَرَتْ ، وَأَخَذَتْ بِنَفْسِهَا وَزَخَرَتْ<sup>(٣)</sup> جَوْفُهَا فَانْتَفَخَ .  
فَتَفْعَلَ ذَلِكَ وَقَدْ انْطَوَى عَلَيْهَا ، فَتَقْطَعُهُ قِطْعَةً مِنْ شِدَّةِ الزَّخَرَةِ<sup>(٤)</sup> .  
وهذا من أعجب الأحاديث .

### ( القوَاتِلُ مِنَ الْحَيَاتِ )

وَالثَّعَابِينَ لِحَدَى الْقَوَاتِلِ . وَيَزْعُمُونَ أَنَّهَا ثَلَاثَةٌ أَجْناسٍ لَا يَنْجَعُ فِيهَا  
رَقِيَّةٌ وَلَا حِيلَةٌ ، كَالثَّعْبَانِ ، وَالْأَفْعَى ، وَالْهَنْدِيَّةِ<sup>(٥)</sup> . وَيَقَالُ : إِنَّ مَا سِوَاهَا  
فَإِنَّمَا يَقْتُلُ مَعَ مَا يُعِدُّهَا مِنَ الْفَزَعِ ؛ فَقَدْ يَفْعَلُ الْفَزَعُ وَحْدَهُ ؛ فَكَيْفَ إِذَا  
قَارَنَ سُمُّهَا<sup>(٦)</sup> ؟ [ وَسُمُّهَا ]<sup>(٧)</sup> إِنْ لَمْ يَقْتُلْ أَمْرَضَ .

= والنبط يجعلون الظاء طاء ، ألا تراهم يقولون « برطلة » وإنما هو ابن الظل .  
قلت : ذلك معناها التفصيل الاشتقاقى ، وكلمة « بر » بمعنى الابن بالنبطية ، فهو يريد  
أن النبط ألفوا الكلمة من لفظهم ومن كلام العرب . ومعنى الكلمة : المظلة الضيقة .  
انظر المعرب ص ١٤٧ ثم ص ٢٩ .

(١) تتضاعل : تنقبض وينضم بعضها إلى بعض . وهذه الكلمة ساقطة من س ، ومحرفة  
في ط « ه برسم » تنصال » .

(٢) قديدة : مصغر القدة بالكسر ، وهى واحدة القد ، كما فى القاموس . والقـد : سيور  
تقد من جلد فطير غدير مدبوغ ، فتشد بها الأقتاب والحامل ، كما فى اللسان .  
ط ، ه : « فريدة » صوابه فى س . وانظر أواخر مفاخرة الجوارى والغلمان  
من رسائل الجاحظ .

(٣) زخر الشيء : ملأه ، كما فى القاموس . س : « زخرت » ، وكتبت النقطة العليا  
بالمداد الأحمر ، والسفلى بالأسود ، ولم أستطع توجيهه : « زجرت » بالجيم .

(٤) ه : « الزجرة » وانظر التنبيه السابق . س : « الزخرة » مصحفة .

(٥) فى العبارة نقص وتشويه . وانظر ما نقل الديرى عن الجاحظ ( ١ : ٤١١ ) .

(٦) ط ، ه : « قارنه » .

(٧) ليست بالأصل . والكلام فى حاجة إليها .

## ( ما يفعل الفرع في المسموم )

ويزعمون أن رجلاً قال <sup>(١)</sup> تحت شجرة ، فتدلّت عليه حيةٌ منها  
فعضّت رأسه ، فانتبه محمراً الوجه ، فحكّ رأسه « وتلفّت » <sup>(٢)</sup> ، فلم ير شيئاً ،  
فوضع رأسه ينام ، وأقام مدةً طويلةً لا يرى بأساً ، فقال له <sup>(٣)</sup> بعضُ من  
كان رأى تدليها عليه ثمّ تقلصها عنه وهروبا منه <sup>(٤)</sup> : هل علمت من أيّ  
شيء كان انتباهك تحت الشجرة ؟ قال : لا والله ، ما علمت . قال : بلى ،  
فإنّ الحيةَ الفلانيّةَ نزلت عليك حتّى عضّت رأسك « فلما جلست [ فرعاً ]  
تقلّصت عنك وتراجعت . ففرع فرعاً وصرّخ صرخةً كانت فيها نفسه .  
وكانهم توهّموا أنّه لما فرع واضطرب ، وقد كان ذلك السّم مغموراً  
ممنوعاً فزال ما نعه ، وأوغله ذلك الفرع ، حين <sup>(٥)</sup> تفتّحت منافسه ، إلى  
موضع الصّميم والدماغ وعمق البدن ، فاحلّ موضع العقْد الذي انعقدت  
عليه أجزاؤه وأخلّطه .

وأنشد الأصمعيّ :

نَسِيَتْ نَهْشَهُ بِمَنْبِدٍ <sup>(٦)</sup>

(١) قال ، هنا ، بمعنى نام في القائلة ، وهي نصف النهار .

(٢) ط ، هـ : « وولتفت » ، وأثبت ما في س والسيرى .

(٣) بدل هذه العبارة في س : « فلما كان ذلك قال » .

(٤) « وهروبا منه » ساقط من س . وفي ط ، هـ : « من كان رأى حاله » الخ .

(٥) في الأصل : « حتّى » .

(٦) ط ، هـ : « ونكته » .



أفنى ؟ فقال بعضهم : إذا عَصَّتِ الأفعى فأدركت قبل أن تنقلب <sup>(١)</sup> نفع الترياق ، وإن لم تُدرك لم ينفع ؛ لأنهم إن قتلوا من الترياق قتله السم ، وإن كثروا منه قتله الفاضل عن مقدار الحاجة .

قلت : فإن ابن العجوز <sup>(٢)</sup> خبرني بأنها <sup>(٣)</sup> ليست تنقلب لِمَجِّ السم وإفراغهِ ، ولكن الأفعى في نابها عَصَل <sup>(٤)</sup> ، وإذا عَصَّتِ استفرغت إدخال النَّابِ كُلَّهُ ، وهو أَحَجَنُ أَعْصَلَ <sup>(٥)</sup> ، فيه مشابهة من الشَّصِّ <sup>(٦)</sup> ، فإذا انقلبت كان أسهلَ لنزعه وسلته . فأما لصبِّ السم وإفراغه فلا . قَالَ : والله لعلة ما قلت ! [ قلت ] : مَا أَسْرَعَ ما شككت ! !

ثم قلت له : فكأنما <sup>(٧)</sup> وضعوا الترياق واجتلبوا الأفعى وضنوا <sup>(٨)</sup> وعزموا على أنه لا ينفع إلا بدرك الأفعى قبل أن تنقلب ! وكيف صار الترياق بعد الانقلاب لا يكون إلا في إحدى منزلتين : إما أن يقتل بكثرته ، وإما ألا ينفع بقلته ! فكأن الترياق ليس نفعه إلا [ في <sup>(٩)</sup> ] المنزلة الوسطى التي لا تكون فاضلة ولا ناقصة ! ولكني أقول لك : كيف يكون نفعه إذا كان الترياق جيداً قوياً ، وعوجل فسق المقدار الأوسط ، قبل أن يبلغ الصميم ، ويغوص في العمق <sup>(١٠)</sup> . وعلى هذا وضع ، وهم كانوا أحزم

(١) س : « قلب » .

(٢) في ص ٤١٩ : « ابن أبي العجوز » . وهو أحد الخوئين .

(٣) س : « بأن الأفعى » .

(٤) العصل ، بالصاد المهملة والتحريك : الاعوجاج . س ، هـ : « عصل » مصحف .

(٥) س : « أعصل » ، بالصاد المهملة كما في هـ ، ط .

(٦) هذه العبارة ليست في هـ ، وفي ط ، س : « النقص » . ووجه ما أثبت .

(٧) في الأصل : « فإنما » .

(٨) كذا .

(٩) ليست بالأصل .

(١٠) أى عمق البدن ، كما مر في ١٢٢ س ١١ . وفي الأصل : « العميق » .

وَأَحَذَقَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّفُوا شَيْئًا ، ومقداره من النَّفْعِ لا يُوصَلُ إلى معرفته .

ويقول بعضُ الحذاق : إِنَّ سَقَى التَّرْيَاقِ بَعْدَ النِّهَشِ بِسَاعَةٍ أَوْ سَاعَتَيْنِ مَوْتُ الْمَنُوشِ .

ثم قلتُ له : وما عَلَّمَك ؟ وبأى سببٍ أيقنتَ <sup>(١)</sup> أنها تَمُجُّ من جوفِ نابها شيئاً ؟ ! ولعله ليس هنالك إلاَّ مَخَالِطَةُ جَوْهَرٍ ذَلِكَ النَّابِ لِدَمِ الْإِنْسَانِ ! أَوَلَسْنَا قَدْ نَجِدُ مِنَ الْإِنْسَانِ مَنْ يَعْصُ صَاحِبَهُ فَيَقْتُلُهُ ، وَيَكُونُ مَعْرُوفًا بِذَلِكَ ؟ ! وقد تَقَرَّرُونَ أَنَّ الْهِنْدِيَّةَ وَالثَّعْبَانَ يَقْتُلَانِ ، إِمَّا بِمَخَالِطَةِ <sup>(٢)</sup> الرِّيقِ وَالدَّمِ ، وَإِمَّا بِمَخَالِطَةِ اللِّسَنِ وَالدَّمِ ، من غير أن تَدْعُوا أَنَّ أَسْنَانَهُمَا مَجْوَّفَةٌ <sup>(٣)</sup> . وقد أَجْمَعَ جَمِيعُ أَصْحَابِ التَّجَارِبِ أَنَّ الْحَيَّةَ تَضْرِبُ بِقَصَبَةٍ <sup>(٤)</sup> فَتَكُونُ أَشَدَّ عَلَيْهَا مِنَ الْعَصَا . وقد يَضْرِبُ الرَّجُلُ عَلَى جَسَدِهِ بِقَضْبَانِ اللَّوْزِ وَقَضْبَانِ الرُّمَّانِ ، وَقَضْبَانِ اللَّوْزِ أَعْلَكَ <sup>(٥)</sup> وَأَلْدَنَ ، وَلَكِنَّهَا أَسْلَمُ <sup>(٦)</sup> ، وَقَضْبَانِ الرُّمَّانِ أَخْفُ وَأَسْخَفُ وَلَكِنَّا أَعْطَبَ .

وقد يَطَأُ الْإِنْسَانُ عَلَى عَظْمٍ حَيَّةٍ أَوْ إِبْرَةٍ عَقْرَبٍ « وَهْمَا مَيْتَتَانِ ، فَيَلْقَى الْجَهْدَ . وقد يُخْرِجُ السَّكِّينُ مِنَ الْكَبِيرِ وَهُوَ مُحْمَى ، فَيُغْمَسُ فِي اللَّبَنِ

(١) كذا في س . وفي ط ، هـ : « علمت » .

(٢) ط ، هـ : « لمخالطة » .

(٣) س : « جوف » : جمع جوفاء .

(٤) س : « بمصية » : تصغير عصا ، صوابه في ط ، هـ .

(٥) أعلك بمعنى أشد وأمتن . ويقال : طعام عالكَ وعلكَ — ككتف : متين الممضغة .

وألدن . من اللدونة ، وهى اللين . واللدن : اللين .

(٦) ط ، س : « اسم » صوابها في هـ .

فَتِي خَالِطَ الدَّمِ قَامَ مَقَامَ السَّمِّ ، من غير أن يكون مَجَّ في الدَّمِ رطوبةً غليظةً أو رقيقةً .

وبعض الحجارة يُكْوَى بها - وهو رِخْوٌ - الأَوْرَامُ حتى يَفْرُقَهَا وَيُخَمِّصَهَا <sup>(١)</sup> من غير أن يكونَ نَفَذَ إِلَيْهَا شَيْءٌ مِنْهُ ، وليس إِلَّا المَلَقَاةُ .  
قلت : <sup>(٢)</sup> ولعلَّ قَوَى قد انفصلت من أنيابِ الأفاعي إلى دماء النَّاسِ .  
وقد رَوَوْا أَنَّهُ قِيلَ لَجَالِينُوسَ : إِنَّ هَاهُنَا رَجُلًا يَرِقُ الْعُقَارِبَ فَمُوتُ ، أو  
تَنْحَلُ فَلَا تَعْمَلُ ، فَرَأَاهُ يَرِقُهَا وَيَتَفَلَّعُ عَلَيْهَا « فَدَعَا بِهِ بِحَضْرَةِ جَمَاعَةٍ وَهُوَ عَلَى  
الرَّيْقِ ، وَدَعَا بِغَدَائِهِ فَتَعَدَّى مَعَهُ ، ثُمَّ دَعَى لَهُ بِالْعُقَارِبِ فَتَفَلَّعَ عَلَيْهَا ، فَلَمْ  
يَجِدْ لِعَابَهُ يَصْنَعُ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَكُونَ رِيقًا . وَهُوَ حَدِيثٌ يَدُورُ بَيْنَ أَهْلِ  
الطَّبِّ « وَأَنْتَ طَيِّبٌ . فَلَمْ أَرَهُ فِي يَوْمِهِ ذَلِكَ قَالَ شَيْئًا إِلَّا مِنْ طَرِيقِ  
الْحَزَرِ وَالْحَدَسِ ، وَالبَلَاغَاتِ .

### ( السُّمُومُ )

وَسُمُومُ الْحَيَاتِ ذَوَاتِ الْأَنْيَابِ ، وَالْعُقَارِبِ ذَوَاتِ الْإِبْرِ ، إِنَّمَا تَعْمَلُ  
فِي الدَّمِ بِالْإِجْمَادِ وَالْإِذَابَةِ . وَكَذَا سُمُومُ ذَوَاتِ الشَّعْرِ وَالْقُرُونِ وَالْجُمِّ ،  
إِنَّمَا تَعْمَلُ فِي الْعَصَبِ ، وَمِنْهَا مَا يَعْمَلُ فِي الدَّمِ .

(١) ط : « حتى يفرقها » س : « حتى يفرقها » صوابه في ه . ويخمسها :  
يحملها تنحصر أى تنقبض وتنضال وتسكن . ه : « يخمسها » بالخاء المعجمة ،  
وهي صحيحة بمعنى الأول .

(٢) في الأصل : « فإن قلت » . وصوابه حذف « فإن » . وقراءة الفعل بضمير  
المتكلم ، وهو الجاحظ . وانظر انتصار الجاحظ للقول بالقوى الفاصلة من بعض  
الاشياء ، في الجزء الثاني من الحيوان ص ١٣٥ - ١٤٠ .

## ( شرب المسموم للابن )

وحدثني بعض أصحابنا قال : كنتُ إمّا برماي<sup>(١)</sup> وإمّا بباري<sup>(٢)</sup> وهما بلاد حياتٍ وأفاح<sup>(٣)</sup> ، ونحن في عرسٍ ، إذ أدخلوا الحيدرَ العروسَ<sup>(٤)</sup> فأبطئوا عليه شيئاً ، فأغنى وتلوتُ على ذراعه أفعى<sup>(٥)</sup> ، فذهبَ ينفضها وحجّمتُ على ذراعه - وقد يقال ذلك إذا كانت العضة في صورةٍ شرطٍ الحجام - فصَرَخَ وجأءوا يتعادون<sup>(٦)</sup> فوجدوها فقتلوها ، وسقّوه في تلك الليلةِ لبنَ أربعينَ عزراً ، كُلّما استقرَّ في جِفه قَعْبٌ من ذلك اللبنِ قاءٌ فيخرجُ منه كأمثالِ طلع<sup>(٧)</sup> الفُحالِ الأبيض<sup>(٨)</sup> ، فيه طرائق من دسمٍ تعلقه خضرةٌ ، حتى استوفى ذلك اللبنُ كله . قال : فعندها قال شيخٌ من أهل القرية : إن كنتم أخرَجْتُم ذلك السمَّ فقد أخرَجْتُم نفسَهُ معه ! قال : فغبراً أياماً بأسولٍ حالٍ ثمّ مات . قال : وكنتُ أعجَبُ من سرعة استحالة اللبنِ ومُجوده .

(١) هـ : « برمار » .

(٢) س : « بباري » .

(٣) في الأصل : « أفاحي » بإثبات الياء ، وصوابه ما أثبت .

(٤) العروس ، يقال للرجل والمرأة ، والمراد هنا : الرجل .

(٥) انظر ما كتبت عن هذا اللفظ في ص ١١٧ .

(٦) يتعادون : يتبارون في العدو .

(٧) هذه الكلمة ليست في الأصل ، وهي ضرورية . والطلع : نور النخل مادام

في الكافور ، أي الغلاف .

(٨) الفُحال ، كرمّان : الذكر من النخل . والأبيض صفة للطلع لا للفُحال .

### ( ا كتفاء الحيات والضباب بالنسيم )

قلتُ : والحيَّاتُ البرِّيَّةُ إذا هَرِمَتِ نَسَمَتِ النَّسِيمَ فَاكْتَفَتْ بِهِ <sup>(١)</sup> ،  
وكذلك الضُّبابُ إذا هَرِمَتِ .

قال : ولا يكون ذلك للمائيَّة من حيَّاتِ الغياضِ <sup>(٢)</sup> وشُطوطِ  
الأنهار ، ومناقعِ <sup>(٣)</sup> المياه .

### ( الحيات المائية )

قال : والحيَّاتُ المائيَّةُ ، إمَّا أن تكون برِّيَّةً أو جبليَّةً ، فاكتسختها  
السُّبُولُ واحتملتُها في كثيرٍ من أصنافِ الحشراتِ والدَّوابِّ والسَّباعِ ،  
فتوالدت تلك الحياتُ وتلاقحتْ هناك . وإمَّا أن تكون كانت أمهاتُها  
وآبائُها في حيَّاتِ الماء . وكيف دارت الأمورُ فإنَّ الحياتِ في أصلِ الطَّبعِ  
مائيَّة . وهى تعيشُ في النَّدى ، وفي الماء ، وفي البرِّ وفي البحر ، وفي الصَّخرِ  
والرَّمْلِ . ومن طباعها أن ترقَّ وتلطف على شكلين : أحدهما لطول العمر ،  
والآخر للبُعد من الرِّيف . وعلى حسب ذلك تعظم في المياه والغياض :

---

(١) س : « واكتفت بذلك » .

(٢) الغياض : جمع غيضة بالفتح ، وهى مجتمع الصخر في مغيض ماء . ه : « الغيات »  
محرف .

(٣) مناقع ، بالقاف : جمع منقع بالفتح ، وهو الموضع يستنقع فيه الماء . ط :  
« منافع » ، صوابه في س ، ه .

## ( ما أشبه الحيات من السمك )

قال : وكلُّ شيء في الماء مما يعيش السمك ، مما أشبه الحيات  
كالمارماهى<sup>(١)</sup> والأنكليس<sup>(٢)</sup> فإنها<sup>(٣)</sup> كلها على ضربين : فأحدهما من  
أولاد الحيات ، انقلبت بما عرض لها من طباع البلد والماء . والآخر من نسل  
سمك وحيات تلاقحت<sup>(٤)</sup> ؛ إذ<sup>(٥)</sup> كان [ طِبَاعُ<sup>(٦)</sup> ] السمك قريباً من ٤٥  
طباع تلك الحيات . والحياتُ في الأصل مائيّة ، وكلّها كانت حيات .

---

(١) المارماهى : ضرب من السمك الشبيه بالحيات ، وليس بحيات . واللفظ فارسي  
وضبطت راؤه بالكسر في معجم Palmer . ط ، هـ : « كالماء ماهى »  
صوابه في س .

(٢) الأنكليس : ضرب من حيات الماء . وقد جعل الجاحظ هذا وما قبله نوعين .  
وقد وجدت الديرى يقول إنهما نوع واحد . انظر رسمى ( الأنكليس ، والجري )  
فيه . وقال داود في التذكرة : « مارماهى هو حيات المساء المعروف عندنا  
بالأنكليس ، سمك شبيه بالحيات » . ولفظه يوناني معرب كما في معجم المملوك ١١ .  
وضبطه صاحب القاموس ، وكذا الديرى ، بفتح الهمة واللام وبكسرها ، ويقال  
فيه أيضاً « أنقليس » بالقاف .

(٣) في الأصل : « وإنها » .

(٤) ط ، هـ : « وتلاقحت » والصواب حذف الواو كما في س .

(٥) س : « إذا » ، صوابه ما أثبت من ط ، هـ .

(٦) ليست بالأصل . وبها يلتزم الكلام .

### (قراءة بعض النبات لبعض)

وقد زعم أهل البصرة أن مُشَان<sup>(١)</sup> الكوفة قريب<sup>(٢)</sup> من بُرْنَى<sup>(٣)</sup> البصرة ، قلبته البلدة .

ويزعم أهل الحجاز أن نخل النارجيل<sup>(٤)</sup> هو نخل المقل<sup>(٥)</sup> ، وليكنه انقلب لطباع البلدة . وأشبه ذلك كثير .

ويزعمون أن الفيلة مائية الطباع بالجاموسية والخنزيرية التي فيها .

---

(١) المشان كغراب وكتاب : نوع من أطيب الرطب ، واللفظ معرب « موشان » الفارسية معناه أم الجرذان ، وقد ترجم الفرس هذا اللفظ العربي إلى لغتهم . وكلمة « موش » معناها الفأر بالفارسية . والألف والنون علامة الجمع عندهم . وأم جرذان : نوع من التمر كبار ، قيل إن نخله يجتمع تحته الفأر ، وروى صاحب اللسان عن أبي حنيفة أن أم جرذان آخر نخلة بالحجاز إدراكا « قال الساجع : » إذا طلعت الخراثان ، أكلت أم جرذان « . وروى عنه — أى عن أبي حنيفة — صاحب المخصص أنها نخلة تحبها الجرذان فتصمدها فتأكل منها .

(٢) في الأصل : « قريبا » .

(٣) البرنى ، بالضم وبالفتح : ضرب من التمر ، جاء في المخصص ( ١١ : ١٣٣ ) : « وأم جرذان بالمدينة مثل البرنى بالبصرة ، تلتقط أبدا حتى لا يبقى عليها شيء » وهو معرب من « برنيك » الفارسية ، « بر » بمعنى حل ، و « نيك » بمعنى جيد ، فعناه الحمل الجيد . وهذه الكلمة محرفة في الأصل ، فهي في ط « ه : مسان » وفي س : « قرنبا » والوجه فيه ما ذكرت ، انظر التنبيه الأول من هذه الصفحة .

(٤) النارجيل : الجوز الهندي ، تعريب « نارجيل » . وضبط بفتح الراء ضبط قلم

في القاموس واللسان . ط : « النارجيل » ، صوابه في س ، ه .

(٥) المقل ، بالضم : حل شجرة الدوم .

## (الذئب والنسيم)

قال : والذئبُ أيضاً ، وإن كان عندهم <sup>(١)</sup> مما لا يجتزى بالنسيم <sup>(٢)</sup> ، فإنه من الحيوان الذى يفتح فاه للنسيم ؛ لبرد جوفه من اللهيب <sup>(٣)</sup> الذى يعترى السباع ؛ ولأن ذلك يمد قوته ، ويقطع عنه برودته <sup>(٤)</sup> ولطافته الرقيق . فإن كان ذا سحر <sup>(٥)</sup> [ إذا عدا <sup>(٦)</sup> ] احتشى ريحاً .

## (اختلاف صبر الذئب والأسد على الطعام)

وربما جاع الأسد ففعل فعل الذئب ، فالأسد والذئب يختلفان فى الجوع والصبر ؛ لأن الأسد شديد التهم ، رغب حريص شره ؛ وهو مع ذلك يحتمل أن يبقى أياماً لا يأكل شيئاً . والذئب وإن كان أقفر <sup>(٧)</sup> منزلاً ، وأقل خصباً ، وأكثر كدًا <sup>(٨)</sup> وإخفاقاً ، فلا بد له من شئ يلقيه فى جوفه . فإذا لم يجد شيئاً استعار النسيم .

(١) ط ، س : « عنده » صوابه فى ه .

(٢) فى الأصل : « الهرم منها لا يجتزى بالنسيم » ، وكلمة « الهرم » مقحمة . وكلمة « منها » محرفة عما أثبت .

(٣) س : « الهم » .

(٤) س : « ببرده » .

(٥) السحر ، بالضم : الجوع والحرق . وفى الأصل : « سحر » . ولا وجه له .

(٦) الزيادة من س ، ه .

(٧) كذا على الصواب فى ط ، ه ومباهج الفكر والدميرى وثمار القلوب ٣١٠ وفى س : « أقعد » ولا وجه له .

(٨) كذا فى الأصل ومباهج الفكر والدميرى . والكد : الشدة فى العمل ، والإلحاح فى محاولة الشيء . وربما كانت هذه الكلمة : « إكداء » ، والإكداء بمعنى الإخفاق .

## ( حيلة بعض الجائعين )

وَالنَّاسُ إِذَا جَاعُوا وَاشْتَدَّ جَوْعُهُمْ شَدُّوا عَلَى بَطُونِهِمُ الْعِثَامُ . فَإِنْ اسْتَقَلُّوا ، وَإِلَّا شَدُّوا الْحَجَرَ <sup>(١)</sup> .

## ( شعر في الذئب )

وَأَنْشَدَ <sup>(٢)</sup> :

كَسَيْدِ الْغَضَى الْعَادِي أَضْلَ جِرَاءَهُ <sup>(٣)</sup>

عَلَى شَرَفٍ مُسْتَقْبِلَ الرِّيحِ يَلْحَبُ <sup>(٤)</sup>

كَأَنَّهُ يَجْمَعُ اسْتِدْخَالَ الرِّيحِ وَالنَّسِيمَ ، فَلَعَلَّهُ أَنْ يَجِدَ رِيحَ جِرَائِهِ .

وَقَالَ الرَّاجِزُ <sup>(٥)</sup> :

يَسْتَنْخِرُ <sup>(٦)</sup> الرِّيحَ إِذَا لَمْ يَسْمَعْ بِمِثْلِ مِقْرَاعِ الصَّفَا الْمَوْقِعِ <sup>(٧)</sup>

(١) روى ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ٣١٨ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما دعا على مضر بقوله : « اللهم اشد وطأتك على مضر . . . » الخ - نال الجذب رسول الله وأصحابه حتى شد هو وشد المسلمون على بطونهم الحجارة من الجوع . ط : « الحجز » صوابه في س ، ه .

(٢) ط ، : « وأنشدوا » ،

(٣) السيد : الذئب ، والغضى : الخمر بالتحريك ، وهو ما وارك من شجر وغيره ، وذئب الغضى أخنث الذئب . العادى ، بالذال : الذى يعدو . أضل جرائه : فقد أولاده ، والجراء ، بالكسر : جمع جرو . ط ، ه : « أصل » ، ط ، ه ، س : « جراءة » ، وذائك تصحيفان .

(٤) الشرف : ما علا من الأرض ، وإنما يستقبل الريح لينشم ريح أولاده . يلحِب : يسرع .

(٥) هو أبو الرد بينى العكلى ، كما أسلفت في الجزء الأول ص ٣٤ نقلا عن البيان .

(٦) ط : « يستنخر » صوابه في س ، ه والبيان ( ١ : ٨٢ ) . وفي اللسان : ( نخر ، قرع ) « يستنخر » وقال : « استنخرها : قابلهما بأنفه ليكون أروح لنفسه » .

(٧) المقراع : الفأس يكسر بها الصخر . الموقع : المحدد . وقع الحديدية : حددها .

## (شَمَّ الظَّليم)

والظَّليم يكون على بيضه فيشَمُّ ريح القانص من أَكْثَر من غَلَوَةٍ ،  
 ويبعدُ عَنْ رِئَالِهِ <sup>(١)</sup> فيشَمُّ رِيحَهَا من مكان بعيد .  
 وأنشدني يحيى بن نَجِيم <sup>(٢)</sup> بن زَمْعَة قال :  
 أَشَمُّ من هَيَّيْ وأَهْدَى من بَجَلٍ <sup>(٣)</sup>  
 وأنشدني عمرو بن كِرْكِرَة <sup>(٤)</sup> :  
 مَا زَالَ يَشْتَمُّ اشْتِمَامَ الهَيَّيْ  
 قال وَإِنَّمَا جعله ذئبَ غَضَى لأنهم يقولون : ذئبُ الحمر <sup>(٥)</sup> أخبث .  
 ويقولون : شَيْطَانُ الحَاظَةِ <sup>(٦)</sup> . يريدون الحَيَّةَ .

## (بعض ضروب الحَيَّات)

وكلُّ حَيَّةٍ خفيفةِ الجسمِ فهي شَيْطَانٌ <sup>(٧)</sup> . والثَّقَالُ لا تنشط من  
 أرضٍ إلى أرضٍ ، وتثقلُ عَمَّا تَبْلُغُهُ المستطيلاتُ الخِفَافُ . وقال طَرْفَة :  
 تَلَاعِبُ مَشْنَى حَضْرَمِيِّ كَأَنَّهُ تَعَمُّجُ شَيْطَانٍ بَذَى خِرُوعٍ قَفَرٍ <sup>(٨)</sup>

- 
- (١) الرِّئَالُ : جمع رَأَل ، وهو فرخ النعام .  
 (٢) في الأصل : « لَيم » باللام ، وهو تحريف . وقد سبقت ترجمة يحيى بن نعيم  
 في ( ٢ : ٣٥١ ) .  
 (٣) الهَيَّيْ ، بالفتح : ذكر النعام . وأهدى : من الهداية .  
 (٤) سبقت ترجمته في ( ٣ : ٥٢٥ ) . ط : « عمر » صوابه في س ، هـ .  
 (٥) الحمر ، بالتحريك : ما وارك من شجر وغيره .  
 (٦) الحَاظَةُ ، بالفتح : واحدة الحَاظ ، وهو شجر التين الجبلى ، والحَيَّات تألفه .  
 (٧) قال الجاحظ في ( ١ : ١٥٣ ) : « ويسمون الحية إذا كانت داهية منها شيطانا » .  
 (٨) ط : « خضري » ، صوابه في س ، هـ . تعمج : تلو . ط ، هـ : « تقمح »  
 صوابه في س . وقد سبق البيت في ( ١ : ١٥٣ ) وسيماد في ( ٦ : ١٩٢ ) .

الْكِرْمَانِي عَنْ أَنْس - وَلَا أَدْرِي مَنْ أَنْسُ هَذَا - فِي صِفَةِ نَاقَةٍ :

شَنَاجِيَّةٌ فِيهَا شَنَاحٌ كَأَنَّهَا

حَبَابٌ بِكَفِّ الشَّأْوِ مِنْ أَسْطَعٍ حَشْرِ<sup>(١)</sup>

وَالْحَبَابُ : الْحَيَّةُ الذَّكَرُ .

(بعض المضاف إلى النبات من الحيوان)

وَكَمَا يَقُولُونَ : ذُئِبُ الْحَمْرِ ، يَقُولُونَ : أَرْنَبُ الْخَلَّةِ<sup>(٢)</sup> ، وَتَيْسُ الرَّبْلِ<sup>(٣)</sup>

٤٦ وَضَبُ السَّحَا<sup>(٤)</sup> . وَالسَّحَا<sup>(٤)</sup> بَقْلَةٌ تَحْسُنُ حَالَهُ<sup>(٥)</sup> مَنْ أَكَلَهَا .

وَكَذَلِكَ يَقُولُونَ : « مَا هُوَ إِلَّا قَنْفُذٌ بُرْقَةٌ<sup>(٦)</sup> » لِأَنَّهُ يَكُونُ أَخْبَثَ لَهُ :

وَذَلِكَ كُلُّهُ عَلَى قَدَرِ طِبَاعِ الْبُلْدَانِ وَالْأَغْذِيَةِ الْعَامِلَةِ فِي طِبَاعِ الْحَيَوَانِ .

---

(١) الشناحية : الطويلة الجسيمة . والشأو : الزمام . ط : « الشاء » صوابه في س ، هـ والجزء الأول ص ١٥٣ . والأسطع : العنق الطويل . والحشر : المستوى .

(٢) الخلّة ، بالضم : شجرة شاكة ، وفي ثمار القلوب ٣٣٠ : « الخلّة » بالخاء المهملة وهي بالكسر : شجرة شاكة أيضا .

(٣) المراد بالتيّس هنا : الذكر من الظباء أو الوعول . والرّبل بالفتح : ضروب من الشجر إذا برد الزمان عليها وأدبر الصيف تفطرت بورق أخضر من غير مطر . وفي الأصل : « الرمل » ، وهو تحريف صوابه في ( ٦ : ١٢٣ ) ، وجاء في شعر امرئ القيس :

وراح كتيّس الرّبل ينفض رأسه أذاة به من صائلك متحلب

(٤) السحا ، بالفتح : جمع سحاة ، وهي شجرة شاكة . س : « السحاء » وهي بالكسر نبت شائك يرعاه النحل ، عسله غاية .

(٥) س : « حالة » .

(٦) البرقة ، بالضم : غلظ من الأرض فيه حجارة ورمل وطين مختلطة .



كَأَنَّ نَطَاةَ خَيْبَرَ زَوَّدَتْهُ بَكُورَ الْوَرْدِ رِيثَةَ الْقُلُوعِ (١)  
وقال أوس بن حجر :

كَأَنَّ بِهِ إِذْ جَنَّتُهُ (٢) خَيْبَرِيَّةٌ يَعُودُ عَلَيْهِ وَرُدُّهَا وَقَلَاهَا (٣)  
وقال آخر :

كَأَنَّ حَمَى خَيْبَرَ تَمْلُهُ (٤)

وكذلك القول في وادي جحفة (٥) ، وفي مَهْيَعَة (٦) ، وفي أصول النخل  
حيث كان .

وقال عبد الله بن همام السَّلُولِيُّ في دماميل الجزيرة :

(١) نطاة ، بالنون المفتوحة : عين ماء بقرية من قرى خيبر . وفي الأصل : « قطاة »  
صوابه في معجم البلدان حيث روى البيت « وديوان الشياخ ٥٧ . زودته : أعطته  
زادا . بكور الورد : يعنى حمى تباكر بوردها جسمه . ريثة القلوع : بطيئة  
الانكشاف والبرد . في الأصل : « رنقه » مكان « ريثه » ، صوابه في المعجم  
والديوان . وقبل البيت :

ألا تلك ابنة الأموى قالت أراك اليوم جسمك كالرجيع

والرجيع : الحبل الذى نقض ثم قتل مرة ثانية .

(٢) في الأصل : « كأن به أدحية » . وفي ديوان أوس ٢٤ : « أرخية » صوابها  
ما أثبت من معجم البلدان ( نطاة ) وثمار القلوب ٤٣٦ . وعنى بالخيرية الحمى .

(٣) الورد ، بكسر الواو : اسم من أسماء الحمى ، أو هو يوم ورودها . « قلاها » :  
كذا جاءت بالأصل : وفي المعجم والثمار : « ملاها » . والملال ، بالضم :  
حرارة الحمى ، أو التقلب من المرض . وما في الأصل هو الموافق ما في الديوان .

(٤) تمل : كأنها تفضع في الملة ، وهى بالضم : الرماد الحار .

(٥) الجحفة بين مكة والمدينة . روى أنه لما قدم الرسول المدينة استوبأها « وحم  
أصحابه فقال : « اللهم حبيب إلينا المدينة كما حبيت إلينا مكة ، أو أشد ، وصاحبها ،  
وبارك لنا في صاعها ومدنها » وانقل حماها إلى الجحفة » .

(٦) مهيعة : موضع قريب من الجحفة .



(قدوم عبد الله بن الحسن على عمر بن عبد العزيز وهشام)

قال : ولما قَدِمَ عَبْدُ اللَّهِ بنَ الْحَسَنِ بنَ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، عَلَى عُمَرَ بنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي حَوَائِجَ لَهُ ، فَلَمَّا رَأَى مَكَانَهُ بِالشَّامِ ، وَعَرَفَ سِنِّهَ وَسَمْتَهُ وَعَقْلَهُ ، وَلِسَانَهُ ، وَصَلَاتَهُ وَصِيَامَهُ ، فَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَلَّا يَرَاهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَقَالَ لَهُ : إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ طَوَاعِينَ الشَّامِ ؛ فَإِنَّكَ لَنْ تُغْنِمَ أَهْلَكَ أَكْثَرَ مِنْكَ <sup>(١)</sup> ، فَالْحَقْ بِهِمْ ؛ فَإِنَّ حَوَائِجَكَ سَتَسْبِقُكَ إِلَيْهِمْ <sup>(٢)</sup> . ثُمَّ قَدِمَ عَلَى هِشَامٍ ، فَكَرِهَ عَبْدُ اللَّهِ أَنْ يَدْخُلَ مَنْزِلًا لَهُ <sup>(٣)</sup> حَتَّى يَأْتِيَهُ فِي ثِيَابِ سَفَرِهِ ؛ مَخَافَةَ سُوءِ ظَنِّهِ <sup>(٤)</sup> . فَلَمَّا أَعْلَمَهُ الْحَاجِبُ مَكَانَهُ ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ وَعَايَنَهُ ، كَرِهَ أَنْ يَقِيمَ بِهَا طَرْفَةَ عَيْنٍ . قَالَ : اذْكُرْ حَوَائِجَكَ . قَالَ : أَحْطُ رَحْلِي وَأَضَعُ ثِيَابَ سَفَرِي . وَأَتَذْكُرُ حَوَائِجِي . قَالَ : إِنَّكَ لَنْ تَجِدَنِي فِي حَالٍ خَيْرًا لَكَ مِنْ السَّاعَةِ ! يَرِيدُ أَنْ لِلْقُلُوبِ أَرْقُ مَا تَكُونُ إِذَا تَلَاقَتِ الْعَيُونُ عَنْ بُعْدِ عَهْدٍ . وَلَيْسَ ذَلِكَ أَرَادَ <sup>(٥)</sup> .

(١) فِي تِمَارِ الْقُلُوبِ : « وَإِنَّكَ لَمْ يَغْنَمْ أَهْلَكَ خَيْرًا مِنْكَ » . وَسَبَقَ مِثْلَ هَذِهِ الرِّوَايَةِ فِي ( ٣ : ٤٧٢ ) .

(٢) تِمَارِ الْقُلُوبِ : « فَإِنْ حَوَائِجُكَ سَتَسْبِقُكَ » ، وَفِي الْحَيَوَانَ ( ٣ : ٤٧٢ ) : « فَإِنْ حَوَائِجُهُمْ سَتَسْبِقُكَ » .

(٣) ط ، هـ : « مَنْزِلُهُ » .

(٤) أَيْ لَتَلَا يَظُنُّ بِهِ الْعِدَاءُ . وَفِي ط ، هـ : « شَرِطَتُهُ » ، وَمَا أَثْبَتَ مِنْ سِوَا وَجْهِ .

(٥) انْظُرْ لِتَوْضِيحِ هَذَا مَا سَبَقَ فِي ( ٣ : ٤٧٢ س ١٣ ، ١٤ ) .

## (طحال البحرين)

وانعاماً تنشد :

مَنْ يَسْكُنُ الْبَحْرَيْنِ يَعْظُمُ طِحَالُهُ وَيَغْبِطُ بِمَا فِي بَطْنِهِ وَهُوَ جَائِعٌ<sup>(١)</sup>  
ونظر ذُكَيْنُ الرَّاجِزُ ، إلى أَبِي الْعَبَّاسِ<sup>(٢)</sup> مُحَمَّدِ بْنِ ذُوَيْبِ الْفُقَيْمِيِّ الرَّاجِزِ ،  
وهو غُلَيْمٌ مَصْفَرٌّ مَطْحُولٌ<sup>(٣)</sup> ، وهو يَمْتَحُ عَلَى بَكْرَةٍ<sup>(٤)</sup> ويرتجز . فقال : من  
هذا الْعُمَانِيُّ<sup>(٥)</sup> ؟ فلزمته هذه النسبة .

## (جرب الزنج)

وحدثني يوسف الزنجي أنه لا بدَّ لكلِّ مَنْ قَدِمَ مِنْ شِقِّ الْعِرَاقِ إِلَى بِلَادِ  
الزَّنجِ إِلَّا يَزَالُ جَرِبًا ، مَا أَقَامَ بِهَا . وَإِنْ أَكْثَرَ مِنْ شُرْبِ نَبِيذِهَا ، أَوْ شَرَابِ  
النَّارَجِيلِ ، طَمَسَ الْحَمَارُ عَلَى عَقْلِهِ ، حَتَّى لَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَعْتُوهِ إِلَّا  
الشَّيْءُ الْيَسِيرُ .

(١) انظر أمثال الميداني ( ١ : ٢٥٥ ) في قولهم : « الذئب مغبوط بما في بطنه » . الشعر  
والشعراء ٧٣١ .

(٢) ط ، س : « ابن العباس » صوابه في س ، وقد تقدمت ترجمته في ( ٢ : ١٦٦ ) : وفي الأغاني ( ١٧ : ٨١ ) : « ويكنى أبا عبد الله » ، فهما كنيستان له .  
ومثل ذلك في العرب كثير . وفي المعارف ٢٥٩ فصل خاص بمن له كنيستان أو ثلاث .

(٣) المطحول : الذي يشكو مرض طحاله .

(٤) البكرة ، بالفتح وتحرك : خشبة مستديرة في وسطها محز يستق عليها .

(٥) الْعُمَانِيُّ نسبة إلى عمان ، يضم العين بعدها ميم مفتوحة مخففة ، وهي بلاد عربية في  
جنوب خليج فارس . وضبطت بتشديد الميم في ( خريطة ) الممالك الإسلامية ، خطأ .  
وكانت البحرين وعمان منفصلتين قبل الدولة العباسية . قال ياقوت : « فلما ولي  
بنو العباس صيروا عمان والبحرين واليمامة عملا واحداً » . وما يجدر ذكره أن  
أصل نسبة أبي العباس إلى البصرة « أي هو بصري » ، كما في الأغاني . وقد عقد  
ابن قتيبة فصلاً لمثل هذه النسب في المعارف ٢٥٧ - ٢٥٨ .

### ( طبيعة المصيصة )

وخبّرني كم شئت من الغزاة ، أن من أطال الصّوم بالمصيصة<sup>(١)</sup> في  
أيّام الصّيف ، هاج به المِرار . وأنّ كثيراً منهم قد جُذّوا عن<sup>(٢)</sup>  
ذلك الاحتراق .

### ( طبيعة قصبة الأهواز )

فأمّا قصبة<sup>(٣)</sup> الأهواز ، فإنّها قلبت كلّ من نزّلها من بنى هاشم إلى  
كثيرٍ من طباعهم وشمائلهم<sup>(٤)</sup> ، ولابدّ للهاشميّ ، قبيح الوجه كان أو حسناً ،  
أو<sup>(٥)</sup> دميماً كان أو بارعاً رائعاً ، من أن يكون لوجهه وشمائله طبائعٌ يبيّن بها  
من جميع قريشٍ وجميع العرب . فلقد كادت البلدة أن تنقل ذلك فتبدّله<sup>(٦)</sup> ،  
ولقد تخيّفته<sup>(٧)</sup> وأدخلت الضّمّ عليه ، ويئنت أثرها فيه ؛ فما ظنك بصنيعها  
في سائر الأجناس<sup>(٨)</sup> ؟ !

ولفساد عقولهم ، ولؤم طبع بلادهم ، لأتراهم مع تلك الأموال الكثيرة ،

(١) يقال مصيصة ، بالفتح والصاد المشددة المكسورة ، ومصيصة بالتخفيف ، والأول  
أصح ، وهى بين أنطاكية وبلاد الروم .

(٢) ط ، هـ : « من » .

(٣) ط ، هـ : « قضية » ، صوابه فى س . وقصبة الأهواز ، أى أكبر مدنها .  
قال صاحب العين : « الأهواز : سبع كور بين البصرة وفارس » .

(٤) أى طبائع الأهوازيين وشمائلهم . وفى معجم البلدان : « فانقلبوا إلى طباع أهلها » .

(٥) الأفضل إسقاط هذا الحرف كما فى ثمار القلوب ٤٣٧ .

(٦) هذه الكلمة وسابقتها ساقطتان من س .

(٧) تخيفته وتخوفته : تنقصته . ط : « تخفيه » صوابه فى س ، هـ .

(٨) فى ثمار القلوب ٤٣٥ نقلاً عن الجاحظ : « ولقد تخفيه وتدخل الضى عليه وتبين  
أثرها فيه » . الخ .

والضَّياع الفاشية ، يخْبُون من البَينِ والبناتِ ما يَحْبُهُ أوساطُ أهْلِ الأمصارِ على الثَّروة واليَسار ، وإن طال ذلك . والمال مَنبَهَةٌ كما تعلمون .

وقد يكتسبُ الرَّجُلُ ، من غيرهم ، المَوِيل<sup>(١)</sup> اليسير ، فلا يرضى لولده حتَّى يفرضَ له المؤدِّين<sup>(٢)</sup> ، ولا يرضى لنسائه مثل الذي كان يرضاه قبل ذلك<sup>(٣)</sup> . وليس في الأرض صناعةٌ مذكورةٌ ، ولا أدبٌ شريفٌ ، ولا مذهبٌ محمودٌ ، لهم في شيءٍ منه نصيبٌ وإن خَسَ<sup>(٤)</sup> . ولم أَرِ بها وَجَنَةً حراءَ لصبيٍّ ولا صبيَّةً ، ولا دماً ظاهراً ولا قريباً من ذلك . وهي قَتَالَةٌ للغُرباء .

وعلى أَنَّ حُمَّاهَا خاصَّةٌ ليست للغريب بأَسْرَعَ منها إلى القريب . ٤٨  
ووباؤها<sup>(٥)</sup> ، وفي وقت انكشاف الوَباءِ ونُزوع الحمى عن جميع البلدان .  
وكلُّ محمومٍ في الأرض فإنَّ حُمَّاه لا تَنزِعُ عنه ، ولا تفارقه ، وفي بدنه منها بقيَّةٌ ؛ فإذا نَزَعَتْ عنه فقد أَخَذَ منها عند نفسه البراءة ؛ إلى أن يعود إلى الخلط ، وأن يجمعَ في جوفه الفساد<sup>(٦)</sup> . وليست كذلك الأهواز

(١) مويل : تصنيف مال .

(٢) المؤدبون ، جمع مؤدب ، بكسر الدال . والجاحظ ومن نحا نحوه يجعل المؤدب فوق المعلم . قال في رسالة المعلمين ( هامشة الكامل ١ : ٢ ) : « لو استقصيت عدد النحويين والعروضيين والفرضيين والحساب والخطاطين ، لوجدت أكثرهم مؤدب كبار ومعلم صغار » س : « المودين » محرف .

(٣) كذا في س . وفي ط ، هـ : « ولا يرضى لسانه بمثل الذي كان يرضاه قبل ذاك » ، وتصح مع إعادة التفسير إلى ولده ، أي هو يختار لولده المتنازين من المؤدبين .

(٤) خَس : قل . وفي الأصل وكذا في معجم البلدان : « حسن » . وبعدها في المعجم « أودق أوجل » ، ويقوت بدون ريب ينقل كلام بالجاحظ :

(٥) ط ، هـ : « ووباها » ،

(٦) بدله في معجم البلدان : « إلا أن تعود لما يجتمع في بطنه من الأخلاط الرديئة » .



بالصَّخْرِيَّةِ الَّتِي فِيهِه (١) تِلْكَ الْجَرَّارَاتِ . فَإِذَا امْتَلَأَتْ يُبْسًا وَحَرَارَةً ،  
وَعَادَتْ جَمْرَةً وَاحِدَةً ، قَذَفَتْ مَا قَبِلَتْ مِنْ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ .

وَقَدْ تُحَدِّثُ [ تِلْكَ ] السَّبَّاحُ (٢) وَتِلْكَ الْأَنْهَارُ (٣) بُخَارًا فَاسِدًا ، فَإِذَا  
التَّقَى عَلَيْهِمْ مَا تُحَدِّثُ السَّبَّاحُ وَمَا قَذَفَهُ ذَلِكَ الْجَبَلُ ، فَسَدَ الْهَوَاءُ . وَبِفَسَادِ  
الْهَوَاءِ يَفْسُدُ (٤) كُلُّ شَيْءٍ يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْهَوَاءُ .

وَحَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبَّاسٍ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مَنْصُورٍ ، عَنْ مَشِيخَةٍ (٥) مِنْ  
أَهْلِ الْأَهْوَازِ ، عَنْ الْقَوَابِلِ ، أَنَّهُمْ رَبَّمَا قَبِلْنِ (٦) الطِّفْلَ الْمَوْلُودَ ، فَيَجِدُنَهُ  
فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مَحْمُومًا . يَعْرِفُنَ ذَلِكَ وَيَتَحَدَّثُنَ بِهِ .

### ( عِيُونُ الْحَيَاتِ وَالْخَطَاطِيفِ )

[ قَالَ (٧) ] : وَيَعْرِضُ لِفَرَاحِ الْحَيَّاتِ مِثْلُ الَّذِي يَعْرِضُ لِفَرَاحِ  
الْخَطَاطِيفِ ؛ فَإِنَّ نَازِعًا لَوْ نَزَعَ عِيُونَ فَرَاحِ الْخَطَاطِيفِ ، وَفَرَاحِ الْحَيَّاتِ ،  
لَعَادَتْ بِصِيرَةٍ (٨) .

(١) ط ، هـ : « بالصخرة » صوابه في س . ط : « فيها » صوابه في س ، هـ .

(٢) مضى تفسير هذه الكلمة في الصفحة السابقة .

(٣) س فقط : « الأمطار » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من س ، هـ .

(٥) مشيخة ، كمرحلة ، وأيضا بفتح الميم وكسر الشين : جمع شيخ . ط فقط :  
« شيخ » وهي صحيحة أيضا ، وضبطها كغنية وسدرة .

(٦) قبلت القابلة الولد : تلقته عند خروجه .

(٧) الزيادة من س ، هـ .

(٨) ذلك زعم .

### (مفارقة السلحفاة والرق والضفدع للماء)

وزعم<sup>(١)</sup> أن السلحفاة والرق ، والضفدع ، إنما لا بدّ له من التنفس ، ولا بدّ لها من مفارقة الماء ، وأنها تبيض وتكتسب الطعم وهي خارجة<sup>(٢)</sup> من الماء ؛ وذلك للنسب الذى بينها وبين الضب<sup>(٣)</sup> ، وإن كان هذا برياً وهذا بحرياً .

### (شبه بعض الحيوان البرى بنظيره من البحرى)

ويزعمون أن ما<sup>(٤)</sup> كان فى البرّ من الضبّ والورل والحرباء ، والهلكاء<sup>(٥)</sup> ، وشحمة الأرض ، والوزغ والعطاء<sup>(٦)</sup> مثل الذى فى البحر من السلحفاة والرق ، والتمساح ، والضفدع ؛ وأن تلك الأجناس البريّة وإن اختلفت فى أمورها ، فإنها قد تتشابه فى أمور ؛ وأن هذه الأجناس البحرية من تلك ، ككلب الماء من كلب الأرض .

(١) نسي الجاحظ أن يذكر صاحب الزعم ، أو سقط من النسخين . وقد يكون الزاعم صاحب المنطق .

(٢) ط : « خراجه » ، تحريف ما فى س ، ه .

(٣) س : « وذلك النسب » الخ . ط ، ه : « التى » صوابها فى س .

(٤) ط : « إنما » صوابه فى س ، ه .

(٥) الهلكاء ، بالضم « وبالفتح ، وبالتحريك : ضرب من العطاء . ط فقط : « الهلكى » ، وهى صحيحة فى ذاتها ، وضبطها بضم الحاء واللام ، وتشديد السكاف المفتوحة . ولكنى لا أحسب الجاحظ استعمل هذه اللغة ، وإنما هو تحريف من الناسخ .

(٦) العطاء ، بالفتح : جمع عطاءة وهى دويبة كسام أبرص . س : « والقطة » ه : « والقطا » صوابه فى ط .

## (صوم بعض الحيوان)

وقد زعم صاحبُ المنطق أنَّ الحَيَّةَ وسامَّ أبرص<sup>(١)</sup> من العَظَاءِ ،  
والتَّمْساح ، تسكنُ في أعشَّتِها<sup>(٢)</sup> الأربعةَ الأشهرَ الشديدةَ البرد<sup>(٣)</sup> ، لا تطعم  
شيئاً ؛ وأنَّ سائرَ الحَيَّاتِ تسكنُ بطنَ الأرضِ . فأما الأفاعى فإنَّها تسكنُ  
في صُدوعِ الصَّخَرِ .

وليسَ لشيءٍ من الحيوانِ من الصَّبرِ عن الطَّعمِ ما لهذه الأجناسِ . وإنَّ  
الفيلَ ليناسبُها من وجهين : أحدهما من طولِ العمرِ ، فإنَّ منها ما قد عاشَ  
أربعمائةَ سنةٍ . والوجهُ الآخرُ : أنَّ الفيلةَ مائِيَّةٌ [ وهذه الأجناسُ مائِيَّةٌ<sup>(٤)</sup> ]  
وإن كان بعضها لا يسكنُ الماءَ .

## (داهية الغُبرِ)

قال : وسمِعْتُ يُونُسَ بْنَ حَبِيبٍ<sup>(٥)</sup> يقولُ : « داهيةُ الغُبرِ<sup>(٦)</sup> » . قال : وقيل

(١) ط : « تلك الحية » والوجه حذف الكلمة الأولى كما في س ، هـ . ط ، هـ :  
« من سام أبرص » صوابه في س .

(٢) كذا ، وأصل العش للطائر . وانظر حواشي ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

(٣) ط : « أربعة أشهر شديدة البرد » . س : « الأربع الأشهر الشديدة البرد »  
وأثبت ما في هـ لكن فيها « الأربعة أشهر » .

(٤) هذه الزيادة من هـ .

(٥) في الأصل : « حرب » ، والصواب ما أثبت . وقد تقدمت ترجمته في  
( ١ : ٣٢٩ ) .

(٦) الغبر بالتحريك وبغين معجمة في أولها : الماء يغبر حيناً في المستقع ، كما يفهم من  
التعليل الآتي . وفي أمثال الميداني ( ١ : ٤٠ ) : « سمعت أن الغبر عين ماء  
يعينه تألفه الحيات » . وفي معجم البلدان : « الغبر آخر محال سلمي بجانب جبل طيب » ،  
وبه نخل ، ومياهه تجري أبداً » . ط : « القبر » صوابه في س ، هـ .

ذلك لأنها ربما سكنت بقرب ماء ، إمّا غدير وإمّا عين ، فتحمى<sup>(١)</sup>  
ذلك الموضع . وربما غبر ذلك الماء في المنقع حيناً وقد حمته .  
وقال الكذابُ الحرمازي<sup>(٢)</sup> :

يا ابنَ المعلّى نزلت إحدىَ الكبّر<sup>(٣)</sup> داهيةُ الدهرِ وصمائمُ الغبر<sup>(٤)</sup>  
قال : وسأل<sup>(٥)</sup> الحكم بنُ مروانَ بنِ زنباعٍ ، عن بني عبد الله  
ابنِ غطفان . قال : [ أفعى<sup>(٦)</sup> ] إن أيقظتها لسعتك ، وإن تركتها  
لم تضرّك .

### ( نادرة تتعلق بالحيات )

وذكر عن سعيد بن صخر<sup>(٧)</sup> قال : نُهِشَ رجلٌ من أهل البادية كثيرُ  
المال ، فأشقى على الموت ، فأتاهم رجلٌ فقال : أنا أرقيه ، فما تعطوني<sup>(٨)</sup> ؟

(١) كذا على الصواب في س . وفي ط : « فتحمس » وفي هـ : « فتنحى »  
محرفتان .

(٢) سبقت ترجمته في ( ٣ : ٤٨٤ ) .

(٣) كذا الرواية أيضاً في ثمار القلوب ٣٣٦ . والرواية في اللسان ( غبر ) وكذا  
في أمثال الميداني : « أنت لها منذر من بين البشر » ، أى يامندر . وفي اللسان أنه  
يملح بهذا الشعر بن المنذر الجارود .

(٤) ط : « الغبر » بالعين المهملة ، صوابه في س « هـ » .

(٥) كذا . ولعلها : « وسئل » .

(٦) الزيادة من س ، هـ . وانظر ما سبق من الكلام على « أفعى » في ص ١١٧ .

(٧) سبقت ترجمته في ( ٢ : ٣٦٣ ) .

(٨) ط « فان تعطوني » صوابه ، في س ، هـ . وقد حذف إحدى نوفي :  
« تعطوني » وهو جائز . وفي المعنى : « ونحو تأمروني يجوز فيه الفك والإدغام  
والنطق بنون واحدة » .

فشارطوه على ثلاثين درهما<sup>(١)</sup> ، فرقاه وسقاه أشياء ببعض الأخلاط ، فلما أفاق قال : الرّاقى والمداوى : حتى ! قال الملدوغ : وما حقه ، قالوا : ثلاثون درهما . قال أعطيه من مالى ثلاثين درهما فى نفثات نفثها ، وحمض سقاه<sup>(٢)</sup> ! لا تعطوه شيئاً !

### ( حديث سكر الشطرنجى )

وحدثني بعض أصحابنا عن سُكْرِ الشُّطْرَنْجِيِّ ، وكان أحقّ القاصّين<sup>(٣)</sup> ، وأخذتهم بلعب الشُّطْرَنْجِ ، وسألته عن خرق كان فى خرمة أنفه<sup>(٤)</sup> فقلت له : ما كان هذا الخرق ؟ فذكر أنه خرج إلى جبيل<sup>(٥)</sup> يتكسّب بالشُّطْرَنْجِ ، فقدم البلدة وليس معه إلاّ درهم واحد ، وليس يدري أينجح أم يُخفق ، ويحدّ صاحبه الذى اعتمده أم لا يجده<sup>(٦)</sup> ؟ فورد على حواء وبين يديه جُورٌ عِظَامٌ<sup>(٧)</sup> فيها حياتٌ جليمة .

والحيّة إذا عضّت لم تكن غايتهما النهش أو العض<sup>(٨)</sup> ، وأن ترضى بالنهش ،

- 
- (١) ط : « فارقوه عن ثلاثين درهما » ، تصحيحه بن س ، ه .  
 (٢) الحمض ، بالفتح ، أصله كل نبت مالح أو حامض ، وجعله هنا للدواء الذى فيه حموضة . ه : « وحرس سقى » والكلمة الأولى فى ه محرفة .  
 (٣) جمع قاص للقصص . س ، ه : « العالمين » .  
 (٤) الخرمة ، بالتحريك : موضع الحرم من الأنف . وفى الأصل : « الخزامة » ، وهى ككتابة : البرة تجمل فى الأنف . ولا وجه لها .  
 (٥) جبيل ، بفتح الجيم وتشديد الباء المضمومة : بليدة بشاطىء دجلة . وفى الأصل : « الجبل » ولا تصح ؛ فإن الجبل اسم لبلاد كثيرة تمتد ما بين أذربيجان وعراق العرب وخوزستان وفارس وبلاد الديلم . القاموس ومعجم البلدان .  
 (٦) ط : « ويجملو صاحبه الذى اعتمده أيجده أم لا » ، س : « ويجده أجبه » الخ صوابهما فى ه .  
 (٧) جون ، بضم الجيم وفتح الواو : جمع جونة ، بالضم . وقد سبق تفسيرها فى ١١٥ .  
 (٨) ط : « والعض » .

ولكنّها لا تعضُ إلاّ للأكل والابتلاع . وربما كانت الحيات عظماً جداً ولا سموم لها ، ولا تنقر<sup>(١)</sup> بالعض<sup>(٢)</sup> . كحيات الجولان<sup>(٣)</sup> .

وفي البداية حيّة يقال لها الحفّات<sup>(٤)</sup> والحفّات من الحيات تأكل الفأر وأشباه الفأر ، ولها وعيدٌ مُنكرٌ ، ونفخٌ وإظهارٌ للصّولة ؛ وليس وراء ذلك شيء<sup>(٥)</sup> . والجاهل ربّما مات من الفزع منها . وربما جمعت الحيّة السّمّ وشدّة الجرح ، والعضّ والابتلاع ، وحطّم<sup>(٦)</sup> العظم .

فوقف سُكّرٌ على الحوّا وقد أخرج من جُونه أعظمَ حيّاتٍ في الأرض ، وادّعى نفوذ الرّقية وجودة التّرياق ، فقال له سُكّر<sup>(٧)</sup> : خذ مني هذا الدرهم وارقني رقيةً لا تضرني معها حيّة أبداً ! قال : فأبى أفعل . قال : فأرسل قبل ذلك حيّةً ، حتّى رقيقني بعد أن تعضني ؛ فإن أفقت علمت أن رقيتك صحيحة . قال : فأبى أفعل ، فاخترت أيتها شئت . فأشار إلى واحدة ممّا تعضُ للأكل دون السّمّ ، فقال : دع هذه ؛ فإن هذه إن قبضت على لحمك لم تفارقك حتّى تقطعك<sup>(٨)</sup> ! قال : فأبى لا أريد غيرها . وظنّ أنّه إنّما زواها عنه لفصيلة فيها . قال : أمّا إذ أبيت إلاّ هذه فاخترت موضعاً من جسّدك حتّى أرسلها عليه . فاخترت أنفه . فناشده وخوّفه ، فأبى إلاّ ذلك

(١) تنقر : تجرح . وفي ط : « تنقر » ، تحريف ما في س ، ه .

(٢) الجولان ، بالفتح : جبل من نواحي دمشق . معجم البلدان .

(٣) الحفّات ، بجاء مضمومة بعدها فاء مشددة مفتوحة . ط : « الحنّاث » س ،

ه : « الحفّات » ، صوابهما ما أثبت .

(٤) ط : « سيبا » ، صوابه في س ، ه .

(٥) محرفة في الأصل ، فهي في ط ، ه : « خطم » وفي س : « حكم » .

(٦) ط : « سكن » صوابه في س ، ه .

(٧) س : « لم تفارقه » فقط .

أو يردّ عليه دِرْهَمَهُ . فأخذها الحوّاء وطواها على يده ؛ كي لا يدعها تنكّر<sup>(١)</sup> فتقطع أنفه من أصله . ثمّ أرساها عليه . فلما أنشبت أحدَ نَابَيْيْهَا في شِقِّ أنفه صرّخ عليه صرخةً جمعت عليه أهل تلك البلدة ، ثمّ غشي عليه ، فأخذ الحوّاء فوضع في السّجن ، وقتلوا تلك الحيّات ، وتركوه حتّى أفاق كأنه أجنّ الخلق ، فتطوّعوا بحمله فحملوه مع المكارى<sup>(٢)</sup> ، وردّوه إلى البصرة ، وبقي أثرنا بها في أنفه إلى أن مات .

### ( ما يعتصب بيت غيره من الحيوان )

قال : وأشياء من الحشرات لا تتخذ لنفسها ولا لبيضا ولا أولادها<sup>(٣)</sup> بيوتا ، بل تظلم كلّ ذى جحر جحره « فتخرجه منه ، أو تأكله إن<sup>(٤)</sup> ثبت لها .

والعرب تقول للمُسيء : « أَظْلَمَ مِنْ حَيَّةٍ » ؛ لأنّ الحية لا تتخذ لنفسها بيتاً . وكلّ بيت قصّدت نحوه هرب أهله منه ، وأخلّوه لها .

### ( عداوة الورل للحيات )

والورل يقوّى<sup>(٥)</sup> على الحيّات ويأكلها أكلاً ذريعاً . وكلّ شدّة يلقاها

(١) تنكّر ، آخره زاي ، كافى س . وفى ط ، هـ : « تنكر » محرقة . وانظر ٢ : ١٣٨ .

(٢) المكارى : من يكرى الناس دابته . والكراء : الأجرة . س : « مكارى »

صوابه : « مكار » بحذف الياء .

(٣) س : « وليبضا ولأولادها » .

(٤) ط : « إذ » .

(٥) ط : « يقول » صوابه فى س ، هـ .





















































































































وأنا أعود بالله أن أعزَّ من نفسى ، عند غيبة خصمى ، وتصفح العلماء  
لكلامى ، فإنى أعلم أن فتنة اللسان والقلم ، أشدَّ من فتنة النساء ، والحرص  
على المال .

وقد صادف هذا الكتابُ منى حالاتٍ تمنعُ من بلوغِ الإرادة فيه ،  
أولُّ ذلك العلةُ الشديدة . والثانية قلة الأعوان ، والثالثة طول الكتاب .  
والرابعة أنى لو تكلفت كتاباً فى طوله ، وعدد ألفاظه ومعانيه ، ثمَّ كان من  
كتب العَرَض والجوهر ، والطفرة<sup>(١)</sup> ، والتولد<sup>(٢)</sup> ، والمداخلة<sup>(٣)</sup> ، والغرائز<sup>(٤)</sup>

- = وبلدة يغضى على النعوت يغضى كإغضاء الروى المثبوت  
أراد : المثبت ، فتوهم : ثبته . انظر اللسان ( سرر ) وما أسلفت من التحقيق  
فى ( ١ : ٨٨ ) .
- (١) الطفرة : مسألة كلامية تنسب إلى إبراهيم النظام . كما فى الفصل ( ٥ : ٦٤ ) ،  
وهى قوله : إن المار على سطح الجسم يسير من مكان إلى مكان بينهما أما كن لم  
يقطعها هذا المار ، ولا مر عليها ، ولا حاذها ، ولا حل فيها . وانظر لذلك  
أيضاً الفرق بين الفرق ١٢٤ س ٦ — ٧ ، ١٥ وتأويل مختلف الحديث ١٦ س  
٢ . وفى الأصل : « الصفرة » تحريف ظاهر .
- (٢) التولد : مبحث كلامى ، وذلك أنهم اختلفوا فيما رى سبها فجرح به إنسانا ، أو  
غيره ، وفى حرق النار ، وتبريد الثلج . وسائر الآثار الظاهرة من الجهادات ، فقالت  
طائفة : ماتولد من ذلك عن فعل إنسان أو حى ، فهو فعل الإنسان والحقى .  
واختلفوا فيما تولد من غير حى ، فقالت طائفة : هو فعل الله . وقالت طائفة :  
هو فعل الطبيعة . وقال آخرون : كل ذلك فعل الله . وقد فصل ابن حزم الكلام  
فيه فى كتابه ( ٥ : ٥٩ — ٦٠ ) . وانظر مذهب الجبائى والنظام فى الفرق  
١١٥ وبشر ، فى الفرق ١٤٣ . وفى الأصل : « التوليد » وصوابه مما  
سبق ومن تأويل مختلف الحديث ١٦ س ٣ .
- (٣) المداخلة : مقالة كلامية لقوم زعموا أن الألوان ، والطعوم ، والروائح ، والأصوات  
والخواطر ، أجسام ، وأن تلك الأجسام يزعمهم تتداخل فى حيز واحد . الفصل  
( ٥ : ٦٠ — ٦١ ) . وقد ذهب النظام إلى ذلك . الفرق ١٢٢ .
- (٤) الغرائز ، أى الطبايع الموجودة فى الأشياء ، كالحر للنار ، والبرد للثلج ، والإسكار =

والتماس<sup>(١)</sup> - لكان أسهل وأقصر أياماً ، وأسرع فراغاً ؛ لأنني كنت لأفزع فيه إلى تلقط الأشعار<sup>(٢)</sup> ، وتتبع الأمثال ، واستخراج الآي من القرآن ، والحجج من الرواية ، مع تفرق هذه الأمور في الكتب ، وتباعد ما بين الأشكال . فإن وجدت فيه خلافاً من اضطراب لفظي ، ومن سوء تأليف ، أو من تقطيع نظام<sup>(٣)</sup> ، ومن وقوع الشيء في غير موضعه<sup>(٤)</sup> - فلا تنسرك ، بعد أن صوّرتُ عندك حالي التي ابتدأت عليها كتابي .

٧٠

ولولا ما أرجو من عون الله على إتمامه ؛ إذ كنت لم أتمس به إلا إتمامك مواقع الحجج لله ، وتصارييف تدبيره ، وإنذى أودع أصناف خلقه من أصناف حكمته - كما تعرضت لهذا المكروه .

فإن نظرت في هذا الكتاب فانظر فيه نظر من يلتبس لصاحبه الخارج ، ولا يذهب مذهب التعنت ، ومذهب من إذا رأى خيراً كتّمه ، وإذا رأى شراً أذاعه .

وليعلم من فعل ذلك أنه قد تعرض لباب إن أخذ بمثله ، وتعرض له

= للخمر . أثبت ذلك قوم ، ونفاه آخرون منهم الأشاعرة . الفصل ( ٥ : ١٤ - ١٥ ) .

وللجاحظ كلام طويل فيها في هذا الجزء ٣١٣ - ٣١٩ ساسي .

(١) التماس ، ويقال أيضاً : المجاورة . باب من الكلام ، يبحث في اتصال الأجسام بعضها ببعض ، كالماء بالبن ، والدقيق بالماء ، والزيت بالخل . وتجد أقسامه موضحة في الفصل ( ٥ : ٦١ ) . وانظر تماس العرش ومالكه في الفرق بين الفرق ٢٠٤ ط هـ : « النحاس » س : « النحاس » وهما تحريف ما أثبت .

(٢) أفزع إليه : أي ألجأ . وفي الأصل : « أفرع » محرقة . والتلقط : التقاط الشيء من هنا وهناك . وفي الأصل : « التلقظ » ، وليس صواباً .

(٣) ط س : « ومن تقطيع نظام » ، وأثبت ما في هـ .

(٤) هـ : « أو من وقوع » . الخ ، وأثبت ما في ط س .

في قوله وكتبه ، أن ليس ذلك إلا من سبيل العقوبة ، والأخذ منه بالظلامة .  
 فليُنظر فيه على مثال ما أَدَّبَ الله به ، وعَرَّفَ كيف يكون النظر والتفكير  
 والاعتبار والتعليم ؛ فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ  
 وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ .

### ( الحكم الجميلة في دقيق الأشياء )

فينبغي أن تكون إذا مررتَ بذكر الآية والأعجوبة ، في الفراشة  
 والجرجسة <sup>(١)</sup> ، ألاَّ تحقِّرَ تلك الآية ، وتصغُرَ تلك الأعجوبة ؛ لصغر قدرهما  
 عندك ، ولقلة معرفتهما عند معرفتك <sup>(٢)</sup> ، ولصغر أجسامهما عند جسمك .  
 ولكن كن عند الذي يظهرُ لك من تلك الحكم ، [ و <sup>(٣)</sup> ] من ذلك التدبير ،  
 كما قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَوَّاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً  
 وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ قال ثمَّ قال : ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا  
 بِأَحْسَنِهَا ﴾ ثمَّ قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ  
 وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ .  
 وقد قال عامرُ بن عبد قيس <sup>(٤)</sup> : « الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت  
 في القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان » .

(١) الجرجس ، بالكسر : البعوض الصفار . ط : « الحرجسة » ، صوابه  
 في س ، هـ .

(٢) في الأصل : « عندك معرفتك » ، والوجه ما أثبت .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) س : « عبد القيس » بإثبات « أل » وهو جازر في العربية ، كما أسلفت في ( ٣ : ٣٨٢ ) .  
 وهو عامر بن عبد قيس بن ثابت التيمي العنبري . تابعي ثقة من كبار التابعين =













رأى بينهما أفعى مستوية ، فوثب يحيى ليقتلها ، فقال له دارم . قد اعتقتها  
وحررتها ! ولم تقتلها وهي ضجعتى من أول الليل ؟ فقال يحيى :  
أعوذُ بربى أن ترى لى صحتى يُطيفُ بنا ليلاً مُحَرَّرُ دارم  
من الخرس لا ينجو صحيحاً سليمها وإن كان معقوداً بحلى التمام<sup>(١)</sup>

### (مسألة العقارب للناس)

والعقاربُ فى ذلك دون الحيات ، إلا الجرارات ، فإنها ربما باتت  
فى لحافِ الرَّجُلِ الليلةَ بأسرها ، وتكونُ فى قبضه عامّة يومها ، فلا تلتسه .  
فهى بالأفعى أشبه .

فأما سائرُ العقارب فإنها تقصدُ إلى الضرر<sup>(٢)</sup> ، فإذا ضربت إنساناً فوّت<sup>٧٣</sup>  
كما يصنع المسمى الخائف للعقاب<sup>(٣)</sup> .

والعقرب لا تضرب الميتَ ولا المغشى عليه ، ولا النائم إلا أن يحرك  
شيئاً من جسده ، فإنها عند ذلك تضربه .

### (مسألة العقارب للخنافس والحيات)

ويقال إنها تأوى مع الخنافس وتسلمها ، ولا تصادق من الحيات  
إلا كل أسود سارخ .

### (عقارب نصر بن الحجاج)

وحدث أبو إسحاق المكي قال : كان فى دار نصر بن الحجاج السلمى

(١) السليم : اللينغ . وأراد معقوداً به حل التمام ، فقلب .

(٢) فى الأصل : « الصوت » .

(٣) ط : «العقارب » ، ضوابه فى س ، ه .



كل عدوُّ يُتَّقَى مُقْبِلًا وَعَقْرَبٌ مُخْشَى من الدَّابِرَةِ<sup>(١)</sup>  
كلُّ عدوٍّ كَيْدُهُ في اسْتِهِ فَعَبْرٌ ذِي أَيْدٍ وَلَا ضَائِرُهُ<sup>(٢)</sup>  
قَدْ ضَاقَتِ الْعَقْرَبُ وَاسْتَيْقَنَتْ بِأَنَّ لَادُنْيَا وَلَا آخِرَهُ  
إِنْ عَادَتِ الْعَقْرَبُ عُدْنَا لَهَا وَكَانَتِ النَّعْلُ لَهَا حَاضِرَهُ

(من سمي بعقرب)

واسم أم حارثة بن بدر<sup>(٣)</sup>، عقرب . وآل أبي موسى يكتنون بأبي العقارب  
ومن هؤلاء الذين يكتنون بالعقرب : ابن أبي العقرب الليثي الخطيب  
الفصيح ، الراوية .

(حديث وخبر في العقرب)

وَرَوَوْا أَنَّ عَقْرَبًا لَسَعَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : «لَعَنَهَا اللَّهُ ،  
فَلَيْتَهَا لَا تَبْأَلِي مَنْ ضَرَبْتَ !» .

وقال الضبي : أنا عقربٌ ، أضرب ولا أنفع .

(الجرارات)

وكان الرَّجُلُ تَلْسَعُهُ الْجَرَّارَةُ<sup>(٥)</sup> بعسكر مُكْرَمٍ<sup>(٦)</sup> ، أو بجنديسابور

(١) وكذا الرواية في عيون الأخبار . ورواية اللسان والأمثال : «وعقرب يخشى» .

(٢) الأيد : القوة . و : «ضائرة» أي غير ذي ضائرة . والضائرة : ماتصير ، أي  
تضر . ورواية عيون الأخبار : «لغير ذي كيد ولا نائرة» . والنائرة : الحقد  
والعداوة «والكائنة تقع بين القوم» .

(٣) سبقت ترجمته في (٣ : ٧٧) .

(٤) في (٥ : ٣٥٣) : «القيي» .

(٥) الجرارة : ضرب من العقارب الصغار تجرر بأذيائها . ط : «الجرادة» ،  
صوابه في س ، ه .

(٦) بضم الميم وفتح الراء «بلد من بلاد خوزستان . منها أبو هلال العسكري .







### ( زعم استحالة الكمأة إلى أفاع )

والأعرابُ زعم أن الكمأة تبقى في الأرض فتُمْطَرُ مَطَرَةً صَيفِيَّةً ،  
فيستحيل بعضها أفاعى . فسمعَ هذا الحديثَ منى بعضُ الرؤساءِ الطائيين<sup>(١)</sup> ،  
فزعم لى أنه عاينَ كمأةً ضخمةً فتأملها ، فإذا هى تتحركُ ، فنهض إليها  
فقلعها ، فإذا هى أفعى . هذا ما حَدَّثته عن الأعراب ، حتى برئت إلى الله  
من عيب الحديث .

### ( معارف في الحيات عن صاحب المنطق )

وزعم صاحب المنطق أن الوزغة والحيات تأكلُ الأحْمَ والعُشبَ .  
وزعمَ أنَّ الحياتِ أظهرُ كلباً من جميع الحيوان ، مع قلة شربِ الماء .  
وأنَّ الأسدَ مع نهمه قليلُ شربِ الماء . قال : ولا تضبطُ الحياتُ أنفسها إذا  
شمَّت ريحَ السَّداب ، وربما أصطيدتْ به . وإذا أصابوها كذلك وجدوها  
وقد سكرت .

قال : والحيات تبتلع البيض ، والفراخ ، والعُشبَ .

وزعم أن الحيات تسليخُ جلودها في أوَّل الربيع ، عند خروجها من  
أعشها<sup>(٢)</sup> وفي أوَّل الخريف .

= تحت التراب اندساساً « أى تندفن » . وفي اللسان : « أبو عمرو : الدساس من  
الحيات الذى لا يدرى أى طريقه رأسه ، وهو أنخبت الحيات ، يندس في التراب  
فلا يظهر للشمس . وهو على لون القلب من الذهب المحلى » . وانظر لولادة الدساس ، مافى  
الاستدراكات . ط : « أن حية يقال لها الدساس » ، وأثبت ما فى س ، ه .

(١) جمع طائى ، نسبة إلى قبيلة طيى على الشذوذ . س : « الكبايين » ه :  
« الكباين » . وكنت حسبها : « الكيايين » لكن وجدت تعقيب  
الجاحظ لايسف هذا .

(٢) المعروف في جمع العش : عشاش وأعشاش وعششة — كمنية — فهذا جمع رابع . =















## ( بعض ألوان العيون )

ومن العيون المغرب<sup>(١)</sup> ، والأزرق ، والأشكال<sup>(٢)</sup> ، والأسجر<sup>(٣)</sup> ،  
والأشهل<sup>(٤)</sup> ، والأخيف<sup>(٥)</sup> . وذلك إذا اختلفا .

## ( عين الفأر )

وعين الفأرة كخلاء ، وهي أبصر بالليل من الفرس والعقاب .

## ( شعر في حمرة العينين وضيائهما )

وفي حمرة العينين وضيائهما يقول محمد بن ذؤيب الغماني ، في صفة  
الأسد :

أَجْرَأُ مِنْ ذِي لِبْدَةٍ هَمَّاسٍ<sup>(٦)</sup> عَضَنْفَرٍ مُضِبَّرٍ رَهَّاسٍ<sup>(٧)</sup>

(١) المغرب « بفتح الراء : الأبيض . هـ : « الغرب » س : « اللذب »  
صوابه في ط .

(٢) الشكلة ، بالضم : حمرة في بياض العين .

(٣) السجرة ، بالضم : مخالطة الحمرة لبياض العين ، فهي نحو الشكلة . ط ، هـ :  
« الأسجر » بالخاء « صوابه في س .

(٤) الشهلة ، بالضم : الحمرة في سواد العين .

(٥) الخيف « بالتحريك : زرقعة إحدى العينين وسواد الأخرى . هـ : « والأحتف »  
ط : « والأخف » س : « والأخسف » بإهمال الياء . وصواب أولئك  
ما أثبت .

(٦) الهماس : الشديد الغمز بفرسه .

(٧) المضبر : الموثق الخلق . وفي الأصل : « مضبر » محرف . والرهاس : الذي يطأ  
الأرض وطأاً شديداً .









(قولهم : أدرك القويمة لاتأكلها الهويمة)

وفي المثل : « أدرك القويمة لاتأكلها الهويمة » ، يعني <sup>(١)</sup> الصبي الذي يدرج ويتناول كل شيء سنج له ، ويهوى به إلى فيه . كأنه قال لأمه : أدركه لاتأكله الهامة ! وهى الحية . وهو قوله <sup>(٢)</sup> فى التعويد : « ومن كل شيطان وهامة ، ونفس وعين لأمة <sup>(٣)</sup> » :

(شعر للأخطل فى الحية)

وقال الأخطل ، فى جعلهم الرجل الشجاع وذو الرأى <sup>(٤)</sup> الداهية حية - وكذلك يجعلون إذا أرادوا تعظيم شأنها . وإذا أرادوا ذلك فما أكثر ما يجعلون الحية ذكرا . قال الأخطل :

أنبتت كلباً تمنى أن يسافهنا وطالما سافهونا ثم ماظفروا <sup>(٥)</sup>

(١) أى بقوله : « القويمة » ، وهو تصغير « قامة » بتشديد الميم . اللسان (قم ٣٩٥) وفى أمثال المياني (١ : ٢٤٢) : « ويعنى بها - أى القامة - الصبى ؛ لأنه يقيم كل ما أدرك ، يحمله فى فيه ، فربما أتى على بعض الهوام ، كالعقرب وغيرها . . . يضرب فى حفظ الصبى وغيره . والمراد به إدراك الرجل الجاهل لا يقع فى هلكة » .

(٢) أى فى الحديث النبوى . روى ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعوذ الحسن والحسين فيقول : « أعيدكما بكلمات الله التامة » ، من شر كل شيطان وهامة ، ومن شر كل عين لامة » . ويقول : « هكذا كان إبراهيم يعوذ لإسماعيل وإسحاق عليهم السلام » .

(٣) الامة : التى تصيب بسوء .

(٤) ط : « وإذا لرأى » ، ، صوابه فى س ، ه .

(٥) كذا الرواية فى الأصل . وأراد بكلب : القليل ، فذكره . ورواية الديوان ٢٦٨ : « أن تسافهنا \* وربما » .



## ( الهنديّات )

ويقال إنّ الهنديّات <sup>(١)</sup> إنّما تصير في البيوت والدّور ، والإصطبلات ،  
والخرابات ، لأنّها تُحمَلُ في القُضْب <sup>(٢)</sup> وفي أشباه ذلك .

### ( علة وجود الحيات في بعض البيوت )

والحيات تأكل الجراد أكلاً شديداً ، فربما فتح رأس كُرْزِه <sup>(٣)</sup>  
وجرابه وجوالقه ، الذي يأتي الجراد <sup>(٤)</sup> ، وقد صرّبه برْدُ السّحر ، وقد  
تراكم بعضه على بعض ؛ لأنّها موصوفة بالصّرَدِ <sup>(٥)</sup> .

والحياتُ توصفُ بالصّرَدِ ، وكذلك الحمير ، والماعزُ من الغنم . ولذلك

قال الشاعر <sup>(٦)</sup> :

- 
- (١) الهندية : ضرب من الأفاعي ، ذكر في ص ١٢١ . وفي هـ : « الهنديّات » مصحف .  
(٢) أي في قضب الشجر . والقضيب : الفرع . وذلك أن الخاطب ربما علقت الحيات  
ببعض ما يجمعه . وقالوا في أمثالهم : « كخاطب ليل » ، فهو يجمع القضب والحيات  
وقد يصيبه منها الضرر الشديد .  
(٣) الكرز ، بالضم وتقديم الراء : ضرب من الجوالق ، أو هو الخرج الكبير يحمل  
فيه الراعي زاده ومناحه . ط ، هـ : « كزره » س : « كنده » وهما  
تخريف ما أثبت .  
(٤) كلمة « للذي » هي فاعل « فتح » المتقدمة . وما سيأتي إلى السطر الخامس من الصفحة  
الآتية ، استطراد معترض ، وتبدأ صلة الكلام بكلمة : « وربما » الآتية .  
(٥) من صرد ، كفرح : وجد البرد سريعاً .  
(٦) هو صخر بن الجعد الحضري ، كما في نقد الشعر ٤٣ والأغاني ( ١٩ : ٦٧ ) ومعجم  
البلدان ( رسم جنان ، ذروة ) . وهو شاعر من مخضري الدولتين الأموية والعباسية .  
وكان مغرماً بكأس بنت جبير بن جندب ، وهي ابنة عمه . قالوا : وكانت كأس  
تشرب من خدير يقال له جنان ، وبخضرته أهلها « فوقف طويلاً عليه يبيكي » وقال  
الشعر الآتي .

بليت كما يبلى الوكاء ولا أرى جناناً ولا أكناف ذروة تخلق<sup>(١)</sup>  
 ألوى حيازيمى بن صباية كما تتلوى الحية المتشرق<sup>(٢)</sup>  
 وإنما تشرق إذا أدركها برد السحر ولم تصر بعد إلى صلاحها ٨٠  
 و [إذا<sup>(٣)</sup>] خرجت بالليل تكتسب الطعم كما يفعل ذلك سائر السباع .  
 وربما اجترف صاحب الكرز الجراد<sup>(٤)</sup> ، فأدخله كرزَه ، وفيه الأفعى وأسود  
 سالخ ، حتى يُنقل ذلك إلى الدور ، وربما لقي الناس منها جهداً .  
 وقال بشر بن المعتمر ، فى شعره المزوج :

يا عجباً والذهر ذو عجائب من شاهدٍ وقلبه كالغائب  
 وحاطب يحطّب فى مجاده<sup>(٥)</sup> فى ظلمة الليل وفى سواده  
 يحطّب<sup>(٦)</sup> فى مجاده الأيم الذكر والأسود السالخ مكروه النظر

( شعر فى حية الماء )

فمن ذكر حية الماء ، عبد الله بن همام السلولى فقال :  
 كحية الماء لانتحاش من أحدٍ صلب المراس إذا ما حلت النطق<sup>(٧)</sup>

(١) الوكاء ، بالكسر ، أراد به هنا السقاء ، وهو بالكسر جلد السخلة يتخذ للماء .  
 والرواية فى المصادر المتقدمة : « كما يبلى للرداء » . وجنان ، كسحاب : جبل أو واد  
 بنجد . وفى الأصل : « جنابا » ، صوابه من معجم البلدان . وذروة ، بفتح أوله  
 ويكسر : مكان حجازى .

(٢) ط : « يتلوى » . وفى نقد النثر : « تتلوى » . واستشهد ابن رشيق  
 فى العمدة ( ٢ : ٤٧ ) بهذا البيت على ما سماه « الإيفال » ، وهو المبالغة التى يكون  
 موضعها قافية البيت .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) فى الأصل : « الجراد » وفى س : « وربما احترف » محرفان .

(٥) البجاد ، بالكسر : الكساء .

(٦) ط ، هـ : « يحطّب » صوابه فى س . حطب الحطب : جمه .

(٧) تنحاش : تنفر . وحلت النطق : كناية عن اشتداد الأمر . والنطق :  
 جمع نطق ، وهو شبه إزارية تكة .



فإن تك قتلاكم بدجلة غرقت فما أشبهت قتل حنين ولا بدر  
ثووا إذ لقونا بالكحيل كما ثوى شمام إلى يوم القيامة والحشر<sup>(١)</sup>  
بدجلة حالت حربنا دون قومنا وأوطاننا ما بين دجلة والحضر<sup>(٢)</sup>  
ولو كنتم حيّات بحر لكنتم

٨١

غداة الكحيل<sup>(٣)</sup> إذ تقومون في الغمر<sup>(٤)</sup>

(ما يشبه بالأيام)

فالأيام الحية الذكر يشبهون به الزمام ، وربما شبهوا الجارية المجذولة  
الخميسة الخواصر<sup>(٥)</sup> ، في مشيها ، بالأيام ؛ لأن الحية الذكر ليس له غيب ،  
وموضع بطنه مجدول غير متراخ . وقال ابن ميادة :

(١) شمام ، كقطام : جبل له رأسان يسميان ابني شمام ، يضرب بهما المثل في البقاء .  
قال لبيد :

فهل نبئت عن أخوين داما على الأحداث إلا ابني شمام  
ولاً الفرقدن وآل نعش خوالد ما تحدث بأنهدام

(٢) الحضر ، بالفتح : مدينة بإزاء تكريت في البرية ، بينها وبين الموصل والفرات .  
ياقوت . وفي الأصل : « فالحضر » وهو تحريف .

(٣) أي لكنتم حيات غداة الكحيل فاستطعمت السباحة . ط : « كدات الكحيل »  
س : « كدات الكحيل » صوابه من المؤلف ١٩٥ .

(٤) تقومون : تقفون وتثبتون غير متقدمين ولا متأخرين « وذلك في الماء ممطبة .  
هـ : « تعومون » ولا يصح به المعنى . ورواية الآمدي : « يلبن » من ألب  
بالمكان : أقام به ولزمه . والغمر : الماء الكثير . وفي الأصل : « القمر »  
وتصحيحه من المؤلف .

(٥) الخاصرة : مافوق الخصر من الجلدة الرقيقة . وهما خاصرتان . فهو قد جمع وأراد  
الانتثيق . انظر المزهري ( ٢ : ١٢٥ ) .

قعدت على السَّعلاة تنفض مسحها وتجذب مثل الأيم في بلدٍ قفر<sup>(١)</sup>  
 تيمم خير الناس من آل حاضر وتحمل حاجات تضمَّنهما صدرى<sup>(٢)</sup>  
 (شعر في حمرة عين الأفعى)

وقال الآخر في حمرة عين الأفعى :

لولا الهراوة والكفَّات أوردني حوضَ النية قتالٍ لئن علقا<sup>(٣)</sup>  
 أصم منهرت الشدقين ملتبد لم يُغذ إلا المتايا من لدن خلِقا<sup>(٤)</sup>  
 كأن عينيه مسماران<sup>(٥)</sup> من ذهب جلاهما مدوس التَّلاق فاثلقا<sup>(٦)</sup>  
 (شعر في حمرة عيون الناس)

قال في حمرة عيون الناس في الحرب وفي الغضب ، ابن ميادة :

(١) السَّعلاة : اسم ناقة ابن ميادة ، كما في الأغاني ( ٢ : ١١٤ ) . ومثل الأيم ، عني به الزمام . يقول : « هي تجذب زمامها من شدة نشاطها . وفي الأغاني : « في برة الصفر » .

(٢) رواية الأغاني : « تيمم خير الناس ماء وحاضراً » . وبعد البيت خمسة أخرى في الأغاني .

(٣) الكفَّات : جمع كفة ، بالكسر ، وهي من آلات الصيد . ط ، ه ، « السفاة » ، صوابه في س .

(٤) منهرت الشدقين : واسعهما . ط ، ه ، « منهرة » ، صوابه في س . في س : « لم يغذ » ، من الغذاء . ط ، س : « يفد » ه : « يفد » صوابهما ما أثبت .

(٥) في الأصل : « مسماكان » . ولا تصح : فإن المساك : عود الخباء . وقد ذكر اللهمري في كلامه على الحية : « وعينها لا تدور في رأسها ، بل كأنها مسمار مضروب في رأسها » . وانظر ما أسلف الجاحظ في ص ١٧٩ من ١٢ .

(٦) المدوس ، بالكسر : خشبة يشد عليها معن ، يدرس بها الصيقل السيف حتى يجلوه . والتَّلاق : تفعلال . ن ألح « بمعنى لمع . وفي الأصل : « التلاق » ! واثلقا : لمعا وبرقا . وفي الأصل : « فاثلقا » . والوجه ما أثبت . وانظر البيان ( ٣ : ٦٠ ) .

وعند الفَزَارِيَّ العِراقِيَّ عارض      كَأَنَّ عَيُونَ الْقَوْمِ فِي نَبْضَةِ الْجَمْرِ<sup>(١)</sup>  
وفي حمرة العين من جهة الحِلْقَةِ      يقول أَبُو قُرْدُودَةَ ، في ابنِ عَمَّارٍ<sup>(٢)</sup>  
حينَ قَتَلَهُ النُّعْمَانُ :

إِنِّي نَهَيْتُ ابْنَ عَمَّارٍ وَقُلْتُ لَهُ :      لَا تَأْمَنْ أَحْمَرَ الْعَيْنَيْنِ وَالشَّعْرَةَ  
إِنَّ الْمُلُوكَ مَتَى تَنْزِلُ بِسَاحَتِهِمْ      تَطِرُ بِنَارِكَ مِنْ نِيرَانِهِمْ شَرَرَهُ  
يَاجِفْنَ كِلَازِءَ الْحَوْضِ قَدْ هُدِمَتْ      وَمَنْطِقًا مِثْلَ وَشْيِ الْيَمْنَةِ الْحَبَرَةِ<sup>(٣)</sup>

### (معرفة في الحية)

وَأَكْثَرُ مَا يَذْكُرُونَ مِنْ<sup>(٤)</sup> الْحَيَاتِ بِأَسْمَائِهَا دُونَ صِفَاتِهَا : الْأَفْعَى ،  
وَالْأَسُودَ ، وَالشَّجَاعَ ، وَالْأَرْقَمَ . قَالَ عَمْرِو بْنُ لُحَا :  
\* يَلْزِقُ بِالصَّخْرِ لُزُوقَ الْأَرْقَمِ \* .

وقال آخر :

وَرَفَعَ أُولَى الْقَوْمِ وَقَعُ خِرَادِلٍ<sup>(٥)</sup>      وَوَقَعُ نِبَالٍ مِثْلَ وَقَعِ الْأَسَاوِدِ

(١) ط ، س : « القَرَارِي » ، صوابه في هـ .

(٢) هو عمرو بن عمار الطائي ، كان شاعراً خطيباً ، فبلغ النعمان حين حديثه فحمله على منادمته ، وكان النعمان أحمر العينين والجلد والشعر ، وكان شديد العريضة ، قتالا للنداء ، فنهاه أبو قردودة عن منادمته ، فلما قتله النعمان رثاه بالشعر الآتي .  
البيان ( ١ : ٣٢٢ ، ٣٤٩ ) والحيوان ( ٥ : ٣٣٢ ) ومعجم المرزبان ٢٣٦ ومحاضرات الراغب ( ١ : ٩٢ ) .

(٣) كانت العرب تسمى السيد الطعام جفنة ؛ لأنه يضخمها ويطعم الناس فيها . اللسان ( جفن ) . وإزاء الحوض : مصب الدلو فيه .

(٤) ط : « مر » صوابه في س ، هـ .

(٥) لعلها : « خوازق » جمع خازق ، وهو السهم النافذ « أو السنان . اللسان .



رَفَعْتُ لَهُ مَشْبُوبَةً يَلْتَوِي بِهَا يَكَاذُ سَنَاها فِي السَّمَاءِ يَطِيرُ<sup>(١)</sup>  
 فلما اسْتَوَى جنباه لَاعَبَ ظِلَّهُ عَرِيضُ أَفَاعِي الْحَالِبِينَ ضَرِيرُ<sup>(٢)</sup>  
 قال : ويقال : « أَبْصَرُ مِنْ حَيَّةٍ » كما يقال : « أَسْمَعُ مِنْ فَرَسٍ » ،  
 و : « أَسْمَعُ مِنْ عُقَابٍ » . وقال الراجز :

\* أَسْمَعُ مِنْ فَرَخِ الْعُقَابِ الْأَسْحَمِ<sup>(٣)</sup> \*

وقال آخر<sup>(٤)</sup> :

أَسْوَدُ شَرَّى لَاقَتْ أَسْوَدَ خَفِيَّةٍ تَسَاقَوْا عَلَى حَرْدٍ دِمَاءِ الْأَسَاوِدِ<sup>(٥)</sup>

- = وأعور من نهبان يعوى ودونه من الليل بابا ظلمة وستور  
 كما هو عند الأمدى والمرزبانى وفى الديوان ٢٦٥ . والذى أوهم الجاحظ ذلك  
 أن فى القصيدة بيتا آخر ، يروى بهذه الرواية التى أثبتها « ولكن موضعه  
 فى نهاية القصيدة ، ويتضح لك ذلك من مطالعة الديوان ص ٢٦٦ س ٣ = ٥ .
- (١) مشبوبة : أى ناراً . وكانوا يرفعون النيران لترشد إليهم الضيفان . يلتوى : كذا  
 جاءت الرواية هنا . وهى فى الديوان والمؤتلف : « يهتدى » .
- (٢) استوى جنباه : أى برزا من امتلائهما . فى الأصل : « استوت » محرفة . لاعب  
 ظله : أى جعل ذلك النهبانى يلاعب ظله مما طراً عليه من السرور . وضهير « ظله »  
 راجع إلى « عريض » . والحالبان : عرقان أخضران يكتنفان السرة إلى البطن .  
 وفى الأصل : « عروض أفاعى الحاليتين » ، تصحيحه من النقائص . وانظر الرواية  
 فى الديوان .
- (٣) الأسحم : الأسود . وفى الأصل : « الأشجع » ، صوابه فى ( ٦ : ٤٣٩ ) . وفى السمرى  
 « فأما العقاب فهنا السود والخوخية والسفع والأبيض والأشقر » .
- (٤) هو الأشهب بن ربيعة ، كما فى البيان ( ٤ : ٥٥ ) والكامل ٣٣ = ٤٣٨  
 ليسك والعقد ( ١ : ٥٣ ) واللسان ( حرد ) .
- (٥) شرى : جبل بنجد ، أو تهامة ، مشهور بكثرة السباع . وخفية : أجمة فى سواد  
 الكوفة . هـ : « حفية » بالخاء المهملة صوابه فى ط ، س والمراجع المتقدمة  
 وكذا الأضداد ١٩٨ والمقصود ٥٨ والمخصص ( ١١ : ٤٨ ) . والحرد :  
 الغضب . وروى فى المقصور : « لوح » . واللوح ، بالضم ، ويفتح : العطش .  
 وقبل البيت :



(استطراد لغوى)

قال : والخرشاء<sup>(١)</sup> : القشرة الغليظة بعد أن تنقب فيخرج مافيهما ،  
وجماعه الخراشي<sup>(٢)</sup> ، غير مهموز. قال : وخرشاء الحية : سلخها حين تسلخ<sup>(٣)</sup>  
وقال . هذا أسود سالخ ، وهذان أسودان سالخان ، وأسود سالخة .  
وقال مرقش :

إِنْ يَغْضِبُوا يَغْضَبُ لِيَذَاكُمْ كَمَا يَنْسُلُ عَنْ خِرْشَائِهِ الْأَرْقَمُ

(تعليق الحلى والخللاخيل على السليم)

وكانوا يروون أن تعليق الحلى ، وخشخشة الخلاخيل على السليم ، مما  
لا يفيق ولا يبرأ إلا به ، وقال زيد الخيل :  
أيم يكون النعل منه ضجيجعه كما علقت فوق السليم الخلاخيل<sup>(٤)</sup>  
وخبرني خالد بن عقبة ، من بني سلمة بن الأكوع ، وهو من بني  
المسيح ، أن رجلاً من حزن ، من بني عذرة ، يسمى أسباط ، قال في تعليقهم  
الحلى على السليم :

- 
- (١) جاءت هذه الكلمة مقصورة في الأصل ، وصوابها المد .  
(٢) جماعه : أى جمعه . وفي ط ، هـ : « جماعه » س : « جماعته » وصوابه  
ما أثبت . وكلمة « الخراشي » هى فى ط ، س : « الخراش » وفى هـ :  
« الخراشاء » تحريف ، صوابه من اللسان والقاموس والمقصود ٣٨ .  
(٣) س : « تنسلخ » . وخرشاء ، هى مقصورة في الأصل ، والصواب مدها ، كما في المفضليات  
٢٤٠ والمقصود والمسلود ٣٨ وما سيأتى فى ص ٣٤٠ .  
(٤) الخلاخل : جمع خلخل ، وهو الخلخال ، ذاك الحبل . وكان العرب يعلقون الجلاجل  
أيضاً على الدبغ ، جمع جلجل ، وهو الجرس الصغير . انظر لذلك بلوغ =

أَرِقْتُ فَلَمْ تَطْعَمْ لِي الْعَيْنُ مَهْجَعًا      وَبِتُّ كَمَا بَاتَ السَّلِيمُ مُقَرَّعًا (١)  
كَأَنِّي سَلِيمٌ نَالُهُ كُلُّ حَيَّةٍ      تَرَى حَوْلَهُ حَلَى النِّسَاءِ مُرْصَعًا (٢)  
وقال الذُّبْيَانِيُّ :

٨٣

فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرْتُنِي ضَنْبِيلَةً      مِنَ الرُّقْشِ فِي أُنْيَابِهَا السَّمُّ نَاقِعٌ  
يُسَهِّدُ مِنْ لَيْلِ التَّمَامِ سَلِيمُهَا      لِحَلَى النِّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَعَاقِعُ  
(استطرداد فيه لغة وشعر)

قال : ويقال لسان طلق ذلق<sup>(٣)</sup> . ويقال للسليم إذا لدغ : قد طلق ،  
وذلك حين تَرَجَّعَ إِلَيْهِ نَفْسُهُ . وهو قول النابغة :  
تَنَادَرَهَا الرَّاقُونَ مِنْ سُوءِ سَمِّهَا      تَطْلُقُّهُ طَوْرًا وَطَوْرًا تُرَاجِعُ<sup>(٤)</sup>  
وقال العبدى<sup>(٥)</sup> — إِنْ كَانَ قَالَهُ — :

= الأرب ( ٢ : ٣٠٤ ) وما أورد من الشواهد . وجاء في شرح الوزير أبي بكر  
لديوان النابغة ٥٢ : « كان الحلّى في الزمان الأول له جلاجل يسمع صوته  
من المرأة إذا مشت » .

(١) مقرعا ، بالتأنيف بعدها راء : من التقرّيع ، وهو الإقلاق .  
(٢) مرصعاً : معقوداً . وفي نهاية الأرب ( ٢ : ٣٠٥ ) : « موضعاً » وهى صحيحة  
من وضع الباني الحجر « بالتشديد » نضد بعضه على بعض .  
(٣) فى القاموس : « وطلق اللسان بالفتح والكسر ، وكأمر . ولسان طلق ذلق —  
ضبط كل منهما ككتف ، بالقلم — وطلق ذليق ، رطلق ذلق بضميتين ، وكصرد  
وكتف : ذو حدة » .

(٤) تنادرها الراقون : أنذر بعضهم بعضاً ألا يتعرضوا لها . فى الأصل : « تبادرها » ،  
وصوابه من الديوان ٥٢ والمخصص ( ٩ : ٦٥ ) واللسان ( نذر ) والكمال  
٥٠٧ ليسك . ويروى : « من سوء سمها » بفتح السين ويكسرهما ، بمعنى  
الشهرة . تطلقه : أى تطلق « السليم » المذكور فى البيت السابق ، والمعنى  
تحف الأوجاع عنه تارة وتشتد أخرى . قال المبرد : « وذلك أن المنهوش إذا ألح  
الوجع تارة وأمسك عنه تارة فقد قارب أن يوأس من برئه » .

(٥) يعنى بالعبدى هنا ، الممزق العبدى ، صاحب البيت السائر ( انظر الشعراء ٣٦٠ ) :  
فَإِنْ كُنْتُ مَأْكُولًا فَكُنْ أَنْتَ أَكَلِي وَإِلَّا فَأَدْرِكْنِي وَلَمَّا أَمَزَقَ =

تَبَيَّنَ الْمُهْمُومُ الطَّارِقَاتُ يَعْدُنِي كَمَا تَعْتَرِي الْأَهْوَالُ رَأْسَ الْمَطْلَقِ (١)  
وَأُنْشِدُ :

تُلَاقِي مِنْ تَذَكُّرِ آلِ لَيْلَى كَمَا يَلْقَى السَّلِيمُ مِنَ الْعِدَادِ (٢)  
وَالْعِدَادُ : الْوَقْتُ . يَقَالُ : إِنَّ تِلْكَ الْأَسْعَةَ لَتَعَادَهُ (٣) : إِذَا عَادَهُ الْوَجَعُ  
فِي الْوَقْتِ الَّذِي لَسِعَ فِيهِ .

### ( حَدِيثُ الْحَمْلِ الْمَصْلِيِّ )

وَذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّمَّ الَّذِي كَانَ فِي الْحَمْلِ الْمَصْلِيِّ (٤) ،  
الَّذِي كَانَتْ الْيَهُودِيَّةُ قَدَّمَتْهُ إِلَيْهِ فَتَالَ مِنْهُ ، فَقَالَ : « إِنَّ تِلْكَ الْأَكْلَةَ  
لَتَعَادُنِي (٥) » .

(١) ط : « تعدني » س : « تفدني » ه : « تعدني » ، وصوابه ما أثبت من  
الكامل ٥٠٧ ليسك . وفيه أيضاً : « كما تعتري الأوصاب » .

(٢) الرواية في المختصص ( ٥ : ٨٨ ) والأضداد ٩٠ واللسان ( عدد ) : « يلاق من  
تذكر » . وقد أتحم الشاعر كلمة « آل » ، فهي زائدة في الكلام ، وأراد : من  
تذكر ليلى نفسها . مثله ما جاء في الحديث : « لقد أعطى مزماراً من مزامير آل  
داود » أراد : من مزامير داود نفسه .

(٣) ط : « لتعادته » ، صوابه في س ، ه .

(٤) المصلي : المشوى . صلى اللحم وغيره صلياً : شواه . والمعروف في الرواية أنها شاة ،  
لا حمل . تأويل مختلف الحديث ٢٢٥ ، والسيرة ٧٦٤ جوتنجن ، والتنبيه  
والإشراف ٢٢٣ . والذي أهدى الشاة هو زينب ابنة الحارث اليهودية « امرأة  
سلام بن مشكم اليهودي » ، وقيل : هي أخت مرحب اليهودي . الروض الأنف  
( ٢ : ٢٤٣ ) ، وكانت سألت : أي عضو من الشاة أحب إلى الرسول ؟ فقيل  
لهما : الذراع ، فأكثر فيها من السم . وانظر بقية الخبر في السيرة  
( غزوة خيبر ) .

(٥) ط : « لتعادني » وصوابه في س ، ه والروض الأنف ، وتأويل مختلف  
الحديث ، والمختصص ( ٥ : ٨٨ ) والأضداد ٩٠ واللسان ( عدد ) . والرواية  
في هذه المصادر : « ما زالت أكلة خيبر تعادني فهذا أوان قطعت أبهرى » . =

### ( جلد الحية )

وفي الحية قشرها ، وهو أحسن من كل ورقة وثوب ، وجناح ،  
وطائر ؛ وأعجب من ستر العنكبوت ، وغرقى<sup>(١)</sup> البيض .

### ( ما يشبهه بلسان الحية )

ويقال في مثل ، إذا مدحوا<sup>(٢)</sup> الخف اللطيف ، والقدم اللطيفة ، قالوا :  
كأنه لسان حية .

### ( نفع الحية )

وبالحية يتداوى من سم الحية . وللدغ الأفاعى يؤخذ الترياق الذى  
لا يوجد إلا بمتون<sup>(٣)</sup> الأفاعى . قال كثير :  
وما زالت رقاك تسلى ضغني ونخرج من مكامنها ضبابى<sup>(٤)</sup>  
وترقينى لك الحاوون حتى أجابك حية تحت الحجاب<sup>(٥)</sup>

= وقد قال هذا القول في مرضه الذى توفى فيه . وهو دليل على أنه صلى الله عليه وسلم  
مات شهيداً .

(١) الغرقى ، كزبرج : القشرة المتزقة ببياض البيض .

(٢) فى الأصل : « مدح » .

(٣) ط : « لا يؤخذ إلا بمتون » ، س ، هـ : « لا يؤخذ إلا بمتون » وصوابهما  
ما أثبت . والمتن : الظهر .

(٤) الضباب ، بالكسر : جمع ضب ؛ بالفتح والكسر « وهو الضغن والعداوة .

وهو يخاطب بهذا الكلام عبد العزيز بن مروان كافي الموشح ١٤٣ والصناعتين

٧٢ وزهر الآداب ( ٢ : ٦٣ ) وابن سلام ٤٦٤ . وفيها جميعاً نقد جيد

لهذين البيتين .

(٥) ترقينى ، كذا فى الأصل ، وهى صحيحة . وفى الكتاب : « إلا الذى آمنت به =

























تَحْلِفُ إِلَّا تَبَرَّنِي أَبَدًا فَإِنَّ فِيهَا بَرْدًا عَلَى كَيْدِي (١)  
 إِنْ كَانَ رِزْقِي إِلَيْكَ فَارْمِ بِهِ فِي نَاطِرِي حَيَّةً عَلَى رَصْدِ (٢)  
 وَقَالَ أَبُو السَّفَّاح (٣) يَرِثِي أَخَاهُ يَحْيَى بْنَ عَمِيرَةَ (٤) وَيُسَمِّيهِ بِالشَّجَاعِ (٥) :  
 يَغْدُو فَلَا تَكْذِبْ شِدَاتُهُ كَمَا عَدَا اللَّيْثُ بَوَادِي السَّبَاغِ  
 يَجْمَعُ عَزْمًا وَأَنَاةً مَعًا نُمْتُ يَنْبَاعُ أَنْبِيَاعِ الشَّجَاعِ (٦)  
 وَقَالَ الْمُتَلَمِّسُ :  
 فَاطَرُكَ إِطْرَاقَ الشَّجَاعِ ، وَلَوْ يَرَى مَسَاغَا لَنَايِيهِ الشَّجَاعُ لَصَمَمَا (٧)  
 وَقَالَ مَعْمَرُ بْنُ لَقِيطٍ (٨) أَوْ ابْنُ ذِي الْقُرُوحِ (٩) :  
 شَمْسٌ يَظُلُّ الْقَوْمَ مَعْصَمًا بِهِ وَإِنْ كَانَ ذَا حَزْمٍ مِنَ الْقَوْمِ عَادِيًا

- (١) يقول : ليتك تحلف ألا تبرني ؛ فقد سئمت برك وما تحملني من المن .  
 (٢) في معجم الأدباء : « في ماصفاحه » . وصواب ما في المعجم : « في ماضني حية » .  
 (٣) كذا في الأصل ومقطعات مراث ص ١١٦ . وكذا في الموفقيات للزبير بن بكار طبعة وستنفلد . واسمه بكير بن معدان بن عميرة بن طارق اليربوعي . والشعر منسوب في المفضليات ١٥٤ إلى السفاح بن بكير الثعلبي . نسبة إلى ثعلبة بن يربوع .  
 (٤) وقال أبو عبيدة : هي لرجل من بني قريظ ، يرقى بها يحيى بن ميسرة ، صاحب مصعب بن الزبير . وكان وفي له حتى قتل معه . انظر شرح المفضليات ٦٣٠ ، وكذا خزنة الأدب ( ٢ : ٥٣٧ بولاق ) .  
 (٥) الشجاع : ضرب من الحيات .  
 (٦) ينباع : يشب ويسطو .  
 (٧) روى : « وأطرق » في حاسة البحترى ١٥ ولباب الآداب ٣٩٣ والميداني ( ١ ) : ( ٣٩٥ ) . وروى في سر الصناعة : « لناباه » . وبه يستشهد الحويون على إلزام المثني الألف في أحوال الإعراب الثلاث عند بعض القبائل . انظر الخزنة ( ٣ : ٣٣٧ بولاق ) ، وقد أخذ هذا البيت عمرو بن شأس فقال ( انظر معجم المرزباني ٢١٣ ) :  
 فَاطَرُكَ إِطْرَاقَ الشَّجَاعِ وَلَوْ يَرَى مَسَاغَا لَنَايِيهِ الشَّجَاعُ لَقَدْ أَرَمَ  
 (٨) كذا . ولعله : « لقيط بن يعمر » .  
 (٩) المعروف في الشعراء : « ذو القروح » وهو امرؤ القيس .

أبيت كما بات الشجاع إلى الذرى وأغدو على همى وإن بت طأويًا  
ولاني أهض الضيم منى بصارم رهيف وشيخ ماجد قد بنى ليا (١)  
وهكذا صفة الأفعى ؛ لأنها أبداً نابتة مستوية ، فإن أنكرت شيئاً  
فدشنتها كالبرق الخاطف .

ووصف آخر أفعى ، فقال :

وقد أراى بطوى الحس وذات قرنين طحون الضرس (٢)  
نضاضة مثل انشاء المرس (٣) تدير عيناً كشهاب القبس  
لما التقينا بمضيق شكس (٤) حتى قنصت قرنها بخمس (٥)  
وهم يتهاجون بأكل الأفاعى والحيات . قال الشاعر :

فأياكم والريف لا تقربنه فإن لديه الموت والحتم قاضياً  
هم طردوكم عن بلاد أبيكم وأنتم حلول تشنونا الأفاعياً  
وقال عمر بن أبى ربيعة :

ولما فقدت الصوت منهم وأطفئت مصابيح شبت بالعشاء وأنور (٦)

(١) أهض الضيم : أدفعه . وأصل الهض : الكسر والدق .

(٢) فى الأصل : « كجون الترس » . وأثبت ما عند الديميرى .

(٣) المرس ، وأصله المرس بالتحريك : الحبل . وقد سكن الراء للشعر . وفى الأصل :  
« الررس » ولا وجه لها .

(٤) شكس : ضيق . وانظر نهاية مادة ( شكس ) فى اللسان .

(٥) أى بخمس أصابع . س : « حتى قضت » وفى س : ط : « قبوتها »  
وصوابها فى هـ .

(٦) أنور : بالهمزة : جمع نار . قال المبرد فى الكامل ٣٨٣ ليسك : « وقوله :  
وأنور ، إن شئت همزت » وإن شئت لم تهمز . ورويت : « أنور » عند  
الهيئى ( ١ : ٣١٨ ) .







### (شعر في سلخ الحية)

وقال الشاعر في سلخ الحية :

حَتَّى إِذَا تَابَعَ بَيْنَ سَلَخَيْنِ وَعَادَ كَالْمَيْسَمِ أَحْمَاهُ الْقَيْنُ<sup>(١)</sup>  
أَقْبَلَ وَهُوَ وَاثِقٌ بِثَنَتَيْنِ : بِسَمِّهِ الرَّأْسَ وَنَهَشَ الرَّجْلَيْنِ<sup>(٢)</sup>  
قال : كَأَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ سَمَّهُ لَا يَكُونُ قَاتِلًا مُجْهَزًا حَتَّى تَأْتِيَ  
عليه سنتان .

### (قول في سلخ الحية)

وزعم بعضهم أَنَّ السَّلَخَ لِلْحَيَّةِ مِثْلُ الْبَرْزُولِ وَالْقُرُوحِ لِلْخَفِّ وَالْحَافِرِ .  
قال : وَلَيْسَ يَنْسَلَخُ إِلَّا بَعْدَ سِنِينَ كَثِيرَةٍ ، وَلَمْ يَقِفُوا مِنَ السِّنِينَ  
عَلَى حَدٍّ .

وزعم بعضهم أَنَّ الْحَيَّةَ تَسْلَخُ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّتَيْنِ - وَالسَّلَخُ فِي الْحَيَاتِ  
كَالتَّحْسِيرِ مِنَ الطَّيْرِ - وَأَنَّ الطَّيْرَ لَا تَجْتَمِعُ قُوَّةً إِلَّا بَعْدَ التَّحْسِيرِ وَتَمَامِ  
نَبَاتِ الرِّيشِ . وَكَذَلِكَ الْحَيَّةُ ، تَضَعُفُ فِي أَيَّامِ السَّلَخِ ثُمَّ تَشْتَدُّ بَعْدَ .

### (تأويل رؤيا الحيات)

قال الأصمعي : أَخْبَرَنِي أَبُو رِفَاعَةَ<sup>(٣)</sup> ، شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ ، قَالَ :  
رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنِّي أَتَخَطَّى حَيَّاتٍ . فَطَرْتُ السَّمَاءَ ، فَجَعَلْتُ أَتَخَطَّى سُبُولًا .

(١) الميسم بالكسر : أداة الوسم . والقين : الحداد .

(٢) في الأصل : « بسمة الرأس » ، والبسة بمعنى العلامة ، وهي لا تلائم نظام الكلام .

(٣) س ، ه : « أبو رفاعه » بالقاف .

وحكى الأصمعيُّ أن رجلاً رأى في المنام في بيوته حَيَّاتٍ ، فسأل من ذلك ابن سيرين أو غيره ، فقال : هذا رجلٌ يدخل منزله أعداء المسلمين . وكانت الخوارجُ تجتمعُ في بيته .

### (شعر للعرجي والشمخ في الحيات)

قال العرجيُّ ، في ديبب السمِّ في المنهوش :

وَأَشْرَبَ جِلْدِي حُبَّهَا وَمَشَى بِهِ كَمَشَى حُمَيَّا الكَأْسِ فِي جِلْدِ شَارِبِ  
يَدِبُّ هَوَاهَا فِي عِظَامِي وَحُبُّهَا ، كَمَا دَبَّ فِي الْمَسْوَعِ سَمُّ الْعُقَابِ  
وقال العرجيُّ في العرماء<sup>(١)</sup> من الأفاعي ، وكونها في صُدوع الصَّخَرِ ، فقال :

تَأْتِي بَلِيلِ ذُو سَعَاءٍ<sup>(٢)</sup> فَسَلَّهَا بِهَا حَافِظُ هَادٍ وَلَمْ أَرْقِ سَلَامًا<sup>(٣)</sup>  
كَمَثَلِ شِهَابِ النَّارِ فِي كَفِّ قَابَسٍ إِذَا الرِّيحُ هَبَتْ مِنْ مَكَانٍ تَضَرَّمَا  
أَبْرًا عَلَى الْخَوَاءِ<sup>(٤)</sup> حَتَّى تَنَازَرُوا حِمَامُهُ<sup>(٥)</sup> مَحَامَاةٍ مِنَ النَّاسِ ، فَاحْتَمَى<sup>(٦)</sup>

(١) للعرماء ، بالفتح : الحية الرقشاء . وفي الأصل : « العرما » . وكلمة « في » قبلها ساقطة من س ، ه .

(٢) السعاء ، بالفتح : التصرف . ط : « سعاده » س : « سعاه » بدون إعجام . وصوابهما في ه .

(٣) كذا جاء هذا الشطر ، وفيه تحريف .

(٤) أبر عليهم : غلبهم واستعصى عليهم . والخواء ، بضم الخاء : جمع حاو . وهذا الجمع ليس قياسياً ولا مما ذكرته المعاجم . وسمع نظيره : غاز وغزاء ، وسار وسراء . انظر مع الموامع ( ٢ : ١٧٧ ) . والعرجي ممن يحتج بكلامه ، فإنه توفي نحو سنة ١٢٠ . وهو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وكان شاعراً غزلاً ينحو نحو ابن أبي ربيعة ، وكان من الفرسان الظرفاء . ولقب بالعرجي لسكنائه قرية العرج في الطائف . وفي س ، ه : « الجواد » ط : « الأجواد » . وهما تحريف ما أثبت .

(٥) تناذروا حماء : أنذر بعضهم بعضاً ألا يتعرضوا له . وقد سبق مثل هذا في بيت اللانغة ص ٢٤٨ س ٩ . وفي الأصل : « تبادروا » ، وهو تحريف .

(٦) في الأصل : « فاحتما » .

يَظَلُّ مُشِيحًا سَامِعًا ، ثُمَّ لَهَا إِذَا بُعِثَتْ لَمْ تَأُلْ إِلَّا تَقْدُمًا<sup>(١)</sup>  
قال : ويقال : تطوّت<sup>(٢)</sup> الحية . وأنشد العرجي :

ذَكَرْتَنِي إِذْ حَيَّةٌ قَدْ تَطَوَّتْ بِرَقَا عِنْدَ عَرْسِهِ فِي الثِّيَابِ<sup>(٣)</sup>  
وقال الشماخ ، أو البعيث<sup>(٤)</sup> :

وَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الشَّجَاعِ وَقَدْ جَرَى عَلَى حَدٍّ نَابِيهِ الدُّعَافُ الْمُسَمُّ<sup>(٥)</sup>

### ( ما ينبع من الحيوان )

٩٠ والأجناس التي تُذَكَّرُ بالنَّبَاحِ : الكلب ، والحية ، والظَّبْيُ إِذَا  
أَسَنَّ ، والمُهِدُّ . وقد كتبنا ذلك مرة ثم<sup>(٦)</sup> .

قال أبو النجم :

وَالْأَسَدُ قَدْ تَسَمَّعَ مِنْ زَيْبِهَا وَبَاتَتْ<sup>(٧)</sup> الْأَفْعَى عَلَى مَحْفُورِهَا  
تَأْسِيرُهَا يَحْتَكُ فِي تَأْسِيرِهَا<sup>(٨)</sup> مَرَّ الرَّحَى تَجْرَى عَلَى شَعِيرِهَا

(١) المشيح : الحذر . وقد ذكرها مرة وأنها أخرى . والحية ما يذكر ويؤنث .

(٢) س : « انطوت » . والأوفق ما أثبت من ط ، هـ .

(٣) كذا جاء هذا الشطر في ط ، هـ . وفي س : « عند عريسه » ، وكلا النصين  
محرف . وانظر ديوان العرجي ١١٥ .

(٤) ليس البيت في ديوان الشماخ .

(٥) في الأصل : « ولو جرى » . وانظر مثيل هذا البيت في ص ٢٦٣ .

(٦) انظر لنجاح الظبي ما سبق في ( ١ : ٣٤٩ ) ولنجاح المهدد ما سبق في ( ١ : ٣٥٠ ) .  
وأما نباح الحية فلم يسبق له ذكر ، وانظر له الاستراكات .

(٧) هـ : « وبانت » بالنون . وانظر بعض أشطار من الأرجوزة في اللسان ( عفر ) .

(٨) التأسير : واحد التأسير ، وهي في أصل معناه السيور يؤسر بها السرج ،  
وجعله هنا لجلدها . و « يحتك » هي في الأصل « يحتك » بالنون .  
وصوابه ما أثبت .

كَرْعَدَةِ الْجِرَاءِ أَوْ هَدِيرِهَا (١) تَضَرُّمَ الْقَضْبَاءِ فِي تَنُورِهَا (٢)  
تَوْقُرُ النَّفْسِ عَلَى تَوْقِيرِهَا تَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ فِي تَنْقِيرِهَا  
• فِي عَاجِلِ النَّفْسِ وَفِي تَأْخِيرِهَا •

### (قَوْلٌ فِي آيَةٍ)

وَسَنَذَكُرُ مَسْأَلَةً وَجَوَابَهَا . وَذَلِكَ أَنَّ نَاسًا زَعَمُوا أَنَّ جَمِيعَ الْحَيَوَانِ عَلَى  
أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ : شَيْءٌ بِطَيْرٍ ، وَشَيْءٌ يَمْشِي ، وَشَيْءٌ يِعُومُ ، وَشَيْءٌ يَنْسَاحُ .  
وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ، فَمِنْهُمْ مَنْ  
يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي  
عَلَى أَرْبَعٍ ، يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ .

وَقَدْ وَضَعَ الْكَلَامَ عَلَى قِسْمَةِ أَجْنَاسِ الْحَيَوَانِ ، وَعَلَى تَصْنِيفِ ضُرُوبِ  
الْخَلْقِ ، ثُمَّ قَصَرَ عَنِ الشَّيْءِ الَّذِي وَضَعَ عَلَيْهِ كَلَامَهُ (٣) ، فَلَمْ يَذْكُرْ مَا يَطِيرُ  
وَمَا يِعُومُ . ثُمَّ جَعَلَ مَا يَنْسَاحُ ، مِثْلَ الْحَيَّاتِ وَالذِّبْدَانِ ، مِمَّا يَمْشِي ، وَالْمَشْيُ  
لَا يَكُونُ إِلَّا بِرَجْلٍ ، كَمَا أَنَّ الْعِصَّ لَا يَكُونُ إِلَّا بِفَمٍ ، وَالرَّمَحُ لَا يَكُونُ  
إِلَّا بِحَافِرٍ . وَذَكَرَ مَا يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ، وَهَاهُنَا دَوَابُّ كَثِيرَةٌ تَمْشِي

(١) الجراء : جمع جرو . أراد به ولد الكلب . ورعدتها : صوتها ، وكذلك هديرها .  
وفي الأصل : « الجزء » ، ولا وجه له .

(٢) القضباء : جماعة القصب ، ويسمى أيضاً الأباء بالفتح . وبه يضرب المثل في شدة  
الصوت عند التضرم . ومنه قول ابن أبي الحقيق :

من سره ضرب يرعبل بعضه بعضاً كمنمة الأباء المحرق

وهذه الكلمة محرفة في الأصل ، فهي في ط : « القضاء » و : ه :

« النضا » و س : « القضباء » . وفي س : أيضاً « تنور » مكان « تضرم » .

(٣) هذا حكاية من الجاحظ لقول المعترضين على الآية الكريمة ، وسيرد عليهم  
في السطر الثالث من الصفحة الآتية .

على ثمانِ قوائمٍ ، وعلى ستٍّ ، وعلى أكثرَ من ثمانٍ . ومن تفقّد قوائمَ  
السّرطانِ وبناتٍ ورَدانَ ، وأصنافَ العناكب - عرَفَ ذلك .

قلنا : قد أخطأتم في جميع هذا التّأويل وحده . فما الدّليلُ على أنّه  
وضع كلامه في استقصاء أصناف القوائم ؟ وبأيّ حُجةٍ جرّمتُم على ذلك ؟  
وقد قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَفَوَّضَهَا لِلنَّاسِ وَالْحِجَارَةَ ﴾ وَتَرَكَ ذِكْرَ  
الشَّيَاطِينِ وَالنَّارِ لَهُمْ آكَلٌ ، وعذابهم بها أشدُّ . فَتَرَكَ ذِكْرَهُمْ مِنْ غَيْرِ  
نِسْيَانٍ ، وعلى أن ذلك معلومٌ عند المخاطب . وقد قال الله عزَّ وجلَّ :  
﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ (١) ، أخرج  
من هذا العموم عيسى بنَ مريمَ ، وقد قصّدَ في مخرَج هذا الكلام [ إلى (٢) ]  
جميعَ ولدِ آدمَ . وقال : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ  
شَيْئًا مَذْكُورًا ﴾ أَدَخَلَ فِيهَا آدَمَ وَحَوَّاءَ . ثُمَّ قَالَ عَلَى صِلَةِ الْكَلَامِ :  
﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ ﴾ ، أخرج منها آدَمَ وَحَوَّاءَ  
وعيسى بنَ مريمَ . وحسُنَ ذلك إذ كان الكلام لم يُوضَعَ على جميع ما تعرفه  
النُّفُوسُ مِنْ جِهَةِ اسْتِقْصَاءِ اللَّفْظِ . فقولُه : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ ٩١  
وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ﴾ (٣) كان على  
هذا المثال الذي ذكرنا . وعلى أن كلَّ شَيْءٍ يَمْشِي على أربع فهو مما يَمْشِي على  
رجلين ، والذي يَمْشِي على ثمان هو مما يَمْشِي على أربع ، وعلى رجلين .

(١) من الآية الحادية عشرة في سورة فاطر .

(٢) الزيادة من س ، هـ .

(٣) بين هذه الآية والكلام بعدها ، جملة : « فهو مما يَمْشِي على أربع » في ط ،  
س . وهي عبارة مقحمة ليس لها وجود في هـ .

وإذا قلت : لى على فلان عشرة آلاف درهم ، فقد خبرت أن لك عليه ما بين درهم<sup>(١)</sup> إلى عشرة آلاف .

وأما قولكم : إن المشى لا يكون إلا بالأرجل ، فينبغي أيضاً أن تقولوا ﴿ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ : إن ذلك خطأ ، لأن السعى لا يكون إلا بالأرجل . وفى هذا الذى جهلتموه ضروب من الجواب : أما وجه منه فهو قول القائل وقول الشاعر : « ما هو إلا كأنه حيّة » ، و : « كأن مشيته مشية حيّة » يصفون ذلك ، ويذكرون عنده مشية الأيم والحباب ، وذكر الحيات . ومن جعل للحيات مشياً من الشعراء ، أكثر من أن نقف<sup>(٢)</sup> عليهم . ولو كانوا لا يسمون انسيابها وانسيابها مشياً وسعياً ، لكان ذلك مما يجوز على التشبيه والبدل ، وأن قام الشيء مقام الشيء أو مقام صاحبه ؛ فمن عادة العرب أن تشبه به فى حالات كثيرة . وقال الله تعالى : ﴿ هَذَا نَزَّلْنَاهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ والعذاب لا يكون نزلاً ، ولكنه أجره مجرى كلامهم ، كقول حاتم حين أمرؤه بفصد بعير ، وطعنه فى سنامه ، وقال : « هذا فصده<sup>(٣)</sup> ! »

(١) كلمة « عليه » ساقطة من هـ . وفى هـ أيضاً : « مائتين » بدل « مابين » وهو تحريف .

(٢) هـ : « تقف » بالخطاب .

(٣) أى هذا فصد البعير « والفصد : شق العرق لاستخراج دمه . وكان أهل الجاهلية فى شدة الأزمان يفصلون الإبل ويسخنون دم الفصد حتى يجمد ويقوى فيطعمونه ويطعمونه الضيفان « أو يجمعون ذلك الدم فى معى من الأدماء ويشوونه ويأكلونه . ويروى المثل عند الميداني ( ٢ : ٣١٧ ) : « هكذا فصدى » وقال : « قيل إن أول من تكلم به كعب بن مامة . وذلك أنه كان أسيراً فى عنزة فأمرته أم منزله أن يفصد لها ناقة ، فنحرها « فلامته على نحره إياها فقال : هكذا فصدى ! يريد أنه لا يصنع إلا ما تصنع الكرام » . عنزة : قبيلة . وأم المنزل : ربه .





وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ ﴾  
وأصحاب الجنة لا يوصفون بالشُّغل ، وإنما ذلك جوابٌ لقول القائل : خبرني  
عن أهل الجنة ، بأيِّ شيء يتشاغلون ؟ أم لهم فراغٌ أبداً ؟ فيقول الحبيب : لا ،  
ما شغلهم إلَّا في افتضاض الأبكار ، وأكلِ فواكه الجنة ، وزيارة الإخوان  
على نجائب الياقوت !

وهذا على مثالِ جوابِ عامر بن عبد قيس ، حين قيل له وقد أقبل  
مِنْ جهة الحلبة <sup>(١)</sup> ، وهو بالشام : مَنْ سَبَقَ ؟ قال : رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ! قيل : فَمَنْ صَلَّى ؟ قال : أبو بكر ! قال : إِنَّمَا أَسْأَلُكَ عَنِ  
الْحَيْلِ ! قال : وأنا أجيبك عن الخير !

وهو كقول المفسِّر حين سُئِلَ عن قوله : ﴿ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً  
وَعَشِيًّا ﴾ فقال : ليس فيها بُكْرَةٌ وعشيٌّ . وقد صدَّق القرآن ، وصدق  
المفسِّر ، ولم يتناقرا ، ولم يتنافيا ، لأنَّ القرآنَ ذهبَ إلى المقادير ، والمفسِّرُ  
ذهبَ إلى الموجودِ ، مِنْ دَوْرَانِ ذلك مع غروب الشمس وطلوعها .

وعلى ذلك المعنى رَوَى عن عمر أنَّه قال : « مُتَعَتَانِ كَانَتَا عَلَى عَهْدِ  
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَا أَنْتَهَيْتُهُمَا وَأَضْرَبْتُ عَلَيْهِمَا <sup>(٢)</sup> » .

---

(١) الحلبة ، بالفتح : الدفعة من الخيل في الرهان . وقد روى الجاحظ هذا الحديث في البيان  
( ٣ : ١٦٠ ) برواية أخرى مع نسبته إلى عامر . كما رواه في البيان ( ٢ : ٢٨٢ ) منسوبا  
إلى بلال برواية أخرى .

(٢) المتعتان : هما متعة النساء ومتعة الحج ، كما جاء هذا الخبر مفصلاً في كتاب العباسية  
من رسائل الجاحظ ٣٠٢ الرحمانية .

أما متعة النساء ، فهي ما يسميه رجال الفقه : نكاح المتعة « وهو الزواج بأجل  
مسمى في العقد ، كيوم ، أو شهر ، أو سنة ، أو سنوات . وكان ذلك مباحاً  
في أول الإسلام ، وفيه نزل قوله تعالى « فا استمتعتم به منهن فاتوهن  
أجورهن فريضة » ، ثم نسخ ذلك بنهى الرسول .

قد كان المسلمون يتكلمون في الصلاة ويطبّقون<sup>(١)</sup> إذا ركعوا ، فنهى عن ذلك إمام من الأئمة ، وَضَرَبَ عليه ، بعد أن أظهر النسخ ، وعرفهم أن ذلك من المنسوخ ، فكأن قائلًا قال : أتنهانا عن شيء ، وقد كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فيقول : نعم . وقد قدّم الاحتجاج ٩٣ في الناسخ والمنسوخ<sup>(٢)</sup> .

ومن العجب أن ناساً جعلوا هذا القول على المنبر من عيوبه . فإن لم يكن المعنى فيه على ما وصفنا ، فما في الأرض أجهل من عمر حين يظهر الكفر في الإسلام على منبر الجماعة ، وهو إنما علاه بالإسلام . ثم في شيء ليس له حجة فيه ولا علة . وأعجب منه تلك الأمة « وتلك الجماعة [ التي<sup>(٣)</sup> ] لم تنكر تلك الكلمة في حياته ، ولا بعد موته ؛ ثم ترك ذلك جميع التابعين وأتباع التابعين ، حتى أفضى الأمر إلى أهل دهرنا هذا . وتلك الجماعة هم الذين قتلوا عثمان على أن سير رجلاً<sup>(٤)</sup> .

= وأما متعة الحج فهو ما يعرف بالتمتع ، وعنى عمر تحريمها على سكان مكة ؛ إذ قال في حديث آخر : « ليس لأهل مكة تمتع ولا قران » . وأراد الجاحظ أن قوله عمر : « كانتا على عهد رسول الله » ليس على ظاهره « بل المراد أنهما كانتا على عهد رسول الله وحرمتا أيضاً في عهد رسول الله . وكذلك قوله « أنا أنهى عنهما » ، فالمراد « أنا أنهى عنهما كما أنهى الرسول » .

(١) في الأصل : « يضيعون » ، وهو تحريف صوابه عما في البيان ( ٢ : ٢٨٢ ) . والتطبيق : أن يجمع بين أصابع يديه ويجعلهما بين ركبتيه في الركوع والتشهد . وقد كان ذلك من فعل المسلمين في أول ما أمروا بالصلاة ، ثم أمروا بإلغاء الكفين رأس الركبتين . وانظر لسان العرب ( طبق ) .

(٢) انظر لتوضيح هذه الفقرة ما جاء في البيان ( ٢ : ٢٨٢ ) .

(٣) الزيادة من س ، هـ .

(٤) هذا الرجل الصحابي الجليل « أبو ذر الغفاري » وكانت له ثورة مشهورة على الأغنياء ، غضب عليه من أجلها عثمان ، وسيره إلى الربرة ، وهي من قرى =



































































































































































































































































































































































































































































